

مطبوعات نادي مكة الثقافي الأدبي

(١١٨)

عمر فروخ

ودراساته الأدبية والنقدية

رسالة ماجستير في الأدب

من كلية اللغة العربية بجامعة أم القرى

(١٤١٢ هـ - ١٩٩٢ م)



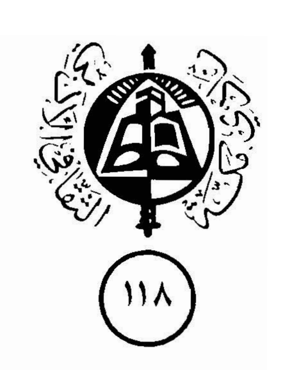
إعداد الطالبة

هيفاء رشيد عطا الله الجهني

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

دار الحارثي للطباعة والنشر هاتف ٧٣٣٤٣٧٤

ردمك ٩-٢٨-٦١٧-٩٩٦٠



(١١٨)

عمر فروخ ودراساته الأدبية والنقدية

رسالة ماجستير فى الأدب

من كلية اللغة العربية ـــ بجامعة أم القرى

(١٤١٢هـ ـــ ١٩٩٢م)

إعداد الطالبة

هيفاء رشيد عطاالله الجهني

١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م

ⓗ نادي مكة الثقافي الأدبي ، ١٤٢٢هـ
فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الجهني ، هيفار رشيد عطالله
عمر فروخ ودراساته الأدبية والنقدية - الرياض
١٧,٥ X ٢٥ سم
ردمك : ٩-٢٨-٦١٧-٩٩٦٠
١ - فروخ ، عمر عبدالرحمن ، ت ١٤٠٨هـ أ - العنوان
ديوي ٩٢٨،١٥٦٦ ٢٢/٠٢٤٣

رقم الإيداع : ٢٢/٠٢٤٣
ردمك : ٩-٢٨-٦١٧-٩٩٦٠



قال تعالى :

﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

سورة الأحزاب آية (٢٣)



عرفان وإهداء

إلى من كانا سبباً في وجودي وأثارا حب العلم في طريقي .... إلى والدي الكريمين الغاليين ... أقدم كتابي هذا عرفاناً وامتناناً ...

وإلى كل مسلم يعي مهمته في هذه الحياة ويستنهض كامل قدراته لتحقيق تلك المهمة .... أهدي كتابي هذا عرفاناً وامتناناً

هيفاء



مقدمة كتاب عمر فروخ

الحمد لله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيّدنا محمد عبدالله ورسوله ، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلّم .

وبعد فأسعدُ إذ أقدّم بين يدي هذه الدراسة ما أرجو أن يكون إضاءة لجانب من طبيعتها ، وهي في السيرة الأدبية لعلم بارز من أعلام الثقافة والأدب فى العصر الحديث ؛ أسهم مع أبناء جيله في ثراء هذه المرحلة من مراحل تاريخ الأدب العربي ، وخلّف دراسات وأبحاثا تعدّ مدخلا إلى الكشف عن اتجاهات تراث الأمة ، والدلالة على أعلام هذا التراث ومعالمه ، وأخرى مدّت حركة الأدب والثقافة المعاصرة بالجديد والممتع المفيد .

كان عمر فرّوخ ، رحمه الله ، واسع الباع فى الاطلاع والانتفاع بذخائر الموروث والمكتسب من ثقافة العرب وغير العرب ، مع حسن إعمال للعقل فيما يَحسن أن يؤخذ به وما يُطّرح ، مما تحدّر إلينا من تراث الأمة وما طرأ من وافد ثقافات الغرب وآدابهم .

وهو بعدُ ، من أصحاب المواقف المحدّدة المحمودة ؛ يصدر فى دراساته وأحكامه عن مسلّمات استمدّها من أصيل تراث أمّته ، وما ارتضاه مما وقف عليه فى الآداب الأخرى .

وكان لا يحيد عما يراه ، عن خُبر ودراية ، حقّاً ، ولا يكتمه . . فهو يجهر

بالرأي ويسارر به من يخالفهم مذهباً ووجهة نظر ، بتواضع العالم وأدب طالب العلم .

وتتساوق عناية فرّوخ واعتداده بالمعطى المعرفي للعلم مع اهتمامه بأدبيات تداول العلم ، تلقيًا ودراسة وتلقينا .

وكلّ ذلك أهّله ، مع آخرين من أهل زمانه ، لأن يكون صوتاً متميّزاً ، لا فى بلاد الشام وحدها ، وإنما بين كثير من رصفائه من كَتَبة العربية وأدبائها وباحثيها . وهو ما جلّت الدراسة التى بين أيدينا كثيراً من جوانبه .

وقد أريد لهذه الرسالة الجامعية أن تنهض أساساً بدورها التأهيلي ، فى إعداد الباحث المتمرّس ، المتترّس بآليات مناهج البحث ومواصفات صناعة التأليف ، وتهيئته للتمكّن من الاستخدام الصحيح لأساليب البحث العلمي وطرق التحليل والاستدلال ، مما هو من المقاصد العامة لهذا اللون من الدراسات المنهجية .

ولقد اجتهدت الباحثة ، وسعها ، فى سلوك مسالكها والنهوض بمقتضياتها من تحرّي الموضوعية ، وتوخّي تحقيق الأصالة التاريخية القائمة على تأثيل الأفكار ، موضوع الدراسة ، فى مصادرها الأصلية ، وتحليل الظواهر وتقويمها ، بما ينبىء عن الأصالة الذاتية للباحث ويبرز شخصيته العلمية .

ذلك هو الهدف الإجرائي العام من هذه الدراسات وأمثالها ، أما الهدف العلمي الخاص فهو محاولة رسم ملامح الشخصية العلمية الأدبية للمبحـــوث ، والوقوق على سمات خصوصية أدبه ومنهجه في البحث والدرس . وكان للباحثة الفاضلة فى سبيل الوصول إلى ذلك ، اجتهادات ومداخلات ، أثمرت أحكاما وتعليقات ، إن يكن قليلها من قبيل النقد التأثيري ، أو المبادرة إلى وجهة نظر كان لها في السكوت عنها مندوحة ــ فكثرها ينطبق على واقع الحال فى أدب الرجل ، ويتكىء فى موثوقيّته على مرجعيّات معتبرة عند الأقدمين وجلّ المحدثين . .

ولها ــ فى كلّ حال ــ مما توخّت من مقاصد الاحسان أجر الاجتهاد ، وأجر ما أصابت فيه . وبالله التوفيق

د . صالح جمال بدوي
عميد كلية اللغة العربية
جامعة أم القرى

١٢شعبان ١٤٢١هـ

" مقدمة "

إن الحمد لله تعالى رب العالمين ، أحمده ، وأشكره ، واستعينه ، واستغفره وأشهد أنه لا اله الا هو لا شريك له ، وأن سيدنا محمداً عبده ورسوله ، أرسله بالنور المبين هدى ورحمة للعالمين . . . وبعد : ــ

لا يخفى على أحد منا مدى اهتمام الأمم والشعوب بآدابها ونتاجها الفكرى والأدبي على مر العصور ، وذلك لما لهذه الآداب من قدرات فى تلوين حياة هذه الأمم وتلك الشعوب وتوجيه سلوكهم وتحديد معتقداتهم وأخلاقهم ، ولما لها أيضا من أهمية بالغة فى تحديد مكانة كل أمه بالنسبة لغيرها من الأمم ، فكلما كان للأمة نتاج فكرى وأدبي راق علا شأنها وارتفعت مكانتها .

من هذا المنطلق اهتم الأدباء ودارسو الأدب في العصر الحديث بدراسة الأدب العربي طريفه وتليده ، فدوّنوا تاريخه ، وبسطوا جوانبه ، وأظهروا الخصائص الفنية لكل عصر من عصوره ، ووقفوا عند شعرائه وأدبائه فترجموا لهم وأعطوا صورة كاملة لما تميزوا به من خصائص شعرية أو نثرية .

والدكتور عمر فروخ من بين دارسي الأدب في العصرالحديث الذين يتوقف لديهم المرء لمؤلفاته الكثيرة ودراساته الأدبية الواسعة والمميزة فقد درس الأدب العربى وأرّخ له ، وألف العديد من الكتب والدراسات حوله : طريفه وتليده،وترجم لعدد من شعرائه وأدبائه،وأبدى الرأي فى شعرهم ونثرهم .

وقد شدني إليه أيضا آراؤه الواضحة ولمحاته الذكية ، فأحببت أن ألقي الضوء فى دراستى هذه على هذه الشخصية ونتاجها الأدبى فأخذت أجمع ما ألف من كتب فوجدت أنهاتربوعلى ثمانين مؤلفاً فى فروع متعددة من العلم: في التاريخ ، والفلسفة ، والأدب ، واللغة ، والدراسات الإسلامية . والتأليف المدرسي ، والرد على المستشرقين فزادت رغبتى فى إلقاء الضوء على هذا النتاج الغزير لهذه الشخصية التى لم يتجه لها أحد من الدارسين والباحثين بدراسة علمية منهجية ، يقول الدكتور علي زيعور حول هذا : " لا نجد أطروحات عن عمر فروخ فى جامعاتنا ، بينما هناك العشرات عن آخرين ليسوا أثقل وزناً ولا هم أغنى أو أكثر عطاء للفكر " (١) فالرجل لم يكن ذا حظ مع الدارسين والباحثين لأسباب ذكرها الدكتور "على زيعور"مما جعل رغبتي في دراسة أدبه أشد وأقوى مما كانت عليه فعقدت أمري وأعددت عدتى لأتناول جانباً واحداً من جوانبه الفكرية فالرجل متعدد الجوانب فهو كما ذكرت ـ قبل قليل ـ عالم فى التاريخ والفلسفة والأدب واللغة ، والدراسات الإسلامية والرد على المستشرقين . . . لذلك آثرت أن تكون دراستي هذه في فكره الأدبي والنقدي وأخذت فى تناول مؤلفاته الأدبية والنقدية بالدراسة والبحث والتحليل والنقد .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ط ١ دار الأندلس ١٤٠٥هـ /١٩٨٥ ص ١٢ .
* راجع المصدر السابق ص ١٢ .

وحيث إن موضوعي يعتبر بكراً فى هذا المجال ، فإننى واجهت كثيراً من الصعوبات عند إعداد هذا البحث من أهمها : ـ

١ـ عدم توافر مؤلفاته فى المكتبات ما عدا سلسلة تاريخ الأدب العربي وغيرها كتابين فكثير من كتبه ـ رحمه الله ـ لم تطبع سوى طبعة واحدة وقديمة أيضا مثل كتابه : شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وأبو القاسم الشابى " فهو لم يطبع منذ عام ١٩٥٤م .

٢ ـ ندرة المعلومات حول هذه الشخصية ، فالأديب حديث الوفاة ولم تُكتب عنه أكثرمن كلمات نعي وتأبين قصيرة في بعض الصحف والمجلات ، فلا توجد دراسة سابقة له ولجهوده فى الساحة الفكرية والأدبية .

وقد حاولت التغلب على هذه الصعوبات ما أمكن ، وذلك بمراسلة دور النشر ومجامع اللغة العربية فى كل من مصر ، وسوريه ، والأردن باعتبار أنه كان عضوا فى كل هذه المجامع كما إني اضطررت إلى السفر إلى القاهرة مرات عديدة من أجل الحصول على المراجع التى تنقصني ، كما زرت مجمع اللغة العربية هناك ، وكنت أذهب إليه يومياً للاطلاع على مؤلفات الدكتور عمر فروخ التى لم تتوفر لديّ لعدم وجودها فى المكتبات ، وكم تمنيت أن أسافر إلى بيروت لأتصل بأهله مباشرة وأحصل منهم على ما أريد من معلومات لكن ظروف الحرب في لبنان منعتني من تحقيق هذه الأمنية ، ولو كانت الأوضاع فى لبنان أفضل مما كانت عليه عند إعداد هذا البحث لكانت زيارتها حتمية بالنسبة لي ، لكن هي مشيئة الله وقضاؤه وقدره ، ومع ذلك حاولت

الاتصال بأهله عن طريق المراسلة فأرسلت إلى جمعية المقاصد الإسلامية ـ التى كان يعمل بها الفقيد فترة طويلة من حياته وحتى قبيل وفاته ـــ مستفسرة عن عنوان أهله ، فردوا على مشكورين وزودوني بعنوان أخيه الحاج (سعد الدين فروخ) وقد بعثت له أكثر من رساله لكن للأسف لم أجد رداً .

ومضيت في بحثي مستندة على ما استطعت أن أحصل عليه من مراجع ومعلومات

وفي الختام لا يسعني في هذا المجال إلا أن أشكر الله تعالى على إتمام هذا العمل الذى أرجوا أن يكون قد وُفق في إلقاء الأضواء الكاشفة على هذه الشخصية التي تعددت جوانبها الفكرية والعلمية ، وجاهدت بالكلمة الملتزمة في مسيرتنا الأدبية في العصر الحديث ولم يسقط القلم من بين أصابعها إلا مع توقف نبض الحياة في عروقه وصعود روحه إلى بارئها .

" أسأل الله التوفيق والسداد في الرأي إنه على كل شىء قدير
ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير "

* * * * * *

الباحثة

هيفاء رشيد عطاالله الجهني

الباب الأول

حياته وفكره



الفصل الأول

نشأته وثقافته

١ ـــ مولده ونشأته
٢ ـــ كفاحه في الحياة
٣ ـــ حياته الأسرية
٤ ـــ فجيعته في ابنه
٥ ـــ علمه وثقافته
٦ ـــ معتقده وخلقه



الفصل الأول
نشأته وثقافته

ا ـــ ولادته ونشأته : ـــ

هو : عمر بن عبدالله بن عبدالرحمن فرّوخ . وُلِد فى بداية القرن العشريـــن فقد وُلِد عام ١٩٠٦م فى الثامن من شهر مايو وذلك كما ورد فى مؤلفه " عمر فروخ وآثاره الثقافية فى أربعين عاماً (١٩٣١ ـــ ١٩٧١م) " وُلِد عمر عبدالله فروخ فى بيروت ١٩٠٦/٥/٨م . (١)

أما فى كتابه " غبار السنين " فيقول : " كان مولدى في يوم اثنين على القطع وفي قلب الربيع ، وفي أول ارتفاع النهار " (٢) .

وعن العام الذى وُلِد فيه يقول : " يبدو أن مولدى قد جعل عام ١٩٠٦م وأحببت أنا أن أعين هذا المولد بدقة فجعلته فى ١٩٠٦/٥/٨م ، ولكن إذا أنا تذكرت عدداً من الأشياء وقست الماضى بالحاضر فيمكن أن يكون مولدى فى يوم الاثنين من أواسط الربيع ولكن قبل سنتين " (٣)

---

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية فى أربعين عاما . بقلمه بيروت ، ١٩٧١م ص ٩ .
(٢) غبار السنين . د / عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٢٤٥ .
(٣) السابق ، ص ٢٤٦ .

وعن مكان مولده يقول : " أما مكان مولدي في بيروت الكبيرة فكان في بيت يقوم في بستان فرعون (المكان الذى بُنى فيه فيما بعد " قصر هنرى فرعون " (على بعد يسير من القشلة (القشلان : مركز الجنود) والذى يسمى اليوم " السراى الكبير " (١)

أما عن نشأته فى البيت فيبدو أنه نشأ في أسرة متوسطة الحال مادياً " كان جدي فى أول أمره نجاراً وكان أمياً ، فلما رزق ابنه البكر أحمد (وكان أحمد قد توفى قبل مولدى) علّمه جدي ذلك العلم الذى كان مألوفاً فى ذلك الحين ، ثم عاد جدي فتعلم منه القراءة والكتابة والحساب (٢) لكن بيته كان بيت علم ، فقد قال : " كان جدى وأبى وعمتاى وعماى يقرءون ويكتبون (على قلة مثل ذلك بين المسلمين فى القرن الماضى) وكان في بيتنا ثلاث لغات متقنة (العربية والتركية والفرنسية) ثم لغتان ملموحتان (الانكليزية والألمانية) (٣) . كما يذكر أنه تعلَم من جده لأبيه الصلاة وقراءة القرآن والسباحة وشراء أغراض البيت من السوق " (٤) .

(١) السابق ، الصفحة نفسها .
(٢) غبار السنين . مصدر سابق ، ص ٢٤٦ .
(٣) المصدر السابق ص ٤٣ .
(٤) السابق نفسه .

وعن والده يقول : " تعلمت من والدي السير الصحيح السليم في طريق الحياة " (١)

أما عن والدته فيقول : " أما والدتي فلم تكن تخط أو تقرأ الخط ، ولم يكن بالإمكان أن أتعلم منها شأناً من شؤون الثقافة غير أن والدتي كانت ربة بيت من جميع النواحى (حتى من الناحية الاقتصادية) الجد فى التحصيل والحكمة في الإنفاق ، ثم إن والدتي علّمتنا الخدمة فى البيت كنا نعجن (لم يكن الناس فى أيام طفولتنا يشترون خبزاً من السوق وعلّمتنا المساعدة فى شؤون المنزل من الطبخ والغسل والمسح " (٢)

أما عمّاه فقد شاركا فى تعليمه كثيراً من القيم والمبادىء والأخلاقيات . فنراه يقول : " ومن عمى حسين (ت ١٩٣٦) رحمه الله تعلمت فيما تعلمت منه ـ هذه القاعدة : الاقتصاد الصحيح أن تنفق فيما تحتاج إليه كل مبلغ مهما يكن كبيراً وإياك أن تشترى شيئاً لا تحتاج إليه مهما يكن ثمنه متدنياً " (٣) ومن عمه حسن يقول : " ومن عمى حسن (ت ١٩٦٦م) رحمه الله تعلمت ـ فيما تعلمت أيضا ـ هذه القاعدة الاجتماعية " كان يودعنى وأنا أغادر بيروت (فى خريف ١٩٢٨م) ذاهباً إلى نابلس (فلسطين) لأعلِّم

---

(١) نفسه .

(٢) السابق نفسه ص ٤٤ .

(٣) نفسه والصفحة نفسها .

هناك فقال لي : لا تعمل فى الغربة عملاً لم تعمل مثله وأنت فى بيروت " (١)

أما عن طفولته ولهوه فيها فيقول لنا حول ذلك : " ولا أعلم أننى كنت ألعب فى الشارع . كنت أخرج إلى بستان البيت أو أخرج إلى الحقل المجاور لبيتنا وآخذ معى الحمل (الخروف الصغير) ليرعى فيه ، تحت إشراف أهلي طبعاً ولا أزال أذكر أن أهلي كانوا يستقدمون مرة طفلاً من أسرة مثل أسرتنا أو يرسلوننى إلى تلك الأسرة فيكون لعبنا فى البيت بإشراف الأهل ، خوفاً من أن يحتك أحدنا (أنا أو أحد أطفال تلك الأسرة)بطفل لاترضى سيرته، وقد نشأ عمر فروخ أولاده على هذا الأسلوب فى التربية كما يقول : " ولقد نشأت أولادي على مثل ذلك وكنا ننصحهم بأن يصحبوا فى المدرسة أطفالاً معينين " (٣) .

ومن قوله هذا يتضح لي أنه لم يكن له أخوة فى مثل سنه يلعب معهم فكان يلعب مع أطفال الجيران تحت اشراف الأهل ، مع العلم بأني قد علمت بأن له أخاً يدعى سعد الدين فروخ من خلال رسالة بعث بها إليّ مدير جمعية المقاصد الإسلامية .

(١) نفسه الصفحة نفسها

(٢) غبار السنسن ، مرجع سابق ، ص ٤٥ .

(٣) السابق ص ٤٥ .

وإذا أردنا أن نتعرف على صفاته الخَلَقية ـ رحمه الله ـ نقرأ ما كتبه عنه الدكتور عدنان الخطيب : (كان فقيدنا الكبير ربعة بين الرجال وإلى القصر أميل نحيل الجسم لا يتجاوز وزنه الخمسين كيلاً) (١) . كما أن الدكتور فروخ يذكر أن وزنه عند تخرجه من الجامعة الأمريكية كان ثمانية وأربعين كيلو . (٢)

فهذه صفات الدكتور عمر فروخ الخَلْقية . أما صفاته الخُلُقية فإنها تحتاج إلى عنوان خاص .

وقد دخل الدكتور عمر فروخ عالم الصحافة كاتباً وهو في سن مبكر إذ كان عمره آنذاك سبعة عشر عاماً . يقول : " في العام الدراسي ١٩٢٢ ـ ١٩٢٣ م كنت في الصف الرابع من الدائرة الاستعدادية في الجامعة الأمريكية وقبيل عطلة نصف السنة (شباط ـ فبراير ١٩٢٣) طلب منا أستاذ اللغة العربية ـ نجيب نصار(ت. ١٩٣)أن نكتب موضوع إنشاءطويلاًعن الطيران".

وبعد بضعة أيام رد الأستاذ نصار الموضوعات إلى تلاميذ الصف ، ولم يرد إليّ موضوعي ولكن بعد الدرس قال لي إنه أعطى الموضوع لجريدة " الأحوال " (أصدرها خليل البدوى عام ١٨٩١) وكانت في ذلك الحين ـ عام ١٩٢٣م ـ من أمهات الصحف ، وبعد يومين أو ثلاثة أيام صدرت جريدة

(١) د . عمر فروخ . كفاح خمسة وستين عاما دفاعا عن العروبة والاسلام . د . عدنان الخطيب . مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق ، ١٤٠٨هـ ، ص ٢٩

(٢) غبار السنين . مرجع سابق ، ص ٦٤ .

" الأحوال " وفيها مقالي (موضوعي في الإنشاء) وقد نشر في عددين متواليين لطوله ، وكانت المفاجأة لي أن جانباً من كل قسم قد نُشِر في الصفحة الأولى (١) . فبداية الدكتور عمر فروخ مع الصحافة كانت مبكرة جداً وبفضل براعته وإتقانه ، فلولا أن موضوعه الانشائى كان رائعاً جديراً بالنشر لما نشره له أستاذه في جريدة الأحوال ، علاوة على نشر جزء منه في الصفحة الأولى ، فهذه كانت البداية أو بداية احتكاك الدكتور عمر فروخ بعالم الصحافة ومواجهة الجمهور ، وقد كانت بداية ناجحة بالتأكيد وإلا لما رأينا استمراره في هذا المجال ، ففي نفس العام نشر له موضوع آخر في نفس الجريدة ،"وفي أواخر السنة الدراسية ، طلب الأستاذ نصار منا أن نكتب موضوعاً طويلاً عن " الحرير " وحمل الأستاذ نصار موضوعي إلى جريدة " الأحوال " فنشرته الجريدة في عددها ٨٠١٩والصادر في١٣/٦/١٩٢٣م وكانت المفاجأة هذه المرة أكبر ، إذ بدأ نشر المقال في صدر الصفحة الأولى ابتداء من أعلى العمود الأيمن ، وقد جعلت جريدة " الأحوال " عنوان هذا المقال " بحث جليل في صناعة الحرير " (٢) .

إن ظهور مقالات الدكتور عمر فروخ في صدر الجريدة لدليل أكيد على جودة هذه المقالات مع أنه كان في أول الطريق كما يُقال ، لكن القراءة المستمرة والرغبة في التعليم لدى الطالب جعلت منه طالباً متفوقاً رغم كل الظروف سواء

(١) السابق ص ٢٧ .

(٢) السابق ، ص ٢٧ ــ ٢٨ .

كانت اقتصادية أو اجتماعية ، كما أن المقاعد الدراسية لا تصنع طلاباً لكن الطالب الدؤوب ، والقراءة الحرة المستمرة والرغبة الأكيدة هى التي تعمل على تفوق الطالب . وهذا ما كان عليه الدكتور عمر فروخ ـ وقد استمر في الكتابة في الصحف عن طريق الاتصال المباشر بينه وبين الصحف ". لقد دلني الأستاذ نجيب نصار على طريقي إلى الصحف ، فكنت أرسل المقالات المختلفة إلى جرائد البلد: "الرأى العام" إلى "البيان" إلى "المعرض" وغيرها". (١) . وقد كان يكتب بتوقيع مستعار "ولما بدأت أنا الكتابة في جريدة الأحرار بدأت الكتابة بتوقيع مستعار "صريع" أو صريع الغواني" (٢) .

وهذا تصرف طبيعي . فمعظم الكتاب الكبار بدءوا الكتابة بتوقيعات مستعارة ربما خوفاً من الهجوم والنقد من القراء والنقاد ، وحتى تفسح الجرائد لمقالاتهم الطريق إلى النشر ولما تنضج قرائحهم وقدراتهم يوقعون بأسمائهم الصريحة .

أما عن موضوعات المقالات التي كان يكتبها فيقول " كانت مقالاتي في الأدب والتاريخ وفي الردود (وخصوصاً على الأب لويس شيخووالأب هنرى لا منسى) كان لويس شيخو قد توفى عام(١٩٢٧) ولكن الأب هنرى لامنسى كان لا يزال حياً (ت١٩٣٧)، كان الأب لويس شيخو مغرماً بجعل كل شاعر عربي مسيحياً ، وأما لامنسى فكان يريد أن يشكك القارىء في كل جهد

(١) السابق ، ص ٢٨ .

(٢) السابق ، ص ٣٩ .

إسلامي" (١) فقد كان الدكتور عمر فروخ إسلامياً في معتقده وفكره وخلقه وسلوكه .

وقد عمل عام ١٩٢٧في جريدة الحضارة كمساعد في الترجمة "كنت أساعد في نقل (ترجمة)أشياء من اللغة الأجنبية ، ولم يكن اسمي يظهر في هذه النقول ، وكنت أوقع باسمي أشياء من الشعر أو من المقالات التي لا تدخل في نطاق عملي الرسمي " (٢) .

بعد ذلك بأحد عشر عاماً أنشأ مجلة أسبوعية هي مجلة " الأمالي "" وبعد أحد عشر عاماً (١٩٣٨) أنشأت مع نفر من اخواني (عبدالله المشنوقي وزكى النقاش مجلة أسبوعية سميناها " الأمالى " ثم كان معنا محمد على الحومانى والدكتور محمد خير النويرى . فكانت الخسارة المالية ظاهرة فلم يثبت لسد تلك الخسارة سوى الدكتور نويري وسواي وأما في العام الثاني فقد غطت المجلة نفقاتها ، تلك النفقات التي كانت في الأصل يسيرة ، وأما في العام الثالث وكانت الحرب العالمية الثانية قد خطت خطوتين ، فقد تركت المجلة وراءها رصيداً صغيراً . وأصبح للمجلة مكانة . . بدأت أنواع من الضغوط تحيط بنا ، المفوضية العليا الفرنسية عرضت أن تقدم الورق مجاناً (كان ماعون الورق ــ ورق الجرائد الأسمر ــ قد ارتفع إلى مائة وعشر ليرات) ، وعرض آخرون غير ذلك ، غير أننى قررت وقف المجلة عن الصدور ، ذلك

(١) السابق ، ص ٣٩ ، ٤٠ .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

لأن الذين يعرضون مساعداتهم اليوم سيطلبون " بدلاً منها غداً وكان ذلك علامة على أني سأصبح قطعة في آلة تتحرك (الآلة تتحرك لا القطعة) ثم إنني وجدت أن الصحافة (مع أن مجلتي كانت أسبوعية) . رهان مع الزمن ، يجب أن تسابق الشمس في مسيرها حتى تظل أنت واقفاً في وجه العواصف ، من أجل ذلك أغلقت المجلة واتجهت إلى تأليف الكتب ، ولكن مازلت أكتب في الصحف والمجلات إلى اليوم " (١).

وقد عاش بعد ذلك معلماً باحثاً مؤلفاً كاتباً في الصحف اليومية بما يُرضى خلقه ومبادئه إلى أن وافته المنية يوم الخميس السابع عشر من شهر ربيع الأول من عام ألف وأربعمائة وثمانية هجرية الموافق الثامن من نوفمبر من عام ألف وتسعمائة وسبعة وثمانين ميلادية (٢) وقد صُلِّيَ عليه بمسجد البسطة ببيروت ودُفن في مقبرة الباشورة بجوار والده الشيخ عبدالله فروخ ــ رحمهما الله (٣) .

٢ ــ كفاحه في الحياة :

يقول الدكتور عمر فروخ : " كانت أحوالنا الاقتصادية صعبة ، فمنذ العام ١٩١٩م (بعد انتهاءالحرب العالمية الأولى) ، كنت أعمل في الصيف في النهار

---

(١) غبار السنين ، ص ٤١ ، ٤٢ .

(٢) الدكتور/عمر فروخ وكفاح خمسة وستون عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام (مرجع سابق) ص ٥٦ .

(٣) مقال الدكتور/محمد حمد خضر ، المجلة العربية ، العدد (١٢٤)جمادى الأولى ، ١٤٠٨هـ /يناير ١٩٨٨م

وأعمل في الشتاء في الليل في سبيل الحصول على المبالغ الضرورية لأقساط الدراسة ، كان ذلك هيناً على حينما كنت في القسم الابتدائى ، أما بعد ذلك حينما انتقلت إلى القسم الاستعدادى فقد أصبح من غير اليسير علي أن أجمع بين الدراسة في النهار والعمل في الليل وأسلفتنى الجمعية أقساط السنوات ١٩٢٣ ــ ١٩٢٨ (نحو تسعين جنيهاً مصرياً فإن الجامعة الأمريكية في بيروت كانت تستوفى الأقساط بالعملة المصرية) ثم إني وفيت هذا المبلغ كاملاً في عامي (١٩٢٩ ــ ١٩٣٠) (١) .

فقد كان الدكتور عمر فروخ مكافحاً في حياته منذ طفولته فقد عمل موزعاً للجرائد وهو في العاشرة من عمره فهو يقول : " في صيف عام ١٩١٦ وأنا في العاشرة من العمر قال لي ابن عمتي ــ وكان عمره كعمري واسمه كاسمى ــ : أتريد أن توزع جرائد ؟ فقلت له نعم . ذهبنا إلى جريدة " الحقيقة " لصاحبها الشيخ أحمد عباس الأزهرى ، وكان الشيخ أحمد عباس خال أبيه ، كانوا يعطوننا في كل يوم نحو عشرين جريدة نوزعها في منطقة المرفأ ، فقد كانت مطبعة جريدة " الحقيقة " على مقربة من محطة السكة الحديدية بعد أسبوعين استحق الأجر ثلاث ليرات في الشهر (وكان أجار

صراع التيارات المتشددة ، وعمر فروخ ص ٥٢ .

بيتنا ـ في رأس بيروت قرب المنارة ليرة واحدة في الشهر) (١) . واستمراراً للعمل والكفاح في الحياة يقول : " في صيف ١٩١٩م قال لي عمي حسين رحمه الله ، لماذا لا تعمل عملاً تستفيد منه ؟ ثم أخذني إلى جريدة "لاسيري الفرنسية (لصاحبها جورج فيسيه) .

ويبدوأنه كانت له معرفة بمديرالإدارة فيها جورج فاليرى ، سلمنى جورج فاليرى إلى العاملين في مكتب الجريدة : محمد المغربي وجوزف قسيس ، وعهد إليّ هذان بتنظيف الحمام وما يتبع الحمام ، في اليوم التالي ، بعد أن دخل جورج فاليرى إلى الحمام سأل عن الذي نظف الحمام في ذلك اليوم ؟ فقال له : عمر .

استدعاني جورج فاليرى (وكان فرنسياً تربى في مصر مدة طويلة) وقال لي بلهجته المصرية الممزوجة بالفرنسية بتعرف(بفتح الراء)فرنساوى(بفتح الفاء والراء وبتضخيم الكلمتين) فقلت له : نعم(ولم أكن أعرف يومذاك من اللغة الفرنسية إلا بضع كلمات) استكتبني عدداً من الكلمات والجمل فرضي معرفتي فأمر بأن توضع لي طاولة في الدار وأن أتولى إعداد لفائف المشتركين (أوراق مستطيلة عليها عناوين المشتركين في الجريدة تلف بها الجرائد لترسل إلى أصحابها بالبريد) (٢) . وعن الأجر الذي كان يتقاضاه يقول : " كان مرتبى الشهرى ثلاثة جنيهات(وكان المعلم يبدأ راتبه بجنيهين وربع)

---

(١) غبار السنين ، د / عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٢٣ .
(٢) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٢٥ .

ولما انتهى الصيف وأردت الالتحاق بالمدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية قال لي جورج فاليرى : بإمكانك أن تستمر في العمل عندنا وتأتى في كل يوم ساعتين بعد المدرسة لإعداد لفائف المشتركين(وجعل أجرى على تلك الساعتين جنيهاً واحداً في الشهر ـ حتى جاء الصيف التالى فعاد مرتبى إلى مبلغه القديم أو زاد " (١) .

كما أنه عمل في جريدة الحضارة في الترجمة ، يقول : " وفي عام ١٩٢٧ ، وكنت لا أزال تلميذاً ، عملت في جريدة " الحضارة " . . . كنت أساعد في نقل (ترجمة) أشياء من اللغة الأجنبية " ولم يكن اسمي يظهر في هذه النقول ، ولكن كنت أوقع باسمي أشياء من الشعر أو من المقالات التي لا تدخل في نطاق عملي الرسمي " (٢) .

فعمر فروخ الذي نشأ في أسرة متوسطة الحال أو هي أقل من ذلك لم تكن الأحوال المادية عائقاً له في تعليمه بل كان مكافحاً يعمل ليل نهار من أجل تأمين مصاريف دراسته ، فبالعزيمة القوية والاجتهاد والمثابرة يستطيع الانسان أن يصل إلى مايريد فلم يَعبْ الدكتور عمر فروخ المعلم الجليل والباحث القدير أن يسجل الأعمال البسيطة التي كان يعملها وهو في العاشرة من عمره ، وأن يذكر لنا ماهية العمل الذي كان يعمله ليعكس أمامنا كفاحه وتغلبه على المصاعب التي واجهته منذ صغره .

(١) السابق ، ص ٢٦ .

(٢) السابق ، ص ٤١ .

٣ ـــ حياته الأسرية :

يذكر لنا الدكتور عمر فروخ أنه تزوج بعد بلوغه سن الرجولة والنضج فيقول : " لما عزمت الزواج كنت قد أصبحت رجلاً في الرابعةِ والثلاثين من العمر " (١) ويحكى لنا قصة زواجه فيقول : " اتفق في إحدى المرات التي كنت فيها في " بيت الأطفال " أن كان الوقت ظهراً ، وكان الأطفال يتناولون غذائهم ، ولفت نظرى طفلان ـ صبى وبنت ـ يأكلان وهما ساكتان ، ويأكلان بطريقة تدل على عناية أهلهما بهما وبتهذيبهما فسألت رشاد العربي(مدير بيت الأطفال) : لمن هذان الطفلان ؟ فقال لي : هما ولدا راشد الحورى (بحاء مهملة) فسألته ثانية : هل تعلم لآم هذين الطفلين أختا عزبة (بفتح ففتح) ؟ فقال : لا أعلم ، وسمعت إحدى المعلمات هذا الحديث وليس عند المرأة حديث أحلى من مثل هذا الحديث ، وبعد يومين جاءت تلك المعلمة تقول : لآم ذينك الطفلين أخت عزبة ، وهى آمنة حلمي ، وهي معلمة في إحدى مدارس المقاصد ، وفي مساء ذلك اليوم قلت لأمي : أريد أن تخطبي لي فلانة فذهبت أمي وكبرى نساء الأسرة وخطبتا تلك الفتاة لي . (٢)

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، د . على زيعور ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٥٧ .
(٢) السابق ، ص ٥٨ .

وقد كانت حفلة الزواج في ١٩٤٠/١١/٥م (١) . وقد كانت حياة الدكتور عمر فروخ الزوجية حياة هادئة ، وقد رزق بخمسة أولاد " أسـامه(١٩٤٤) ومروان(١٩٤٦) ومازن(١٩٤٨) ولبنه(١٩٥٢) ولميس (١٩٥٦) (٢) .

وقد كانت السيدة آمنة شديدة العناية ببيتها وأولادها " إن عنايتها بالبيت وبالأولاد وبي أيضاً قد مكنتني من أن أتوفر توفراً كثيراً على التأليف فزاد دخلي بذلك زيادة ظاهرة ، ثم إن عنايتها ـ إلى جانب عنايتى ـ بالإشراف على مطالعة دروس الأولاد في البيت قد أدى إلى النتيجة التالية :

* نال ابننا البكر منحة لدراسته العالية في بيروت (بعد الباكلوريا) ثم منحة ثانية حينما ذهب إلى الولايات المتحدة لمتابعة دراسته (حتى نيل الدكتوراه)

* نال ابننا الثالث منحة الدولة فتابع دراسته العليا في جامعة عين شمس في مصر ثم في انكلتره (حتى نال أيضاً شهادة الدكتوراه) .

* أما ابننا الثاني " فقصر على علامتين " (ولكن ليصل إلى المرتبة التي تخولة الحصول على منحة في الدراسة) (٣)

أما عن الجو الأسري داخل بيته فقد كان جواً اسلامياً متماسكاً ، إذ يذكر لنا الدكتور عمر فروخ ذلك بقوله : " وبيتنا بيت تقوى تُقام فيه الصلوات

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٢٥٩ .

(٢) السابق ، ص ٢٥٩ .

(٣) صراع التيارات المتشددة ، وعمر فروخ ، د . علي زيعور ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٥٩ .

ويُصام رمضان وتُؤدّى فيه الزكاه ، وليس فيه شيء خارج عن قواعد الإسلام ، وليس في بيتنا تدخين ، برغم أن الأولاد قد عاشوا مدة طويلة في مصر وانكلترا والولايات المتحدة وغيرها ومنهم من لا يزال يعيش ـ بسبب عمله ـ في الخارج ، ومع ذلك كله فإن صلة الابنين المغتربين لا تزال وثيقة بنا كما لو كانا لا يزالان يعيشان في بيروت (١) .

كما يُلقي إلينا ببعض النظم المتبعة في بيته فيقول : " وفي بيتنا تنظيم ـ تنظيم شديد ـ إذا شئت ـ فالطعام في أوقات معينة لا تخل ، وكذلك أوقات النوم منظمة ومثلها أوقات العمل ، وعندنا زيارات متبادلة في الحدود المعقولة . وارتياد المقاهى وأشباه المقاهى لا وجود له في نظام حياتنا (٢)

وبما أن القراءة هي مفتاح الثقافة ، فالقراءة عنصر أساسى في بيت الدكتور عمرفروخ : " والقراءة في بيتنا عنصر أساسى ، في بيتنا مكتبة كبيرة شاملة ـ للمطالعة لا للزينة ـ ونقرأ في كل يوم ثلاث جرائد سوى عدد آخر من الجرائد حيناً بعد حين (بحسب الأحوال السياسية خاصة) وسوى المجلات " (٣) .

---

(١) السابق ، ص ٥٩ .

(٢) السابق ، ص ٦٠ .

(٣) السابق ، نفس الصفحة .

هذه لمحات بسيطة عن حياة الدكتور عمر فروخ في بيته والنظام العام الذي تسير عليه أسرته ، فقد كان منظماً دقيقاً في جميع أمور حياته وانعكس ذلك على أفراد أسرته جميعهم .

٤ ـــ فجيعته في ابنه :

فُجعَ الدكتور عمر فروخ في أصغر أولاده البنين مازن (ولد سنة ١٩٤٨) وقد كان ذلك إثر إصابته بشظية من شظايا إحدى القنابل التي كانت تسقط في بيروت بين الحين والآخر ، ويذكر لنا الدكتور عدنان الخطيب حادثة وفاة هذا الابن بشيء من التفصيل فيقول : " رزق فقيدنا الغالى من الأولاد بخمسة ، فيهم من البنين ثلاثة أكبرهم أسامة ثم مروان ، أما ثالثهم فقد ولد سنة (١٩٤٨م) وهو يحمل اسم مازن ، ومشى الأخوة الثلاثة على الطريق الذي رسمه لهم أبوهم ، وكان قد سبقهم بالمرور عليه ، فشبّوا على خلق قويم ودين متين ، وفهم للعلم ركين واعتزاز بالعروبة شديد على أن المتقدمَين منهم ، بعد أن تزودوا بأرفع ألقاب العلماء من جامعات بريطانيا والولايات المتحدة الأمريكية ــ آثرا اتخاذ الغرب مهجراً على العودة إلى لبنان والحرب فيه تلتهم الأخضر واليابس بلا تمييز ــ أما مازن أصغرهم فآثر نصيحة أبيه وقربه في جحيم لبنان ، على رغد العيش في البلاد التى درس فيها والتمتع هناك بالهدوء والأمان . عاد مازن إلى بيروت ليدَرِّس الفيزياء النووية وعلوم الذرة في الجامعة اللبنانية ، وسلك خارج الجامعة سبيل الدعوة

إلى الإسلام الصحيح ، حتى غدا من أكثر الدعاة حظاً لدى المسلمين ، ومن أكثر الباحثين الإسلاميين قبولاً لدى المفكرين وفي مساء الأول من شهر كانون الثاني (يناير) من سنة ١٩٨٧م اجتاحت بيروت نوبة من حمى تبادل النار بين الفئات اللبنانية المتصارعة ، واستمر دوي الرصاص وسقوط القنابل ساعات طالت على المتنظرين ، فكان الناس يتحاشون الخروج من منازلهم أو من الملاجىء التى آووا إليها إلا المضطر ، فكان لا يخرج من مأمنه إلا حذراً متبعداً عن الطريق التى يظن أن المرور فيها يعرضه لرصاص " قناص " مجهول الهوية ، أو سقوط قنبلة غير معروف مكان اطلاقها . كان مازن يمشى مشى الحذر ، ولكن الأجل المحتوم فاجأه مع شظية من قنبلة طائشة سقطت بعيداً عنه . فكتبت له الشهادة مستأثرة به رحمه الله (١) .

وهكذا كتبت الشهادة لهذا الابن البار بأبيه ، وكتب الأجر ـ إن شاء الله للأب الثكلان الذي كان لهذا الحدث الأثر البالغ في نفسه فقد جفاه الكرى وأضناه الألم ومزقه الحزن ، فكتب هذه الأبيات التي قدم لها بما يلي : ـ

(إلى مازن) " أوتيت إلى فراشى بعد دفنك (١٩٨٧/١/٣م) يابني فلم تألف عيناي النوم ، ولما انتصف الليل ، كنت قد كتبت أبياتاً لعلها ترضيك في مقامك الأبدي حيث لا يسمع أحد أصوات الرصاص الطائش ولا يرى آثار

---

(١) الدكتور عمر فروخ ، وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام (مرجع سابق) ، ص ٣٥،٣٤ .

لقنابل لا تعلم من يطلقها ولا من أين يطلقها ولا لماذا يطلقها . أما الأبيات فهى التالية (١) .

يا ولدي يا ولـــدي	يا قطعة من كبـــدي
يا فرحة الدنيا التى	لأ لأوها لم يخمـــدِ
يا طلقة طافت على	عوالَم من عسجدِ
يا لمحةً قد بقيت	من أمل مبددِ
قد كنتُ أرجو مُسعِداً	آوى إليه في غدي
لكنني يا أسفي	كفنتُ أمسي بيدي
فضاع ما أقلتَه	من ملجأٍ أو سندِ
لى اثنان قد طافا أسى	في غُربةٍ من كمدِ
عن مواطن لم يبق فيـ	ـه غيرُ ما لم يُحْمَدِ
وجاء من يقول لي	هبنا سَمِيَ الفرقدِ
الثالث الأبناء في	أوج العلوم الأسعدِ
لكن ضننتُ أن أرَى	مجرداً من ولدِ
يا ليتنى رضيتُ أن	يَهجُر هجرَ الأبدِ
ولا تموت ميتةً	سرَّت عيون الحسدِ
ما مازنُ إلا الهوى	قد غابَ في دمعي الندي

(١) السابق ، ص ٣٥ ، ٣٦ .

ولو تأملنا هذه الأبيات وجدناها تنم عن عاطفة جياشة متدفقة ونفس تنزف كما أنها تشعر بالتوتر النفسى والقلق العاطفى الذي كان يساور الدكتور عمر فروخ ومدى الحسرة والألم اللتين كانتا تسيطر عليه من جراء مصابه هذا ولا ريب في ذلك أبداً ، فما الفقيد إلا فلذة كبده .

٥ ـــ علمه وثقافته :

يقول الدكتور عمر فروخ : " حياتي المدرسية عام ١٩١٩م تحتاج إلى كتاب لقد كان كل شيء فيها أساساً راسخاً في التربية " (١) فقد تعلّم في الكُتّاب قبل دخوله المدرسة : " تعلّمت أشياء على الشيخة حليمة الفيل ، والشيخ يوسف الحلوانى والشيخ سليمان العيتانى ، والشيخ راشد عليوان ، والشيخ محمد ناصر (رحمهم الله جميعاً) ، والأستاذ منير اللاذقىّ (مد الله في حياته) وغيرهم (٢) .

فقد نشأ الدكتور عمر فروخ نشأة علمية ثقافية منذ نعومة أظفاره فقد تكفل جده تعليمه القراءة والكتابة ، كذلك أسهم عماه وعمتاه في تعليمه إلى جانب الشيوخ الذين درس عليهم ، هذا كله قبل دخوله المدرسة الابتدائية

أما عن دخوله المدرسة فيقول : " في العام ١٩١٩م دخلت المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية في بيروت(مدرسة رأس بيروت) وفي

---

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٣٥ .

(٢) السابق ، ص ٣٥ .

العام ١٩٢١م انتقلتُ إلى الصف الثالث(من الدائرة الاستعدادية) في الجامعة الأمريكية (١) .

وقد تخرج منها سنة ١٩٢٤م يقول في كتابه عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً دخل المدرسة الابتدائية التابعة للجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩١٩م وفي سنة ١٩٢١م دخل السنة الثالثة الاستعدادية في الجامعة الأمريكية ونال شهادتها في حزيران،يونيه) ١٩٢٤م وكان خطباء حفلة التخرج في ذلك العام ثلاثة : قسطنطين زريق باللغة الفرنسية ، وصبحى المحصانى باللغة الانكليزية ، وعمر فروخ باللغة العربية (٢) ، وبعد ذلك دخل الدائرة العلمية (في الجامعة الأمريكية) .

ثم تخرج فيها عام ١٩٢٨ برتبة بكالوريوس علوم ، ومنذ ذلك الحين بدأ يعمل في التدريس (٣) . ففي عام ١٩٢٨ ـــ ١٩٢٩ عمل مدرساً للتاريخ والجغرافية الطبيعية في مدرسة النجاح الوطنية في نابلس (فلسطين) .

وفي سنة ١٩٢٩م تعاقد مع جمعية المقاصد الإسلامية الإسلامية ليُعلّم في مدارسها، ومن ١٩٣٥ ـ ١٩٣٧م تابع دراسته العليا في ألمانية للتخصص في الفلسفة واللغة وتاريخ العرب في أوربا في غير الأندلس(أي في فرنسا

---

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، طك ١ ، دار الأندلس ، ص ٣٥ .
(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ص ٩ ، بقلمه ، ١٩٧١م .
(٣) عمر فروخ وآثاره في أربعين عاماً ، ص ٩ .

وايطاليا وسويسرا) فدرس فصلاً في جامعة برلين وفصلاً في جامعة ليبزغ وفصلين في جامعة أرلنجن ، وتخرج فيها برتبة دكتور في الفلسفة في ١٩٣٧/٨/٢٧م ، كما أنه كان يجيد عدداً من اللغات هي : الانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية."وهو ثروة علمية عظيمة لاتقانه لعدد من اللغات كالانجليزية والفرنسية والألمانية والأسبانية وله إلمام بعدد آخر من اللغات التي تعينه في البحث (١) وقد زار فرنسا خلال رحلته العلمية مرتين في المرة الأولى سنة ١٩٣٦م حضر في عدد من معاهد العلم في فرنسا (السوربون ، كلية فرنسا ، ومدرسة الدراسات العليا) كي يستفيد من وجوده في باريس لا ليكون ذلك منهجاً للدراسة يخوله التخرج في فرنسا .

وفي ١٩٣٧م عاد إلى بيروت وإلى مكانه في التدريس في جمعية المقاصد وفي سنة ١٩٤٠م ـ ١٩٤١ ذهب إلى العراق أستاذاً للتاريخ الأموي والتاريخ العباسي في دار المعلمين العالية في بغداد ، ومنذ عام ١٩٤١م عاد إلى مدارس جمعية المقاصد الخيرية الإسلامية .

وفي عام ١٩٥١م ـ ١٩٦٠م كان أستاذاً زائراً في جامعة دمشق للتاريخ الأموي وتاريخ الأندلس إلى جانب وجوده مدرساً في المقاصد ، ومنذ عام ١٩٦١م كان أستاذاً محاضراً في جامعة بيروت العربية للتاريخ العربي في

---

(١) المجمعون في خمسين عاماً ، ص ٢٢٠ ، د . محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

جانبه الحضاري ولتاريخ العلوم عندالعرب وفي ١٩٧٠ ــ ١٩٧١م أستاذاً لتاريخ العلوم عند العرب في كلية التربية بالجامعة اللبنانية (١) .

ونظراً لمكانة الدكتور عمر فروخ العلمية والثقافية نجده عضواً في كثير من المؤسسات العلمية والتربوية ، ففي سنة ١٩٤٦ ــ ١٩٦٩م كان عضو مجلس نقابة المعلمين في بيروت وفي ١٩٤٦م عضو المؤتمر الثقافي الأول (بيت مري ــ لبنان) .

وفي ١٩٤٨ عضو اللجنة الوطنية ، عضو الوفد الرسمي إلى الدورة الثالثة للأونسكو(بيروت) .وعضو المجمع العلمي العربي(مجمع اللغة العربيـــة) بدمشق وعضو جمعية البحوث الإسلامية في بومباي (الهند) .

ومن عام ١٩٥٤ ــ ١٩٦٥ عضو المجلس الإسلامي في بيروت .

١٩٦٠ ــ ١٩٦٨ عضو جمعية أصدقاء الكتاب في بيروت .

١٩٦٠ عضو مجمع اللغة العربية في القاهرة .

١٩٦٥ عضو جمعية البر والاحسان وأحد ممثليها في مجلس الإدارة في جامعة بيروت العربية (٢) . كما نال عدة أوسمة وجوائز على جهوده العلمية العظيمة فقد نال وسام المعارف (لبنان) من الدرجة الأولى سنة ١٩٤٨ .

---

(١) انظر عمر فروخ واثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ١٠ ، ١١ ، ١٢ ، بقلمه .

(٢) السابق ، ص ١١ ، ١٢ .

وفي سنة ١٩٦٨ نال وسام نجم باكستان من رتبة قائد أعظم ، وفي سنة ١٩٧٠ حاز على جائزة رئيس الجمهورية التي تمنحها جمعية أصدقاء الكتاب (بيروت ـ لبنان) على مجموع آثار مؤلف لبنانى تميزت بالجودة وصدرت باللغة العربية (١) .

وحضر عدداً كبيراً من المؤتمرات الثقافية في لبنان وباكستان والعراق وسوريا ومصر وتونس وليبيا والسعودية (٢) .فقد كان عمر فروخ ـ رحمه الله ـ عالماً مؤلفاً باحثاً دؤوباً له جهود واضحة في ميادين متعددة ومؤسسات مختلفة .

وهذا ما أستطعت أن أحمل عليه فيما يتعلق بعمله وثقافته .

٦ ـ معتقده وخلقه :

إن الدكتور عمر فروخ رجل متدين متمسك بدينه لا يخشى فيه لومة لائم ولا يضع أي اعتبار لأي شيء مهما كان فوق اعتبار العقيدة الإسلامية والمثل والأخلاق الإسلامية ، وهذا ما لمسته من خلال قراءتي المستمرة عنه فهو إسلامي في معتقده وعمله . يقول الدكتور علي زيعور عن معتقده : " لم يستطع أن يفصل جهوده عن جهود الفقه ، أو مسار التشريع ، ووظائف

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ١١ ، ١٢ .

(٢) من مقال / محمد حمد خضر في المجلة العربية ، العدد ١٢٤ جمادى الأولى ، ١٤٠٨هـ ، يناير ١٩٨٨م .

مؤسسة الإفتاء ، بربط نفسه بكل ذلك ، وكل ذلك يؤثر فيه ، المحاكم الشرعية والمحاكمات الشرعية ، وقضايا الأسرة والأمور الشخصية كلها مهمة ويبدي فيها الرأي والنظر ، لقد عمل قلمه بحثاً وكتابةً ، توضيحاً ونقداً ، في تلك المجالات الدينية " (١) .

ولا غرابة في ذلك أبداً فقد نشأ أستاذنا الفاضل في بيت علم وفقه ودين وقد تربّى تربية إسلامية وحفظ القرآن الكريم صغيراً .

ويذكر الدكتور علي زيعور خلقه بقوله : " النشاط والحركة والتواضع والتحلي الصادق بأخلاق السلف الصالح . . وتلقى في الطريق ذلك الرجل لطيفا ، يتأبط كتبه تارة وتارة أخرى حاجات البيت ، نشيطاً ، يعيش حياة غني ذي حياء وعفة ، ومن السهل أن يتحول ذلك الوديع المظهر والثوب إلى مرابط تقي لا تأخذه في الحق لومة لائم ويسير وفق مبدأ يقضي بأن الله وحده من وراء القصد (٢) .

فمن صفات الدكتور عمر فروخ النشاط في العمل ومن خلقه التواضع " إن التواضع أوضح صفة في شخصية ذلك الرجل يحمل أغراض المنزل أو حاجاته اليومية بيد ، ويتأبط باليد الأخرى كتباً كثيرة وثقيلة أحياناً على

---

(١) صراع التيارات المتشددة ، عمر فروخ ، د . علي زيعور ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٨٨ .

(٢) صراع التيارات المتشددة ، د . عمر فروخ ، د . علي زيعور ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٣٩ .

رجل يمشى طويلاً من مركز العمل إلى البيت " (٢) . فأى تواضع ولين بعد هذا كله ؟ !

ويكفى أن أذكر بعض الوقائع والحوادث لتكون الضوء الكاشف عن خلق الدكتور عمر فروخ ومعتقده رحمه الله ، ففي أثناء دراسته بألمانيا طلب منه أستاذه المستشرق "يوسف هل" أن يعالج المشكلة التى عرضها على طلابه الألمان فلم يجد فيهم الهمة لمتابعتها وحلها وقال له : إنه موضوع يحتاج إلى رجل عربي سريع المضي في المصادر العربية ، هذا الموضوع هو المشكلة التالية : يرى نفر من المستشرقين أن الإسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي قياساً على أن النصراية لم تبدأ في الانتشار بين الناس إلا في القرن الرابع الميلادى فهل تستطيع أنت أن تعالج هذا وتضع هذه المشلكة على أحد جانبيها ؟ .

يقول الدكتور عمر فروخ : بدأت العمل وجمعت عشرة آلاف بيت شعر مؤرخة بالسنوات منذ السنة الأولى للهجرة (٦٢٢م) إلى موت الخليفة عمر بن الخطاب سنة ٢٣هـ (٦٤٤م) ، دخل في رسالتي أربعمائة بيت من تلك الأبيات دلت بحزم ووضوح على أن تعاليم الإسلام كانت تستقر في نفوس المسلمين في الوقت الذي كانت تلك التعاليم تفرض عليهم أو ينزل فيها وحي . ويعقب الأستاذ مصطفى يعقوب على هذه الحادثة بقوله : " ويتضح من هذا أن

(١) السابق ، ص ٨٩ .

يوسف هل أراد شيئاً في نفسه وأراد عمر فروخ شيئاً آخر ، فقد أراد المستشرق إثبات أن الإسلام لم يستقر في النفوس إلا بعد قرنين من الزمان تقريباً قياساً على المسيحية ، ونرجح أن هذا المستشرق ليس إلا واحداً من هؤلاء المستشرقين الذين راودتهم هذه الفكرة ، أي أنه يرى هذا الرأي فأحجم عن الكتابة فيه خشية ألا يكون مقنعاً لغيره باعتباره ليس عربي وليس بمسلم فأراد أن يتولى هذا الأمر ـــ نيابة عنه ـــ عربي أولاً ومسلم ثانياً باعتباره " شاهدمن أهلها " ولكن عمر فروخ قد أراد شيئاً آخر وهو ابتغاء مرضاة الله في دينه وابتغاء وجه الحقيقة فأثبت غير ما أراد المستشرق(١)

وهناك حادثة أخرى للدكتور عمر فروخ مع أستاذه "يوسف هل" أثناء دراسته في ألمانيا يذكرها الدكتور عمر فروخ في كتابه غبار السنين : "كنت مرة في بيت أستاذى يوسف هل أقرأ عليه فصلاً من رسالتى ، فمرّ في أثناء الكلام ذكر محمد رسول الله ، قال : يا عمر أنت تكتب رسالة علمية ، وتقول محمد رسول الله فطويت الأوراق التي كانت بين يدي ونهضت قائماً . فقال لي : لم فعلت ذلك ؟ قلت له لأنى أريد أن أرجع إلى بيروت فقال مستغرباً : لماذا ؟ قلت له لا أريد أن أدرس على أستاذ يضيق صدره إذا أنا قلت "محمد رسول الله" وهو يعتقد (وكان يوسف هل كاثوليكياً) أن المسيح هو الله بالذات .قال لي : أقعد واكتب ما بدا لك " (٢) .

---

(١) مقال بعنوان : جوانب مجهولة في حياة وفكر عمر فروخ لمصطفى يعقوب ، المجلة العربية ، رمضان ، ١٤١١هـ ، العدد ١٦٤ .

(٢) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٦٦ .

لله درك أيها الأستاذ العظيم الفاضل ، لقد قرر الدكتور عمر فروخ عدم الاستمرار في دراسته وما سيحصل عليه من درجة علمية إذا كان نظير ذلك المساس بمعتقده ودينه ، وهذا الاصرار القوي من الدكتور عمر فروخ على دينه وخلقه ومبادئه كان سبباً في رأيي من أسباب تفوقه ونجاحه في شتى المجالات وإكباره في نظر الكثيرين وعلى رأسهم أستاذه والمشرف على رسالته "يوسف هل" الذى ودع الدكتور عمر فروخ عند عودته إلى بيروت بعد انتهائه من الدراسة في ألمانيا بدمعة إكبار وإجلال (. . كنت أغادر ألمانيا فذهب معي أستاذى إلى محطة السكة الحديدية ، وتحدثنا ثم اقترب موعد تحرك القطار ، صعدت إلى عربة القطار واستمررنا في الحديث ، ولما حضر القطار وأرتج يريد أن يسير دمعت عينا أستاذي ، فقلت له لماذا تبكى ؟ أنا ذاهب إلى الشرق أحمل علمك واسنك ، فقال لي : إن ما خبرته منك في عامين كنت أقرأ مثله في الكتب فقط (١) فمن خلال العامين اللذين عاشهما الدكتور عمر فروخ مع أستاذه "يوسف هل" تعرف الأخير على كثير من الخُلق المسلم ، تعرّف على الجد عند المسلمين في العمل، والإتقان والأمانة في كل شيء (في العلم والعمل والحياة العامة) تعرف على تمسك المسلم بدينه في بلد الكفر والتحرر والتحلل والإلحاد ، ومن مستظرف الحديث أن أذكر أن الدكتور عمر فروخ رفض الزواج من أبنة أستاذه والتى اسمها "عائشة"(٢)

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

فهو يرفض مبدأ الزواج بأجنبية ــ مهما كانت الأسباب والدوافع ــ رغم الاغراءات التي وجدها فهو يرفض الزواج بغير المسلمة (١) . فهو ينظر إلى الأمور بتعقل ويفكر بعقله لا بقلبه وما ذلك إلا أنه مسلم متمسك بدينه وبتعاليم الدين الإسلامي ويحافظ على خلقه ومبادئه عالم بمدى تأثير الأم على أولادها إن لم يكن لها تأثير أيضاً على زوجها وعلى تصرفاته ، فلم يشأ الدكتور عمر فروخ أن يخرج من إطار مجتمعه الإسلامي المتمسك مهما كانت الأسباب والدوافع .

فهذا هو خلق الرجل رحمه الله ، ومن خلقه أيضاً غيرته الشديدة على لغة القرآن الكريم ، فقد تصدى لحيلة من حيل الدكتور طه حسين في تشويه اللغة العربية مما يوضح حرص الدكتور عمرفروخ ودفاعه القوي عن لغة الضاد يقول : " تقدم طه حسين ــ وكان في ذلك الحين رئيساً للمجمع باقتراح يطالب فيه إضافة أحرف على الأبجدية العربية ، فنهضت أنا أسأل عن سبب ذلك فقال لي طه حسين :(بالحرف الواحد) : إذا لم تكن عندنا هذه الأحرف الزائدة فكيف تكتب اسماً أجنبياً مثل اسم "فيكتور هيجو" باللغة العربية كتابة صحيحة ؟ فقلت أنا : لو فرضنا جدلاً أن زيادة الأحرف التى تقترحها تحل مشكلة الأسماء في اللغة الفرنسية ، وهذا غير صحيح ، فكيف

(١)المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

تحل مشكلة الأسماء من اللغة التركية والفارسية والانكليزية والألمانية والأسبانية والصينية . . ثم طلبت التصويت على إقتراح لي بصرف النظر عن اقتراح طه حسين .

وخذل اقتراحي في التصويت ، عندئذ نهض عباس محمود العقاد وقال : فلان على حق فلا يجوز لنا أن نفتح ثغرة في اللغة العربية مثل هذه الثغرة ــ فقيل له إن هذا الإقتراح ليس ابن ساعته الآن ، ولكنه إقتراح لجنة رئيسها طه حسين قال العقد : وماقيمة ذلك ؟نعين لجنة ثانية ، ونجح دفاع العقاد فأعيد التصويت وسقط الاقتراح بإدخال أحرف غريبه على الأبجدية العربية (١) .

وهذا الدفاع عن الحق ، عن اللغة العربية كفيل بأن يضع الدكتور عمر فروخ موضع العلماء والمناضلين المدافعين عن الإسلام ولغة القرآن .

وفي أثناء وجوده في ألمانيا للدراسة تعرض للكثير من المواقف التي أثبت من خلالها أنه مسلم محافظ على دينه رغم المغريات التى يجدها المسلمون عادة في بلاد الغرب .ويسرنى أن أدون في دراستى هذه بعض هذه المواقف التى تُلقى الضوء على أخلاقيات الدكتور عمر خارج بلاد المسلمين:
ففي ألمانيا كان يدرس ويحضر للكثير من الأساتذة فلنقرأ هذا الموقف الذى

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ١٤٨ ، ١٤٩ .

كان له مع "روست" (أستاذ العهد القديم) والذي يذكره في غبار السنين " وفي يوم من الأيام قال لنا روست(أستاذ العهد القديم) غداً مساء سنتناول طعام العشاء في بيتي ، ثم التفت إليّ وقال :أريد أن أراك بعد الدرس ، وبعد الدرس قال لي : أنا دعوتكم دعوة عامة ، ولكنى أريد أن أقول لك كن واثقاً من أنه لن يكون على المائدة خمر ولا خنزير ، ولا شيء آخر يدخل في إعداده خمر أو خنزير (١) .

فلولا معرفة(روست) بأخلاقيات الدكتور عمر فروخ وسلوكه وعدم رضائه بالجلوس إلى مائدة عليها شيء محرم في الدين الإسلامى لما دعاه وحده وطمأنه بأن المائدة لن يكون عليها شيء من ذلك ، فهذا احترام من الاستاذلطالبه وتقدير ، والانسان عادة هو الذي يفرض على الآخرين احترامه أو عدم احترامه عن طريق أقواله وأفعاله وتعامله معهم وسلوكه العام .

وقد سأله أحد الألمان : كيف تنفق أنت من "مائتى مارك" هذا الأنفاق الكريم وفلان لا يستطيع أن ينفق من "ألف ومائتى مارك" إلا إنفاقاً عسيراً ؟ ، فقال له يا صاحبى ليس في الأمر سر ، أنا أعيش هنا وحدى وهو يعيش مثنى وثلاث ورباع (٢) .

(١) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٦٣ .

(٢) غبار السنين ، د . عمر فروخ ، ط ١ ، دار الأندلس ، ص ٧٠ .

وبعد فهذه مقتطفات تبين أخلاقياته وسلوكياته وفي رأيي أنه لولا هذا السلوك القويم ، والنهج السليم الذي كان ينهجه رحمه الله لما وصل إلى هذه الدرجة العالية من العلم ، فهو علم من أعلام العصر الحديث في مجال الأدب والتاريخ والفلسفة إلى جانب العقيدة والفقه والتشريع الإسلامى والرد على المستشرقين .



الفصل الثاني

حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية

١ ــ مؤلفاته

أ ــ في الفلسفة والتاريخ والاجتماع .
ب ــ في موضوعات اللغة والأدب والشعر .
ج ــ في الاعلام .
د ــ في الدراسات الإسلامية .
هـ ــ في التأليف المدرسي .
و ــ الكتب المترجمة .
ز ــ كتب أخرى .

٢ ــ بحوثه



الفصل الثاني

حياته العلمية وجهوده الفكرية والثقافية

إن الدكتور عمر فروخ عالم ومفكر وناقد وفيلسوف وأديب . فقد برع في هذه الفنون جميعاً ، فهو عالم في كثير من الميادين : الدينية والاجتماعية والسياسية والتاريخية والرد على المستشرقين ، وما رسالته العلمية لنيل شهادة الدكتوراه إلا رد على المستشرقين . هذا بالإضافة إلى أنه ناقد في المجالات الاجتماعية والأدبية فله العديد من المؤلفات النقدية كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته .

وهو فيلسوف فقد عايش ـ رحمه الله ـ فكر بعض الفلاسفة أمثال : ابن سينا والفارابي ، وابن خلدون وأبي العلاء المعرى . . هذا إلى جانب تأليفه في المجال الفلسفي . وأديب إذ إنه طرح للقراء والدارسين والباحثين موسوعة ضخمة في تاريخ الأدب العربى مكونة من ثمانية أجزاء إلى جانب ترجمته لكثير من الأدباء ، أمثال بشار بن برد ، وأبي نواس ، وأبي تمام ، وأبي فراس الحمداني ، وأحمد شوقي . . كما أنه شاعر مجيد فقد ترك لنا ديوان شعر بعنوان "فجر وشفق" .

لقد كان ـ رحمه الله ـ موسوعة علمية في شتى المجالات كما سنرى عند الحديث عن مؤلفاته ، فقد ألف في التاريخ والحكمة والفلسفة والاجتماع

والفلك ، والأدب واللغة والشعر ، وفي الرد على المستشرقين ، وفي التشريع الإسلامي والترجمة وإن ما تركه من مؤلفات وبحوث لدليل أكيد على سعة علمه وتعدد ثقافاته ومواهبه ، إذ إنه أثرى المكتبة العربية بما يربو على خمسة وثمانين كتاباً غير البحوث والمقالات والخطب والندوات التي كان يلقيها في المحافل العلمية والثقافية .

وقد فكرت ملياً في تصنيف كتبه ـ رحمه الله ـ وأخيراً أهتديت إلى تصنيفها بحسب الموضوعات فكانت على النسق التالي : ـ

أ ـــ مؤلفاته في الفلسفة والتاريخ والاجتماع (١)

وقد كان لهذه الموضوعات جانب عظيم في فكر وتأليف الدكتور عمر فروخ فمعظم مؤلفاته ـ رحمه الله ـ تدور حول الفلسفة والتاريخ والاجتماع(٢)

١ ـــ أثر الفلسفة الإسلامية في الفلسفة الأوربية :

هذه دراسة موجزة في ثقافة العصور الوسطى التي أقتضت لجوء الأوروبيين

---

(١) رتبت الكتب هجائياً بحسب أسمائها .

(٢) لقد اعتمدت في كتابه مؤلفات الدكتور عمر فروخ والتعريف بها على ثلاثة مصادر رئيسية هي : ـــ

أ ـ صراع التيارات المتشددة والدكتور عمر فروخ ، للدكتور على زيعور ، ط١ ، دار الأندلسي .

ب ـــ عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً "بقلمه" (١٩٣١ ـ ١٩٧١) بيروت .

جـ ـ المجمعيون في خمسين عاماً ، د . محمد مهدى علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ، القاهرة ، ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

إلى الفلسفة الإسلامية وفي الميادين التي التقى فيها الشرق بالغرب حتى تم انتقال الآراء الصحيحة من المسلمين إلى النصارى ، ثم أثر العلماء المسلمين في أندادهم في أوروبا ثم كلام على أثر فلسفة ابن رشد خاصة بين تقبل النصارى لها ، ثم مقاومة الكنيسة لها ، ثم فضل العرب على العلم والفلسفة ثم كلام على ثلاثة مفكرين "أوربيين" هم : موسى بن ميمون ، القديس توما ، وألبرت الكبير ، (وكانت طبعته الأولى عام ١٩٤٣م) (١) .

٢ ـــ تاريخ الإسلام المصور :

في خمسة أجزاء سلسلة للمطالعة العامة وهي للقراء الصغار ، وفيها العرض البسيط (وطبعت عام ١٩٤٥م) (٢) .

٣ ـــ تاريخ الجاهلية :

فصول هذا الكتاب هي : المصادر والمراجع (طبقاتها واستخدامها) جزيرة العرب ثم الساميون (الأعرابيون ، على الأصح) والعرب ، ومجرى التاريخ في

---

(١) صراع التيارات المتشددة ، د . عمر فروخ للدكتور علي زيعور (مرجع سابق) ، ص ١٧٥ .
(٢) السابق ، ص ١٩١ .
ويلاحظ القارىء أنى لم أصنف بعض الكتب المدرسية مع تأليفه المدرسى وإنما وضعتها في مؤلفاته الأخرى وذلك لأن هذه الكتب تفيد القارىء العام أيضاً ، وليست مخصصة لطلاب المدارس فقط فاعتبرتها من مؤلفاته العامة وليس من مؤلفاته المدرسية .

نجد وفي الحجاز . . حضارة الجاهلين ، (والطبعة الأولى منه كانت عام ١٩٦٤م) (١) .

٤ ـــ تاريخ صدر الإسلام والدولة الأموية :

هذا الكتاب أيضاً كان استجابة لتبديل المنهاج في الجامعة ، كما أنه يفيد القارىء بصفة عامة ، (وصدرت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م) (٢) .

٥ ـــ تاريخ العرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط :

إن هذا الكتاب لا يقوم على الرواية فقط بل هو مبني على تعليل الوقائع التاريخية وعلى ربط النتائج بالأسباب .هذا الكتاب يتناول أربعين سنة من تاريخ المغرب والأندلس في الحكم الإسلامى (وطبع عام ١٩٥٨م)(٣) .

٦ ـــ تاريخ العلوم عند العرب :

ويتضمن استعراضاً لتاريخ علوم التعاليم(العلوم الرياضية والطبيعية) منذ أقدم الأزمنة مع التوسع في الجوانب التي برع فيها المسلمون إلى أيام ابن خلدون ثم يلى ذلك تلخيص خمسة كتب :علم العدد لنيقوما خوص الجرشى (نقله إلى العربية ثابت بن قرة) وكتاب الجبر والمقابلة(للخوارزمي) ، وكتاب

(١) السابق ن ص ١٨٩ .
(٢) السابق ، ص ١٩٠ .
(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها .

البصريات(لابن الهيثم) وكتاب الآثار الباقية(للبيرونى) ، ومقدمة ابن خلدون وهذا الكتاب ليس عرضاً فحسب . بل فيه قضايا علمية مشروحة علمياً ، مع شيء من الموازنة بين ما نقله اليونان خاصة وما أضافه العرب ، (وكانت الطبعة الأولى من الكتاب عام ١٩٧٠م) (١) .

وقد أخرج مختصراً للكتاب السابق في عام ١٩٧١م بعنوان :

٧ ـــ تاريخ العلوم عند العرب في مناهج الباكالوريا [٢] .

٨ ـــ تاريخ الفكر العربي [إلى أيام ابن خلدون]

وقد كانت الطبعة الأولى عام ١٩٦٢م ، والطبعة الثانية عام ١٩٦٦م (٣) .

٩ ـــ تجديد التاريخ :

بعد فصل طويل في " علم التاريخ " وفي " قواعد التأريخ " (بالهمزة) يأتي عدد من الفصول في التاريخ القديم والتاريخ الوسيط وفي التاريخ الحديث من الشرق والغرب ومن الإسلام والنصرانية ، (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٨٠م) (٤) .

---

(١) صراع التيارات المتشددة ، والدكتور عمر فروخ ، للدكتور علي زيعور ، ط١ ، دار الأندلس ، ص١٨٨ .

(٢) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) السابق ، ص ١٧١ .

(٤) السابق ، ص ١٨٨ .

١٠ ـــ عبقرية العرب في العلم والفلسفة :

إن هذا الكتاب للقارىء العام ، ومع ذلك ففيه استعراض لقضايا معينة من العلوم ومن الفلسفة مع الموازنة بين ما عرفه العرب وما عرفه العلماء والفلاسفة في العصور الحديثة ، وهو منقول (مترجم) إلى اللغة الانجليزية ، وقد كانت الطبعة الأولى عام ١٩٥٤م (١) .

١١ ـــ العرب في حضارتهم وثقافتهم :

فصول هذا الكتاب تشبه فصول الكتاب السابق ، ويزيد هذا الكتاب على الكتاب السابق في معالجة الحياة في دولة الخلفاء الراشدين وفي الدولة الأموية (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٦٦م) (٢) .

١٢ ـــ العرب والفلسفة اليونانية :

هو الكتاب السابق في نسخة "محررة" (ط١ ـ ١٩٦٠م) (٣).

١٣ ـ العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر الأبيض المتوسط :

كانت الحاجة إلى هذا الكتاب نابعة من حاجة جامعية في تبدل منهاج التاريخ ، وفي هذا الكتاب إلحاح على الجانب السياسي من تاريخ صدر

---

(١) السابق ، ص ١٧٠ .

(٢) السابق ، ص ١٨٩ .

(٣) السابق ، ص ١٧١ .

الإسلام (وقد صدرت طبعته الأولى عام ١٩٥٨م) (١) .

١٤ ـــ الفكر العربي في منهاج الباكلوريا اللبنانية :

هو كتاب موجز من الكتاب السابق ، هدفه فائدة طلاب الباكالوريا في الأكثر ولكنه ليس لهم فقط ، (وقد كانت طبعته الأولى عام ١٩٦٦م)(٢) .

١٥ ـــ الفلسفة اليونانية في طريقها إلى العرب :

وهو عبارة عن استعراض بشيء من التفصيل للفلسفة اليونانية ، ثم فصل واسع في نقل الفلسفة اليونانية إلى اللغة العربية ، وقد كانت الطبعة الأولى منه في ١٩٤٧م (٣) .

١٦ ـــ كلمة في تعليل التاريخ :

وهو عبارة عن كتيب يشرح أنواع التعليل لأحداث التاريخ الواقعة فهناك التعليل الجغرافي ، والتعليل الدينى ، والتعليل الفلسفى ، والتعليل النفساني ، والتعليل العلمي ، والتعليل الاجتماعي وغيرها .(وكانت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م) (٤) .

---

(١) صراع التيارات المتشددة ، ودكتور عمر فروخ ، ص ١٨٩ .

(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ، ص ١٤ .

(٣) صراع التيارات المتشددة ، وعمر فروخ ، ص ١٧٠ .

(٤) السابق ، ص ١٨٩ .

١٧ ــــ المنهاج الجديد في الفلسفة العربية :

وهو أيضاً كتاب موجز آخر يستجيب لتطور المنهاج في الباكالوريا اللبنانية ويتبع مداه إلى القارىء العام ، (وكانت طبعته الأولى عام ١٩٧٠م) (١).

١٨ ــــ موضوعات محللة في تاريخ الفلسفة الإسلامية :

هذا الكتاب مخططات موجزة لعدد كبير من موضوعات الفلسفة الإسلامية وضع في الأصل لفائدة طلاب الباكالوريا اللبنانية ، (وطبعته الأولى عام ١٩٤٩م) (٢) .

١٩ــــ وثبة المغرب :

هنا يقول المؤلف : في العام ١٩٥٧ قمت بزيارة للمغرب ولتونس (قبل استقلال الجزائر والسماح للمسلمين بزيارتها) واستكعت أن أتطوف بهما حيناً ووصلت في المغرب إلى(تينمل)في الأطلس الكبير ، ولما عدت ألفت هذا الكتاب لأقصى طرقاً من تاريخ المغرب وأصف بلاده على عتبة الاستقلال

ب ــــ مؤلفاته في موضوعات اللغة والأدب والشعر

إن للدكتور عمر فروخ مجهوداً واضحاً وبارزاً في مجال اللغة والأدب والشعر فقد كان مدافعاً عن لغة الضاد مبرزاً مواضع جمالها وبلاغتها وتأثر

(١) السابق ، ص ١٧١ .

(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مرجع سابق) ، ص ١٩١ .

اللغات الأجنبية بها إلى جانب اهتمامه بالأدب والأدباء والشعر والشعراء ، ونلمس ذلك من خلال كتبه الكثيرة التي خص الأدب والشعر بجانب كبير منها كما سنرى في الأبواب القادمة .

هذا وقد كان الدكتور عمر فروخ شاعراً ولكن اهتمامه بقول الشعر كان اهتماماً جانبياً لا أساسياً وهو يقرر ذلك بقوله "ومع أننى بدأت نظم الشعر باكراً ــ عام ١٩٢٠م أو قبل ذلك ــ أيضاً فإن الشعر كان دائماً نشاطاً جانبياً لي" (١) .

ومع أن النشاط الشعرى لدى الدكتور عمر فروخ نشاط جانبى إلا أنه أخرج لنا ديواناً طيباً نظم فيه الشعر العمودى في كثير من الأغراض إلى جانب تضمين الديوان مجموعة من الأشعار المنقولة عن الانكليزية والفارسية والألمانية .

والمؤلفات هي : ــــ

ا ــــ الأسئلة الثلاثة :

مشهد تمثيلي للأطفال ، وهذا المشهد يمثل الوزير الذي يضمر الشر للآخرين والذي يفترض فيه أن يكون مخلصاً لهم ، هذا إلى جانب الخادم المخلص الذي يصدر في أعماله عن براءة وحب للخير (٢) .

---

(١) فجر وشفق (ديوان) ، د . عمر فروخ ، ص ١٤ .

(٢) صراع التيارات المتشددة ، وعمر فروخ ، ص ١٨٤ .

٢ ـــ الأناشيد المصورة :

أناشيد للأطفال بعضها منقط بالعلامات الموسيقية (بالاشتراك مع مدحت البنا) والألحان فيها للدكتور حمدى الخوجه (١) .

٣ ـــ تاريخ الأدب العربي :

هذا في الحقيقة موسوعة في الأدب العربى ، صفحاتها ٤٨٠٠صفحة يبدأ كل جزء بصورة للعصور التي يعالجها من النواحى السياسية والثقافية والاجتماعية والأدبية ثم يلى ذلك تراجم الأدباء (١٢٣٠ترجمة) . وليس في هذا الكتاب "إنشاء لفظى" بل حقائق في ألفاظ مركزة ، وفي كل جـزء فهرس هجائي للاعلام ، وأحياناً فهرس هجائى للكتب ، وصدر منه ستة أجزاء ينتهى عند الفتح العثمانى ، وقد بدأت هذه السلسلة بالظهور عام ١٩٦٥ ـ إلى عام ١٩٨٣م (٢) .

٤ ـــ الثعالب والأرانب :

مسرحية رمزية للأطفال . وهى تدور على الجماعات القوية والجماعات الضعيفة والجماعات الذكية والجماعات الغبية بأسلوب رمزي على لسان الحيوانات (ط١ ، ١٩٨٤) (٣) .

---

(١) السابق ، ص ١٨٤ .
(٢) السابق ، ص ١٧٦ .
(٣) السابق ، ص ١٨٤ .

٥ ـــ الرسائل والمقامات :

دراسة قصيرة تتناول الترسل الذي هو كتابة الرسائل الديوانية أو الرسمية والرسائل الاخوانية متصلة بالصناعة وبوجوه البلاغة ، ذلك النوع بدأ في أعقاب العصر الأموى ، ثم نشأت معه المقامات التي هي فن كان بدوره مثقلاً بالصناعة وبوجوه البلاغة ، وكل مقامة كانت في الحقيقة ــ بحسب المؤلف ــ مسرحية قصيرة ، في هذه الدراسة كلام على ثلاثة ناثرين : عبدالحميد الكاتب ، وبديع الزمان الهمزاني ، والحريرى ، (وطبعته الأولى كانت عام ١٩٤٢م) (١) .

٦ ـــ سفينة الحيوانات :

هي مغناه شعرية للأطفال ، وهذه المغناه تدور على سلوك الناس (على لسان الحيوانات) فيما يتعلق بالطوفان في أيام نوح ، هذه المغناه مثلت في بيروت وفي العراق وذكرها بروكلمان في كتابه "تاريخ الأدب العربي" (١٩٣١م) (٢) .

٧ ـــ شعراء البلاط الأموي :

تحوى هذه الدراسة القصيرة : تحدر العصبية (القبلية) من الجاهلية إلى الإسلام ، ثم ثلاثة فصول في الأخطل والفرزدق وجرير ، ثم فصل وافٍ عن

(١) السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) السابق ، ص ١٨٤ .

النقائض (والطبعة الأولى منه كانت عام ١٩٤٣م) (٢) .

٨ ـــ عبقرية اللغة العربية :

مجموعة بحوث وُضِعَت في الأصل لمجمع اللغة العربية أو لتكون أساساً لدراسات واسعة : الثقافة اللغوية والعقلية اللغوية (٣) .

٩ ـــ فجر وشفق :

وهو ديوان شعر للدكتور عمر فروخ وأبواب الديوان : من ثنايا التاريخ ، أحاديث النفس ، وأبيات متفرقة ، ومن حدائق الشرق والغرب ، وأوهام من مطارح الخيال وأخيراً مداعبات . وقد كانت طبعته الأولى عام (١٩٨١م) (٤)

١٠ ـــ القومية الفصحى :

الفكرة الأساسية في هذا الكتاب أن الأمة تظل موحدة مادامت لغتها واحدة ثم تتوزع إذا كتبت باللهجات المختلفة (وقد كانت طبعته الأولى عام ١٩٦١م)

١١ ـــ معالم الأدب العربي في العصر الحديث :

كان هذا الكتاب من مشاريع الدكتور عمر فروخ المستقبلية كما هو مذكور في كتاب صراع التيارات المتشددة (٤) وعمر فروخ للدكتور على زيعور على

(١) السابق ، ص ١٧٨ .

(٢) السابق ، ص ١٧٥ .

(٣) عرفت بالديوان من خلال اطلاعى عليه .

(٤) صراع التيارات المتشددة ودكتور عمر فروخ ، (مصدر سابق) ، ص ١٧٦ .

لسان الدكتور عمر فروخ ، لقد وضعت أيضاً مشروع سلسلة في الأدب العربى الحديث ، وقد أنهيت جزأين منها يتعلقان بالقرن الهجرى العاشر والقرن الهجرى الحادى عشر (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين) وسأقدمهما للطبع إن شاء الله مع بدء موسم الطباعة الخريف المقبل (١) .

أما الدكتور عدنان الخطيب فيقول عن هذا الكتاب : "عزم الفقيد بعد إلحاح نفر من أصدقائه العلماء وتشجيع الناشر على تهيئة سلسلة جديدة تحمل عنوان : "معالم الأدب العربى في العصر الحديث ، وقد رسم الخطة لها لتكون أجزاؤها كما يلى : ــ

الجزء الأول : ويبحث في أدب "القرن العاشر للهجرة" .

الجزء الثانى : ويبحث في أدب "القرن الحادى عشر للهجرة" .

الجزء الثالث : ويبحث في أدب "القرن الثانى عشر للهجرة" .

الجزء الرابع : ويبحث في أدب "القرن الثالث عشر للهجرة أي الأدب العربى في القرن التاسع عشر للميلاد" .

الجزء الخامس : ويبحث في أدب "القرن الرابع عشر للهجرة أي الأدب العربى في القرن العشرين للميلاد ١٨٨٤ ــ ١٩٨٠م" (٢).

---

(١) السابق ، ص ١٩٨ .

(٢) الدكتور عمر فروخ وكفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام (مصدر سابق) ، ص ٣٧ .

وباعتبار أن بحثي يتعلق بدراسات الدكتور عمر فروخ الأدبية والنقدية فإنني قد بحثت ونقبت إلى أن عرفت بأن الجزأين اللذين ذكرهما الدكتور علي زيعور قد ظهرا فعلاً واقتنيتهما فهما كما ذكر الدكتور عمر فروخ يتعلقان بالقرن العاشر والحادى عشر الهجريين .

أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة من هذا الكتاب فلم أجدها ومن الأرجح أنها لم تطبع أصلاً فقد وافاه الأجل ـ رحمه الله ـ قبل أن يهيأها للطباعة والنشر ، وعن منهجه فهو نفس منهجه في سلسلة تاريخ الأدب العربى من حيث الإطار العام والخطة المتبعة فيمكن أن نقول بأن الدكتور عمر فروخ ألف موسوعته في تاريخ الأدب العربى مكونة من ثمانية أجزاء وتاريخ صدور الجزأين هو ١٩٨٥م ـ ١٩٨٦م .

جـ ـــ الأعلام

لقد أفرد الدكتور عمر فروخ كثيراً من الأعلام بالدراسة المستقلة وقد تنوعت هذه الشخصيات فمنها الأدبية ، والفلسفية ، والاجتماعية ، والإسلامية .

١ ـــ ابن باجة والفلسفة المغربية :

وفي هذه الدراسة مقدمة في انتقال الفلسفة من الشرق إلى الغرب ،

والكتاب من أوائل من تعرض لابن باجة (١) .

٢ ـــ ابن تيمية :

يقول عمر فروخ : وضعت كتاباً يتناول حياة الفقيه المصلح أحمد بن عبدالحليم ابن تيمية (٦٦١ ــ ٧٢٨هـ) فلما قارب الانتهاء . صدر عن المملكة العربية السعودية "مجموعة فتاوى ابن تيمية" (في سبعة وثلاثين جزءاً) تضم في الحقيقة كتب ابن تيمية ورسائله وفتاويه ، عكفت على هذه المجموعة فقرأتها كلها ثم جمعت ما فيها من المواد على أوراق كبار ثم نسخت رؤوس الموضوعات على بطاقات . وأنا الآن في سبيل جمع آراء ابن تيمية في سياق منطقي كيلا يفوتني شيء من آرائه العلمية (٢) .

٣ ــ ابن حزم الكبير :

هذه الدراسة وافية في أدب ابن حزم ، وفي آرائه الفلسفية ، وآرائه العلمية ثم في آرائه الفقهيه أيضاً . وكانت طبعته الأولى عام (١٩٨٠م) (٣) .

٤ ـــ ابن الرومي :

الوصف الحسى أبرز خصائص ابن الرومى ، ويلحق بالوصف الحسى التحليل النفسى (وصف الأخلاق والأعمال) وابن الرومى من أقرب الشعراء

---

(١) صراع التيارات المتشددة ، ودكتور عمر فروخ (مرجع سابق) ، ص ١٧٤ .

(٢) السابق ، ص ١٩٦ .

(٣) السابق ، ص ١٧٤ .

إلى معالجة الموضوعات مستقلاً بعضها عن بعض ، ففي ديوانه قصائد يعالج بعضها موضوعاً واحداً ، ثم عدد من تلك القصائد الطوال تعالج أكثر من موضوع واحد ولكنها تستوفى معالجة كل موضوع قبل أن تنتقل إلى غيره (١) .

٥ ـــ ابن سينا :

يقول : بين يدي كتاب أدرس فيه ابن سينا العالم (في الرياضيات والفلك والفيزياء والكيمياء ـ وربما تطرقت إلى الطب) (٢) .

٦ ـــ ابن طفيل وقصة حي بن يقظان :

لهذا الكتاب طبعتان : الطبعة الأولى تكاد تكون قاصرة على الجانب الفلسفى من آراء ابن طفيل بما فيها من الجانب النظري والجانب العلمي من النشأة الطبيعية للانسان ، أما الطبعة الثانية ففيها فصل واسع عن الفكرة الفلكية (وطبعته الأولى كانتِ عام ١٩٤٦ ، والثانية ١٩٥٩م) (٣) .

٧ ـــ أبو تمام :

صدر هذا الكتاب عام ١٩٣٥م في طبعة موجزة في ١٠٠صفحة ، ثم أعيد طبعه مرتين موسعاً في ٢٠٠صفحة ، فيه ترجمة وافية جداً للشاعر ، وفيه

---

(١) السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) السابق ، ص ١٧٩ .

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مرجع سابق) ، ص ١٧٠ .

نظرة فاحصة في خصائصه وفنونه ومختارات كثيرة ثم فيه دراسة وافيه في صناعة أبي تمام (وجوه البلاغة في شعره) بالإضافة إلى فصل في أنصاره وخصومه (فيما يتعلق بإغراقه في الصناعة البلاغية) (١) .

٨ ـــ أبو فراس :

أبو فراس شاعر وجداني ، إنه في ذلك عند المؤلف فوق المتنبي ، وقد أشتهر أبو فراس بقصائده الروميات أو الأسريات (التي قالها أثناء أسره في بلاد الروم)ط١ ، ١٩٥٤م (٢) .

٩ ـــ أبو نواس :

صدر في الأصل في جزأين : ترجمة ، وخصائص ، وفنون ، ثم مختارات بعدئذ جُمع الجزءان في كتاب واحد (تبدأ هذه الدراسة بفصل هو اثنان وعشرون صفحة) في تطور شعر الخمر منذ الجاهلية إلى أبي نواس ، ثم يلي ترجمة أبي نواس خصائصه ومجالس الخمر ، فنونه ، ونماذج الشعر هنا موزعة في الفصول ، وليست مجموعة في مكان واحد (ط١ ، ١٩٣٢م) (٣) .

١٠ ـــ إخوان الصفا :

الغاية الأساسية من هذه الدراسة القصيرة والواسعة هي بسط آراء أخوان الصفا بسطاً وافياً ، ويسبق هذا البسط فصل في نشأة جماعة أخوان الصفا

---

(١) السابق ، ص ١٧٩ .

(٢) السابق ، ص ١٧٩ .

(٣) السابق ، ص ١٧٨ .

، واتجاههم وخصائصهم يعتبر هذا الكتاب رائداً ، وهو مدخل واضح واسع . (ط١ ، ١٩٤٥ ، ط٢ ، ١٩٥٣ ، ط٣ ، ١٩٨١م) (١) .

١١ ـــ أربعة أدباء معاصرون :

هم : إبراهيم اليازجيّ ، وولي الدين يكن ، ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وسليمان البستانى ، وفي الكتاب استعراض موجز للأدب الحديث ،بالإضافة إلى عدد آخر من تراجم أدباء آخرين ، وفي هذه الدراسة موجز لترجمة جبران خليل جبران ومقالة "لكم لبنانكم ولي لبناني" (٢) .

١٢ ـــ بشار بن برد :

فيها الشعر المحدث (المولد) أو انتقال الشعر من الخصائص القديمة إلى الخصائص الجديدة ، ثم ترجمة وافية لبشار ، خصائصه وأغراضه ، ثم هناك نماذج مشكولة ومشروحة (ط١ ، ١٩٤٤) (٣) .

١٣ ـــ الحجاج بن يوسف الثقفي :

ترجمة الحجاج وشخصيته الادارية والسياسية والحربية ثم عدد من خطبه (دراسة قصيرة) (ط١ ، ١٩٤١) (٤) .

---

(١) السابق ، ص ١٧٢ .
(٢) السابق ، ص ١٨٠ .
(٣) السابق ، ص ١٧٨ .
(٤) السابق ، ص ١٧٧ .

١٤ ــ حكيم المعرة :

تتناول هذه الدراسة الوافية أبا العلاء المعري من جانبه الفكـــري (الفلسفى) لا من الجانب الأدبي إلا قليلاً . وقد نقل هذا الكتاب إلى اللغة الفارسية ، وهو رائد في بابه ، ط١ ، ١٩٤٤م ، ط٢ ، ١٩٤٨م ، ط جديدة ١٩٧٨م) (١)

١٥ ــ خمسة شعراء جاهليون :

تبدأ هذه الدراسة بفصل في تاريخ الجاهلية وخصائصها ، ثم يلي ذلك خمسة فصول تتناول بالبحث : أمرأ القيس ، وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنترة ، وهنا ترجمة كل شاعر منهم وخصائصه ، ومختارات من معلقته مشكولة ومشروحة (ط١ ، ١٩٤٤م) (٢) .

١٦ ــ الشابي شاعر الحب والحياة :

يُعَد الكتاب أوفى ما كتب في الشاعر التونسى في تونس وفي خارج تونس اهتدى هذا الكتاب بديوان الشابى ، وبالأحوال المحيطة بالشابى ، وذلك من

(١) السابق ، ص ١٧٣ .
(٢) السابق ، ص ١٧٧ .

غير أن يُلقِي بالاً إلى الأحوال المحلية (ط١ ، ١٩٦٠م ، ط٣ ، ١٩٨٠م) (١)

١٧ ــ شاعران معاصران : أبوالقاسم الشابي وإبراهيم طوقان :

يتناول هذا الكتاب شاعرين معاصرين لنا ، كانا من أحياء النصف الأولى من القرن العشرين ، ووجه القران بينهما في كتاب واحد كثرة أوجه الشبه في حياتهما الخارجية وفي معظم شعرهما (١) ويشتمل الكتاب على ترجمة لكلا الشاعرين ثم ذكر خصائصهما مع نماذج شعرية لهما (ط١ ، ١٩٥٤م) (٢) .

١٨ ــ صفحات من حياة الكندي وفلسفته :

هو محاولة لحصر تأليف الكندى وترتيبها (ط١ ، ١٩٦٢م) (٣) .

١٩ ــ عبدالله بن المقفع وكتاب كليلة ودمنه :

إن عقدة هذه الدراسة القصيرة هى الفصل في نسبة كتاب كليلة ودمنه إلى عبدالله بن المقفع (ط١ ، ١٩٤٢م) (٤) .

٢٠ ــ عمر بن أبي ربيعة :

تبدأ هذه الدراسة القصيرة باستعراض خصائص الغزل في صدر الإسلام ثم تأتي ترجمة مفصلة لعمر،بعدئذ يأتي فصل في خصائص عمر،بالإضافة إلى حقائق يسيرة تتعلق بالنساء اللواتي جاء ذكرهن في شعره ، وبعدئذ تأتي

---

(١) هذا رأى شخصى للدكتور على زيعور (كتابه السابق) ص١٨٠ ، وسيتم تفنيد هذه القضية في الباب الثالث من هذا البحث .

(٢) شاعران معاصران ، إبراهيم طوقان وأبى القاسم الشابى للدكتور عمر فروخ ، ص ٤ .

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ، ص ١٧٢ .

(٤) السابق ، نفس الصفحة .

نماذج وافية من شعره (ط١ ، ١٩٤١م) (١) .

٢١ ـــ الفاربيان :

دراسة قصيرة ، لكن كانت طيلة فترة طويلة جزيلة النفع ، وما تزال رائدة جيدة والفاربيان هما : الفارابى وابن سينا(ط١ ، ١٩٤٤م ، ط٢ ، ١٩٥٠م)(٢).

٢٢ ـــ كلمة في أحمد شوقي :

يقول الدكتور عمر فروخ هنا أساس جديد لدراسة شعر شوقى بحسب "الصور" التى ينطوى عليها شعر شوقى (لا بحسب التقسيم المألوف للشعر لبقديم : مدحاً ، فخراً ، عزلاً . . . الخ) إن كل قصيدة من قصائد شوقى تعالج وجهاً من وجوه الحياة الاجتماعية في ماضى العرب أو حاضرهم ، بقطع النظر عن عنوان القصيدة وعن المناسبة التي قيلت فيها القصيدة (بيروت ، ط١ ، ١٣٦١هـ ـ ١٩٤٢م ، ط٢ ، ١٣٧٠هـ ـ ١٩٥٠م صفحاته ٦٤) (٣) .

٢٣ ـــ كلمة في مقدمة ابن خلدون :

في هذه الدراسةِ القصيرة ترجمة لابن خلدون مفصله الوقائع ، موجزة الألفاظ تم فيها عرض لآراء ابن خلدون ، ومختارات تمثل تلك الآراء ، هذا إلى جانب نظرة في تأليف المقدمة ، والمؤلف شديد الإعجاب والاعتزاز بصاحب المقدمة (ط١ ، ١٩٤٣م) (٤) .

---

(١) السابق ، ص ١٧٧ .

(٢) السابق ، ص ١٧٢ .

(٣) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مرجع سابق) ، ص ٢٤ .

(٤) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، ص ٧٤ .

د ـ الدراسات الإسلامية

ألف الدكتور عمر فروخ ـ رحمه الله ـ في الميادين الإسلامية من رد على المستشرقين وإيضاح لتعاليم وسماحة الإسلام وما رسالته العلمية التي تقدم لها لنيل شهادة الدكتوراه إلا في هذا المجال .

١ ـــ الأسرة في التشريع الإسلامي :

يعالج هذا الكتاب الأسرة كما نظر إليها الإسلام ، منذ الخطبة والزواج إلى تقسيم الإرث (ط١ ، ١٩٥١م ، ط٢ ، ١٩٧٤م) (١) .

٢ ـــ الإسلام والتاريخ :

الغاية ـ يقول المؤلف ـ: تبيان موقف الإسلام في القرآن الكريم من قضايا معينة : الله والإنسان والعمران (أو الاجتماع) والتاريخ (ط١ ، ١٩٨٣م) (٢)

٣ ـــ التبشير والاستعمار :

وُضِعَ بالاشتراك مع الدكتور مصطفى الخالدى ، يقول عنه المؤلف : إن هذا الكتاب بقى بين أيدينا في التصنيف عشر سنوات (١٩٤٤ ـــ ١٩٥٤م) وقد جمعناه من أقوال المبشرين (في كتبهم باللغات الأجنبية) ، هذا الكتاب يكشف عن معظم الحيل التى كان المبشرون يقومون بها في سبيل غايات دولهم (ط١ ، ١٩٥٣م) (٣) .

---

(١) السابق ، ص ١٨٧ .
(٢) السابق ، ص ١٨٥ ـ ١٨٦ .
(٣) السابق ، ص ١٩٢ .

٤ ـــ تجديد في المسلمين لا في الإسلام :

محوره : إنّ تأخر المسلمين اليوم راجع إلى أن جماعات فيهم قد تركوا العمل بما يوجبه القرآن الكريم عليهم ثم اتخذوا آراءحزبية مستوردة (ط١ ، ١٩٨١م) (١) .

٥ ـــ التصوف في الإسلام :

دراسة قصيرة ، لكن وافية واسعة حملت اسم "التصوف في الإسلام" لا "التصوف الإسلامى" وذلك لأن التصوف أصلاً ليس هو ـ عند المؤلف ـ من الإسلام (٢) .

٦ ـــ صورة الإسلام الباكر في الشعر العربي [١ ـ ٢٣هـ ، ٦٢٢ ـ ٦٤٤م]:

هذا الكتاب هو الرسالة التى تقدم بها لنيل المشيخة (الدكتوراه) والمحور هو أن جماعة من المستشرقين كانوا يعتقدون أن الإسلام لم يدخل في حياة المسلمين إلا في العصر العباسى ، وذلك قياساً على النصرانية التي لم تنتشر بين النصارى إلا في القرن الرابع للميلاد ، تقيم هذه الرسالة الدليل من الشعر العربى على أن جميع فرائض الإسلام (في العقائد والعبادات خاصة) كانت تجد صداها في الشعر العربى منذ السنة الأولى للهجرة ، وهذا الصدى نتيجة

---

(١) السابق ، ص ١٨٦ .
(٢) السابق ، ص ١٧٣ .
(٣) السابق ، ص ١٨٥ .

قيام المسلمين بالفرائض على وجهها المطلوب (١٩٣٧م) (١) .

٧ ـــ الطفل المسلم :

وهو في خمسة أجزاء ، على المذهب المالكي (ط١ ، ١٩٦٥م) (٢) .

هـ ـــ التأليف المدرسي

للدكتور عمر فروخ بعض المؤلفات المدرسية في التـــاريخ والأدب والجغرافيا ، والدين للمرحلة الابتدائية ، ومرحلة البكالوريا ، إلى جانب مؤلفاته لهذا المستوى في الفلسفة والتاريخ مما هو مذكور في بداية هذا الفصل .

١ ـــ الإسلام ديني :

وهو في خمسة أجزاء للمرحلة الابتدائية ، وقد شارك في وضع هذا الكتاب أحمد العجوز ، ومدحت البنا، أقاموا هذا الكتاب على ما جاء في القرآن الكريم وفي الحديث الصحيح مما يحتاج إليه كل مسلم في حياته (٣) .

٢ ـــ أنا مسلم :

وهو تمهيد لكتاب " الإسلام ديني " (٤) .

---

(١) السابق ، ص ١٨٥ .

(٢) السابق ، ص ١٨٨ .

(٣) السابق ، ص ١٨٧ .

(٤) السابق ، ص ١٨٨ .

٣ ـــ تاريخ سوريه ولبنان المصور :

وهو في أربعة أجزاء ، الأجزاء الثلاثة الأولى للمرحلة الابتدائية ، والجزء الرابع للمرحلة التكميلية (ط١ ، ١٩٣٥م) (١) .

٤ ـــ تاريخنا المصور :

سلسلة للمرحلة الابتدائية (خمسة أجزاء) فيها التثقيف لعقول النشىء بحسب أعمارهم وفيها أيضاً الأسلوب الواضح وقد وضع جزء تمهيدي لهذه السلسلة (٢) .

٥ ـــ الجغرافية المصورة الجديدة :

وهو في أربعة أجزاء للمرحلة الابتدائية (٣) .

٦ ـــ القراءة المصورة :

كتاب قراءة للمرحلة الابتدائية واشترك في تأليفه مع الدكتور عمر فروخ واصف البارودي ، وعبدالله المشنوق ، وطاهر اللاذقي ، وفؤاد قاسم (ط١ ١٩٨٦م) (٤) .

٧ ـــ لساني الفصيح :

مدخل تمهيدي للصرف والنحو بالاشتراك مع مدحت البنـا (ط١ ، ١٩٤٧م) (٥) .

---

(١) السابق ، ص ١٩٠ .
(٢) السابق ، ص ١٩١ .
(٣) السابق ، ص ١٩٣ .
(٤) السابق ، ص ١٨١ .
(٥) السابق ، ص ١٨٢ .

٨ ـ المنهاج في الأدب العربي :

هذا الكتاب مبنى على نسق منهجي لتفهيم الأدب للتلميذ الثانوي ولتثقيفه بالنصوص والكتاب ثلاثة أجزاء وقد طبع طبعة ثانية معدلة بحسب المنهاج في البكالوريا اللبنانية وهو في جزأين بعنوان : المنهاج الجديد في الأدب العربى (ط١ ، ١٩٧٤م) (١) .

٩ ـ النحو الابتدائي :

هذا الكتاب وهو في ثلاثة أجزاء وُضِعَ لتعليم النحو في المرحلة الابتدائية (ط١ ، ١٩٤٥م) (٢) .

١٠ ـ النحو الثانوي :

وقد صدر منه جزءان ـ للمرحلة الثانوية ـ بالاشتراك مع منير البعلبكي (٣) .

و ـ الكتب المترجمة

ينقل الدكتور عمر فروخ بعض المؤلفات بلغات أخرى إلى العربية أو منها إلى لغة اخرى ومن كتبه المترجمة :

---

(١) السابق ، ص ١٨٢ .

(٢) السابق ، ١٧٦ ـ ١٧٧ .

(٣) السابق ، ص ١٨١ ـ ١٨٢ .

١ ـــ الإسلام على مفترق الطرق :

تأليف محمد أسد (ليوبولد فايس) فيه مناقشة الأسباب التي أدّتْ إلى تأخر المسلمين ثم عرض للوسائل التى يستطيع المسلون أن يستعيدوا بها مكانتهم (بيروت ١٩٤٦ ، ط٧ ، ١٩٧١م ، صفحاته ١١٩) (١) .

٢ ـــ الإسلام منهج للحياة :

تأليف الدكتور فيليب حتى ، يقول المؤلف : في هذا الكتاب يُشْرِف القارىء على اختبار خصب حي للمسلم ، للمسلم المؤمن بدين والمواطن في دولة والمفكر المبتكر (بيروت يصدر في خريف ١٩٧١م) (٢) .

٣ ـــ أصدقاء لا سادة :

السيرة السياسية لمحمد أيوب خان (رئيس جمهورية باكستان) بقلمه (مكتبة لبنان ، بيروت ١٩٦٨م ، صفحاته ٤٠٢) (٣) .

٤ ـــ الثقافة الغربية في رعاية الشرق الأوسط :

يتناول هذا الكتاب كثيراً من وجوه فضل الإسلام والفكر الإسلامي على الثقافة الأوربية (بيروت ، ١٣٧٢هـ ، ١٩٥٢م ، طبعة جديدة ١٣٨٣هـ ، ١٩٦٣م ، صفحاته ١٢٠) (٤)

٥ ـــ السياسة الشرعية لابن تيمية :

هذا الكتاب هو نقل (ترجمة) لكتاب السياسة الشرعية لابن تيميه إلى اللغة

---

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ، ص ٣٣ .

(٢) السابق ، ص ٣٤ .

(٣) السابق ، ص ٣٤ .

(٤) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً (مصدر سابق) ، ص ٣٣ .

الانكليزية (١٩٦٦م) (١) .

٦ ــ الطريق إلى النجوم :

تأليف فان دوريت وللى (رئيس المرصد الفلكى في غرينتيش) في هذا الكتاب محاولة ناجحة مفيدة لتيسير المبادىء الأساسية في علم الفلك من غير أن يخل ذلك بالجانب العلمى منه (بيروت ، ١٩٦٤م ، صفحاته ٢٤٠) (٢) .

ز ــ كتب أخرى

١ ــ باكستان دولة تعيش :

في عام ١٩٥٢ حضر المؤلف الدورة الثانية لمؤتمر العالم الإسلامى (في كراتشي) وتلك كانت زيارته الأولى لباكستان ، وصف الكتاب ذلك المؤتمر وأنعم النظر في عدد من جوانب الحياة في ذلك الوطن (بيروت ، ١٣٧٠هـ ــ ١٩٥١م ، صفحاته ١١٦) (٣) .

٢ ــ دفاعا عن العلم :

كلمة في مناهج البكالوريا اللبنانية وامتحاناتها تدور على الجملة التالية : ليست الحكومة مسؤولة عن سيئات الماضى (في أيام الانتداب الفرنسى) ولكنها مسؤوله عن استمرار هذه السيئات (بيروت ١٣٦٤هـ ــ ١٩٤٥م ، صفحاتها ٢٤٤) (٤) .

---

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، د . على زيعور (مصدر سابق) ، ص ١٨٦ .
(٢) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ٣٤ .
(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ د . زيعور ، ص ١٩٢ .
(٤) السابق ، ص ٢٩ .

٣ ـــ دفاعاً عن الوطن :

الفوضى السياسية والادارية في الجمهورية اللبنانية مع الالماح إلى الاتجار بالطائفية خاصة (بيروت ١٣٦٥هـ ـ ١٩٤٦م ، صفحاته٤٨)(١). (ط١ ، ١٩٤٦م) (٢) .

٤ ـــ عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً :

هذا الكتيب عبارة عن فهرس لمؤلفات الدكتور عمر فروخ التي ألفها قبل إصدار هذا الكتيب من (١٩٣١ : ١٩٧١م) إلى جانب ترجمة مختصرة لحياته ثم فصل في التأليف وخصائصه (دار العلم للملايين ـ بيروت ، ١٩٧١م ، صفحاته ٧٢) .

٥ ـــ غبار السنين :

يقول الدكتور عمر فروخ عن هذا الكتاب : هذه القطع من غبار السنين ـ خطوات في طريق الحياة تعرض أحدنا واقعية ولا تبدي آراء ، ولقد قصدت بها أن أقصى جوانب من حياتي . بدأ نشرها في ١٩٨٠/٨/٤م واستمر إلى أواسط آذار ـ مارس ـ من عام ١٩٨٢م (٣) .

٦ ـــ لغة القرآن :

كتاب لتعليم اللغة العربية للأجانب بواسطة اللغة الانجليزية ، هذا الكتاب

---

(١) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ٣٠ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، د . علي زيعور ، ص ١٩٣ .

(٣) السابق ، ص ١١ .

يقصد إلى تعليم القراءة من خلال الألفاظ والنصوص القرآنية ليستطيع غير العربي قراءة القرآن (١) .

٧ ـــ لغة القرآن :

القرآن بوساطة اللغة الفرنسية وهناك كتاب لغة القرآن : Elarabe Coranico بوساطة اللغة الأسبانية جاهز ، ولكن لم ينشر (٢) .

٨ ـــ نحو التعاون العربي :

وهو درس في إمكانيات البلاد العربية والنواحي التى يجدى فيها التعاون بينها وتقرير لإتجاه التاريخ في الوطن العربى الكبير نحو اشتباك الحوادث وتداخل المصالح ووحدة الشعور ، وفي هذا الكتاب كلام كثير على أهمية مكانة مصر في مستقبل العالم العربى (بيروت ، ١٩٤٦م ، صفحاته ٦٨) (٣)

---

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، د . على زيعور ، ص ١٨٢ .

(٢) السابق ، نفس الصفحة

(٣) عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاماً ، ص ٣٠ .

بحوثه :

للدكتور عمر فروخ بحوث كثيرة ألقاها في المحافل الأدبية والعلمية وأثرى بها مجامع اللغة العربية فنشاطه في مجمع اللغة العربية في القاهرة كان ملموساً فهو يشارك في أعمال المجمع ولا يتخلف عن حضور مؤتمراته إلا لعذر قاهر ، ويذكر ذلك الدكتور محمد مهدى علام فى كتابه المجمعيون فى خمسين عاماً " يشارك الدكتور عمر فروخ في أعمال المجمع وخاصة في مؤتمره الذى لا يتخلف عنه إلا لعذر قاهر . وله في كل مؤتمر يحضره بحث أو كلمة وبحوثه وكلماته هي : ـ

١ ـ كلمة " عرب " تحدرها وتطورها واستقرارها على معناه القومي (د ٢٨ جلسة ـ ٨ للمؤتمر ـ البحوث والمحاضرات ص ٢٦٣)

٢ ـ المدارك القديمة في اللغة . (د ٣٢٠ جلسة ٥ للمؤتمر ـ البحوث والمحاضرات ص ٩٧)

٣ ـ الجيم السامية وتقلبها في الألفاظ العربية (د ٣٥ جلسة ٣ للمؤتمر ـ البحوث والمحاضرات ص ٣٩)

٤ ـ مدارك القاموس(مؤتمر ٣٧ القسم الثانى ـ البحوث والمحاضرات ص(٢٠)

٥ ـ لام التعريف العربية في القاموس الأسباني (مؤتمر ٣٩ ـ البحوث والمحاضرات ص ٦٣

٦ ـ في اللغة العربية المعاصرة فساد الطرق في تعليمها (مؤتمر د ٤٣ ـ

البحوث والمحاضرات ص ٣٤)

٧ ـ فجر الإعلام في اللغة العربية (مجلة المجمع ج ٢٩/٤٣)

٨ ـ كلمة في افتتاح مؤتمر د ٤٧ (مجلة المجمع ج ١٨٤٧)

٩ ـ لغة العلم (جلسة ٢ للمؤتمر د ٤٧ ـ مجلة المجمع ج ٤٧ / ٢٥)

١٠ ـ التراث اللغوي وكلمة حتى عندنا وعند غيرنا (مؤتمر د ٤٩ ـ مجلة المجمع ج ١٢٥/٤٩

١١ ـ الأسماء المعبدة والأسماء المجددة (مؤتمر د ٤٩ ـ مجلة المجمع ج/٢٥)

١٢ ـ كلمة في تأبين المرحوم الأستاذ أنيس المقدسي (مجلة المجمع ج ١٨٠/٤٠) (١)

هذا بالنسبة لنشاطه المجمعي في مجمع اللغة العربية في القاهرة .

أما مجمع اللغة العربية بدمشق فله فيه أيضا نشاطات واضحة وبحوث قيمة أهمها : ـ

١ ـ نظرية المعرفة عند ابن حزم (المجلد ٢٣ صفحة ٢٠١ سنة ١٩٤٨م)

٢ ـ درعيات المعري طور ممهد للزومياته (المجلد ٢٣ صفحة ٥٤٣ سنة ١٩٤٨)

(١) المجمعيون في خمسين عاماً ، للدكتور محمد مهدى علام ص ٢٢٢

٣ ـ التعريف بكتاب قيم (كتاب مقدمة لتاريخ العلم تأليف جروج سارطون) (المجلد ٢٦ صفحة ١٠١ سنة ١٩٥١م)
٤ ـ أحمد شوقى أمير الشعراء (المجلد ٢٦ صفحة ٣٠٠ سنة ١٩٥١)
٥ ـ دور النضج في تاريخ الفلسفة الاسلامية (المجلد ٢٦صفحة ٥١٢سنة١٩٥١)
٦ ـ دراسات عن مقدمة ابن خلدون(المجلد٢٩صفحة٦٧ و٢٠٣ سنة ١٩٥٤)
٧ ـ تاريخ الفكرالعربى إلى أيام ابن خلدون (المجلد ٤٢ صفحة ٣٤٤ سنة ١٩٦٩ م)
٨ ـ العلم القديم بين الشرق والغرب(المجلد ٤٨ صفحة ٨٢٧ سنة ١٩٧٣)
٩ ـ مشروع العربية الأساسية (المجلد ٤٨ صفحة ٩٠٩ سنة ١٩٧٣م)
١٠ ـ مصادر الدراسة الأدبية (المجلد ٤٨ صفحة ٩٠٩ سنة ١٩٧٣م)
١١ ـ ابن رشد العالم بالبصريات والفلك خاصة (المجلد ٥٣ تفى صفحة ٣١٣ و ٥٠٢ سنة ١٩٨٧م)
١٢ ـ الترجمة أو نقل الكلام من لغة إلى أخرى (المجلة ٥٤ صفحة ٦١١ سنة ١٩٧٩م) (١)

أما مجمع اللغة العربية في الأردن فقد كان عضواً فيه وقد ذكر الدكتور عبدالكريم خليفة رئيس المجمع في رسالة بعث بها إليّ رداً على استفساري

---

(١) الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستون عاماً دفاعاً عن الاسلام والعروبة للدكتور عدنان الخطيب (مصدر سابق) ص ٢٢ ، ٢٣ ، ٢٤ ، ٢٥

حول نشاط الدكتور فروخ في المجمع بأنه لم يكن له أي نشاط ويبدو أن الدكتور عبدالكريم خليفه قد أحال رسالتى إلى موظف اداري لم يتوخَ الدقة ، ولم يراجع مجلات المجمع أو الفهارس الخاصة برصد عناوين البحوث والدراسات التى أقيمت فيه ، لأنه بقراءتى لكتاب : الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والاسلام للدكتور عدنان الخطيب وجدته يذكر بحثين للدكتور عمر فروخ فى مجمع اللغة العربية الأردنى هما

(١) حرف الباء والفاء فى اللغة (مؤتمر د ٥١ ـ الوقائع ص ٢٢٢ مجلة المجمع الأدرنى ع ٢٩٢٨)

(٢) جانب العلم في ديوان امرىء القيس (مؤتمر د ٥٢ ـ الوقائع ص ١٦٦ ، ٣١٤) (١)

المجمع العلمى العراقى ببغداد :

لم يرد على رسائلى التى بعثت بها استفساراً عن نشاط الدكتور عمر فروخ فيه .

هذا وقد شارك الدكتور عمر فروخ في كثير من المؤتمرات ، ذكر ذلك د . محمد حمد خضر في مقال له "شارك في مؤتمرات اسلامية وعربية في لبنان وسوريا والقاهرة والسعودية والمغرب العربي وبغداد وباكستان

(١) المصدر السابق ص ٢٨

وموريتانيا وأندونيسيا " (١) كما ذكر كاتب المقال " شارك د . عمر فروخ فى المؤتمر العالمي الأول للتربية والتعليم في مكة المكرمة ، وفى ندوة الدعاة والأئمة في نواكشوط ، وفي المؤتمر الأول للإعلام الإسلامي في جاكرتا كما حضر حفل توزيع جائزة الملك فيصل العالمية في الرياض وحاضر في نادي مكة الثقافى (*) الأدبى وساهم في جلسات رابطة العالم الإسلامي بمكة " (٢)

كما أنه ــ رحمه الله ــ اشترك في كثير من الندوات في مختلف البلاد العربية منها " الندوة التى كانت عن محمد بن موسى الخوارزمي واضع علم الجبر ، يقول عن هذه الندوة الدكتور عمر فروخ تلبية لرغبة الدكتور علي زيعور في معرفة نشاطاته في ميدان الصحافة والندوات " كنا ثلاثة أمام ميكروفون التلفزيون في بيروت : أنا وأثنان من أساتذة الرياضيات . . بعد أن تحاورنا في مكانة الخوارزمى " المعادلة التربيعية " (المعادلة من الدرجة الثانية) وهي أم المعادلات ، وكان من المنتظر أن يتولى ذلك على اللوح الأسود أحد الأستاذين اللذين معي ، فهابا الموقف فقمت أنا إلى اللوح الأسود والطبشورة في يدي وشرحت تلك المعادلة شرحاً وافياً بقدر الطاقة

---

(١) المجلة العربية / عدد١٢٤ / جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ص ٢٢

(*) لقد حاولت الحصول على هذه المحاضرة من النادى لكنى لم اجدها فالمسئولون فى النادى أخبروا بأن حصر المحاضرات والندوات لم يتم قبل عام ١٤٠٠هـ .

(٢) المصدر السابق ص ٢٢

لقد كان بالإمكان أن يخطىء الواقف عند اللوح الأسود أمام الجمهور في برنامج يجري بثه على الهواء (مباشرة) فيلومه الناس ولا يعذرونه لأنه فى الأصل أستاذ للرياضيات

أما أنا فالمعروف عني أننى أستاذ للأدب والتاريخ والفلسفة فإذا أنا أخطأت كنت عند المشاهدين معذوراً " (١)

" وكذلك فقد كتب للراديو ندوات للاذاعة في الخارج ، فمثلاً كتب برنامجاً من ثلاثين ندوة عن عمر بن الخطاب باللغة الفرنسية ، وكتب عدداً من البرامج باللغة الانجليزية ، وكان البرنامج الواحد يتألف من ثلاثين ندوة أحياناً أو من ست وعشرين ندوة في الغالب من موضوعات ثقافية اسلامية " (٢)وقد أضطر إلى الاعتذار عن الاستمرار في كتابة هذه البرامج لضيق الوقت ولأن هذه البرامج كانت توضع لمناسبات معينة ، وهذا يقتضى تقديم الندوات فى أوقات محدودة ، وفي كثير من الأحيان كانت أعماله في التدريس وفي التأليف تحول دون الوفاء بما يطلب منه فى الوقت المطلوب ، وقد كان يتولى كتابة تلك الندوات فقط ، وكان يتولى تسجيلها للذاعات أشخاص آخرون " (٣)

---

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ لعلى زيعور ط١ دار الأندلس ص ١٩٤ ـ ١٩٥ .

(٢ ، ٣) المصدر السابق . ص ١٩٥ .

هذا وقد ظل الدكتور عمر فروخ ـ رحمه الله ـــ باذلاً وقته وجهده لخدمة العلم إلى أن وافاه الأجل ، يقول الدكتور محمد خضر : " افتقد الأدب العربى علما من أعلامه الذين خدموه وذلك فى منتصف الشهر قبل الماضى ، ذلكم هو د . عمر فروخ الذى وافاه الأجل المحتوم إثر نوبة قلبية وهو يكتب على الآلة الكاتبة مقالاً عن التراث الاسلامى " (١)

فحتى وفاته رحمه الله كانت أثناء أداء عمل جليل وخدمة للاسلام والمسلمين وقد كان يعمل في صمت غير منتظر شكر أوجزاء إلى أن انتقل إلى رحمة الله .

(١) المجلة العربية عدد ١٢٤ جمادى الاولى ١٤٠٨ هـ .



الباب الثاني

دراساته لتاريخ الأدب العربي



الفصل الأول

تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة

أ ـ تقديم

ب ـ منهج المؤلف في هذه الدراسة

ج ـ محتويات الكتاب

د ـ التراجم

هـ ـ المصادر التى اعتمد عليها في بحثه

و ـ نظرة في تقسيمه للعصر العباسي وتقسيم غيره من المؤلفين

ز ـ معالم الادب العربي في العصر الحديث

ح ـ التراجم في معالم الأدب العربي في العصر الحديث



الفصل الأول

تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة

أ ـ تقديم :

ألّف الدكتور عمر فروخ كتاب " تاريخ الأدب العربى " والذى عرض فيه للحياة الأدبية من العصر الجاهلى ـ أي ما قبل الاسلام بما يقرب من مائة وخمسين سنة إلى الفتح العثمانى عام ٩٣٢هـ فى ستة أجزاء أردفها بجزأين أكمل فيهما تاريخ الأدب العربى إلى العصر الحديث تحت عنوان " معالم الأدب العربى فى العصر الحديث "

وقد درس الدكتور عمر فروخ الحياة الأدبية في عدة أزمنة وعصور بدأها كما ذكرت بالعصر الجاهلى ثم الاسلامى ثم الأموي فالعباسي الذى يمتد من عام ١٣٢هـ إلى الفتح العثماني سنة ٩٩٢هـ باعتبار أن الاسم الرمزى للخليفة العباسي لازال موجودا إلى الفتح العثماني حيث يقول : " أما فى هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسى يتصل إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثمانى مصر (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزى الذى كان العباسيون قد احتفظوا به فى مصر بعد سقوط دولتهم فى العراق " (١)

وهناك سبب آخر يذكره الدكتور عمر فروخ في جعله العصر العباسى يمتد إلى الفتح العثماني " إن الخصائص العباسية في الأدب قد ظلت سائدة في

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ٢ ص ٣٤ .

النتاج الوجدانى من الشعر والنثر إلى سقوط بغداد في يد التتار ثم إلى الفتح العثمانى للبلاد العربية (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) (١)

فالخصائص العباسية ـ في رأى الدكتور عمر فروخ ـ قد ظلت سائدة في النتاج الوجدانى إلى الفتح العثمانى فكانت سبباً في امتداد هذا العصر لأكثر من ثمانية قرون وفي رأيي ، إن السبب هذا مجانب للصواب تماماً إذ أن الخصائص الأدبية للشعر والنثر العربى فى أى عصر من العصور متشابهة مع ما بعدهاأو ما قبلها ، وهذا أمر طبيعى فالأدب في العصر الأموى وهكذا فليس من الصواب أن نجعل العصر العباسى ممتداً إلى الفتح العثمانى وما بعد العصر العثمانى أيضاً بسبب أن الخصائص الأدبية متأثرة بالعصر العباسى .

وقد كان ذلك ـــ دراسته لأدب العصر العباسي والأموي والإسلامي والجاهلي في ثلاثة أجزاء وأطلق عليها الأدب المشرقي ، أما الأجزاء الثلاثة الأخيرة فقد خصها بدراسة الأدب العربي في الأندلس والمغرب حيث تناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامى في الأندلس ـ الدولة الأموية ـ حتى الفتح العثمانى في المغرب .

يقول الدكتور عمر فروخ في بداية الجزء الرابع من هذه الموسوعة " وأنا لم أفصل تاريخ الأدب فى المشرق من تاريخ الأدب فى المغـــرب لأن

(١) المصدر السابق ص ٣٣ .

الأدبين مختلفان ولكن عملي هذا كان فى سبيل التسهيل على نفسى فى معالجة الموضوع " (١) فهو لم يفصل تاريخ الأدب فى المشرق عن تاريخ الأدب فى المغرب والأندلس لأن الأدبين مختلفان ولكن كي يسهل عليه معالجة الموضوع وذلك فى رأيي لأن الأدب فى المغرب والأندلس قد اتسع اتساعاً كبيراً وإن كان متأثراً إلى حد كبير بالأدب المشرقى من حيث الأغراض والخصائص اللفظية والمعنوية لكن لا يمنع هذا من أن الأدب المغربى كانت له سمات خاصة به أوجدتها طبيعة الحياة فى المغرب والأندلس ، وهذا ما سيتم توضيحه عند الحديث عن الأدب فى المغرب والأندلس .

وقد اختص الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى بالأدب العربى من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية تحت عنوان " الأدب القديم " وقد طبع هذا الجزء خمس طبعات أولها فى عام ١٩٦٥م وآخرها عام ١٩٨٥ وبتصفحي لهذه الصفحات لم أجد أن المؤلف قد أحدث إضافات أو تعديلات فيها ، ويقع هذا الجزء فى ٧٧٢ صفحة من القطع المتوسط .

أما الجزء الثانى فيتناول الأعصر العباسية " الأدب المحدث إلى آخر القرن الرابع الهجرى " ١٣٢ ـ ٣٩٩هـ " ٧٥٠ ـ ١٠٠٨م " وقد طبع هذا الجزء أربع طبعات أيضاً أولاها فى عام ١٩٦٨ وآخرها فى عام ١٩٨١م ولم يحدث

---

(١) تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ ط (١) دار العلم للملايين ج ٤ ص ٥ .

المؤلف إضافات أو تعديلات على أي من هذه الطبعات ، ويقع هذا الجزء فى ٦٧٢ صفحة .

والجزء الثالث يتناول الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجرى إلى الفتح العثمانى ٤٠٠ ـ ٩٣٢هـ " ١٠٠٩ ـ ١٥١٧م وقد تم طبع هذا الجزء ثلاث طبعات أولاها عام ١٩٧٩م وآخرها عام ١٩٨١م ويقع هذا الجزء فى ٩٩٧ صفحة هذا بالنسبة للأدب العربي في المشرق ، أما الأدب العربي في المغرب والأندلس فقد خصّه بالثلاثة أجزاء الأخيرة وهى :

الجزء الرابع ويتناول الأدب فى المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامى إلى آخر عصرملوك الطوائف(آخر القرن الخامس للهجرة ـ الحادى عشر للميلاد)وقد طبع هذا الجزء طبعته الولى فى عام١٩٨١م وهو يقع فى ٧٩٨ صفحة .

أما الجزء الخامس فهو يتناول الأدب فى المغرب والأندلس خلال عصر المرابطين والموحدين ، وقد كانت طبعته الأولى فى عام ١٩٨٢م وهو يقع فى ٧٩٨ صفحة .

والجزء السادس والأخير يتناول الأدب العربى فى المغرب والأندلس من اوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة " أوائل القرن الثالث عشر إلى أواسط القرن السادس عشر للميلاد " وقد صدرت الطبعة الأولى له عام ١٩٨٣م ويقع فى ٧٥٤ صفحة وقد صدرت جميع طبعات هـــذه الموسوعة عن دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان .

ب ـــ منهج المؤلف في هذه الدراسة :

يذكر الدكتور عمر فروخ فى مقدمة الجزء الأول الغرض من تأليفه كتابَ تاريخ الأدب العربى فيقول : " هذا كتاب فى تاريخ الأدب العربى يقرب الموضوع للدارسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجدانى من الأدب العربى للمطالعين " (١)

إن الواضح من هذا التعريف للكتاب هو أن منهج المؤلف الاهتمام بالشعراء والأدباء فقط لكن هذا لا يمنع من أن نراه يضم إلى ذلك طوائف أخرى من الشخصيات ممن لا يرتبطون بالأدب ارتباطاً وثيقاً في نتاجهم ، وشهرتهم فى مجالات أخرى غير الجانب الأدبى كاللغويين والنحويين والفقهاء . . أمثال القاضى أبى بكر الباقلاني " كان القاضى أبوبكر الباقلاني فقيهاً كبيراً وأصولياً متعمقاً ومن المتكلمين والنظار المعدودين للباقلاني من الكتب : اعجاز القرآن تمهيد الدلائل وتلخيص الأوائل ، كتاب الانتصار لصحة نقل القرآن والرد على من نحله الفساد بزيادة أو نقصان " (٢)

ومحمد آدم الهروي النحوي " كان محمد بن آدم الهروي إماما فى النحو والأدب وفى تفسير الشعر خاصة وكان له علم واسع بأصول الدين ويظن أنه كان من أهل العدل (من المعتزلة) " (٣)

---

(١) مقدمة تاريخ الادب العربى للدكتور عمر فروخ ط (٤) دار العلم للملايين ج١ ، ص ١٧

(٢) السابق ج ٣ ص ٥٢ .

(٣) نفسه ج ٣ ص ٧٠ .

والخليل بن أحمد " كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إماماً في علم اللغة والنحو ومن الرواة والنسابين (العارفين بأنساب العرب) والعلماء . وهو أول من استخرج علم العروض (أوزان الشعر وأحكامه) وأول من وضع معجماً للغة العربية " (١)

كذلك الأخفش الأكثر (ص١١٨) والمفضل الضبى ص١١٩ ــ وسيبويه ص١٢٠ ، وابن طباطبا العلوي ص٤٢٠ ، ونفطويه ص٤٢٢ ، وقدامة بن جعفر ص٤٣٤ ، وابن خالويه ص٥٢٠ ، وجميع هؤلاء مترجم لهم في الجزء الثاني من تاريخ الأدب العربي وغيرهم ممن لا يرتبطون ارتباطاً وثيقاً بالأدب وشهرتهم فى مجالات أخرى غير الجانب الوجداني .

فالدكتور عمر فروخ أراد ان يبسط ذخائر الأدب العربي للمطالعين فدراسته للأدب العربى لا تقتصر على إعطاء نماذج لبعض الشخصيات الأدبية البارزة فى كل عصر بل هو يتناول جوانب كل عصر بالتفصيل من خلال الترجمة لمعظم أدبائه وقد فهمت ذلك من خلال قوله " إن الكتب فى تاريخ الأدب العربي ليست قليلة ولكنها كلها تمر فى العصور فتختار عصراً تتكلم عليه ثم تضرب عليه مثلاً من بضعة شعراء : ثلاثة أو أربعة أو اثني عشر من الشعراء المعروفين عادة في المعلقات أو القريبين عادة من شعراء المعلقات

(١) المرجع السابق ج ٢ ص ١١٢ .

إن هذا الكتاب يتناول من الجاهليين وحدهم شعراء كثيرين وخطباء قليلين يزيدون كلهم على خمسين " (١) فالدكتور عمر فروخ تناول كل عصر من الأعصر الأدبية بالدراسة التفصيلية ولم يكتف بالترجمة لبعض الشخصيات البارزة لكل عصر بل نجده يترجم لأدباء وشعراء العصر الجاهلي إحدى وخمسين شخصية وللعصر الاسلامي اثنتين وثلاثين شخصية ، وللعصر الأموي تسعين شخصية هذا بالنسبة للجزء الأول إلا أنه تعمد الإيجاز فى استنطاق المصادر حيث يقول . . يضم هذا الجزء الأول أكثر من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدمات للأعصر وللفنون فلو أننى اطلقت لقلمى العنان فى تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الأولى بعدالألف قبل أن أغادرخيام الشعراء الأوائل فى الجاهلية (٢)

لذلك استحق كتاب تاريخ الأدب العربى بأجزائه الستة أن يكون موسوعة أدبية ذات قيمة عظيمة لدى الدارسين والباحثين حيث يستطيعون أن يتعرفوا على الحياة الأدبية في كل عصر من العصور الأدبية من خلال الترجمات الكثيرة والمقدمات الخاصة بكل عصر ، كما يقول : " وأرجو إذا قيض الله لهذا الكتاب أن يتم أن يكون فيه بضع مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوى الإنتاج الوجداني ، بالاضافة إلى المقدمات فى

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ١٧ .

(٢) السابق ص ١٨ .

نطاق الأعصر السياسية وخصائص الأعصر الأدبية "(١) . فقد بدأ الدكتور عمر فروخ كل عصر من العصور الأدبية التى أرخ لها باعطاء صورة وافية شاملة للحياة الاجتماعية والسياسية والدينية ، والفكرية والثقافية ومن ثمَ الأدبية التى واكبت كل عصر .

وقد اتخذ المؤلف تعاقب الدول أساساً للانتقال من عصر إلى عصر مع مراعاة أن عدداً من الخصائص الأدبية يظل مستمراً على الرغم من انتهاء عصر ومجيء عصر آخر ، فجعل العصر الجاهلي ينتهى بظهور الاسلام ، والعصر الإسلامي أو عصر صدر الإسلام ينتهي بانتهاء عصر الخلفاء الراشدين واستلام بنى أمية زمام الحكم وانتهاء العصر الأموي بسقوط بني أمية وبسط نفوذ بني العباس واستلامهم زمام الحكم وجعل هذا العصر مستمراً إلى الفتح العثمانى سنة ٩٢٣هـ .

أما فى هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسى يتصل إلى السنة التي دخل فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر (٩٢٣هـ ، ١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به فى مصر بعد سقوط دولتهم في العراق " (٢)

وهذه مسألة فيها نظر سيتم توضيحها فى الصفحات التالية .

---

(١) المرجع السابق . (ص ١٧) .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ٢ ط ٤ دار الملايين ص ٣٤ .

جـ ـ محتويات الكتاب :

يقول الدكتور عمر فروخ : " يتألف هذا الكتاب من مقدمات للأعصر ومن تراجم ففي مقدمات الأعصر استعراض ارؤوس الأحداث حتى يكون فيها إطار يوقع القارىء في نطاقه أزمان أصحاب التراجم ، وإذا كنت قد اتخذت تعاقب الدول أساساً للانتقال من عصر إلى عصر فلأنى أحببت أن أستفيد من الوضوح في تعاقب العصور مع العلم بأن عدداً من الخصائص الأدبية يظل مستمراً على الرغم من انتهاء عصر ومجيء عصر آخر ، ثم إنني أتكلم بعد ذلك على الفنون والخصائص الأدبية للعصر " (١)

فتاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ يتكون من مقدمات للأعصر أي مدخل تاريخى وعرض للأحداث السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية . . التى عاشها أصحاب التراجم وذلك من أجل أن تتضح الرؤيا لدى القارىء حول المؤثرات الاجتماعية أو السياسية أو الدينية أو الثقافية التي أثّرت على نتاج الشاعر أو الأديب ، فهو بعد أن يعطي الصورة العامة للعصر يترجم للشخصيات التي كان لها نتاج أدبي في ذلك العصر ، ومع أن الدكتور عمر فروخ يترجم لعدد هائل من الشخصيات (٢) إلا أنه يذكر أنه لم يترجم لجميع الشعراء والأدباء حيث يقول : " ومادمت أنا لا أستطيع أن أضم في

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ط ٤ دار العلم للملايين ص ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سيتم توضيح ذلك فى الصفحات التالية (التراجم)

هذا الكتاب جميع من نثر ونظم ومادام لابد في التخير من الاستغناء عن نفر كثيرين في كل عصر ، فلقد وجدت أن أستغني عن كل مالم يعش فى الأدب الوجداني ، على الرغم من أن اتجاهاً سياسياً معينا أراده لأمر لا صلة للأدب به " (١) .

فهو يترجم للشخصيات التى كان لها نتاج أدبى مهما كانت مغمورة أو قليلة النتاج ويغفل الشخصيات التى كان نتاجها لاصلة له بالأدب . كما أنه قدم شرحاً وافياً للمختارات التى يذكرها من آثار الأديب " بعدئذ شرحت معظم هذه المختارات شرحاً وافياً ، حيث الحاجة إلى الشرح الوافي ضرورة لابد منها والشرح الوافي معناه الشرح اللغوى متلوا بالشرح الأولي (في تبيان أوجه البلاغة) " (٢) فهو يشرح المختار من آثار الأديب شرحاً وافياً من حيث المعنى اللغوي والأدبي وإن كان الشرح لا يحتاجه متخصصو الأدب لكنه بالتأكيد يفيد الطلاب فى مختلف المراحل الدراسية .

وبعد كل ترجمة يحيل القارىء إلى مجموعة من المراجع حول هذه الشخصية لمن يريد التوسع والاستزادة .

ومجمل القول : إن تاريخ الأدب العربى يحتوي على موضوعين أساسيين هما :

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط ٤ ج١ ص ١٧ / ١٨ .
(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط ٤ ج١ ص ٢٩ .

مقدمات للأعصر وهي عبارة عن ايضاح للحياة الاجتماعية والسياســـية والدينية والفكرية والثقافية والأدبية التي عاشها كل عصر ، أما الموضوع الثاني فهو : الترجمة للشخصيات الأدبية فى كل عصر ، وتشمل الترجمات على : ـ

أ ـ نبذة عن حياة الشخصية

ب ـ الخصائص الفنية للشخصية

جـ ـ بعض المختارات من نتاج تلك الشخصية

د ـ الأحالة إلى المراجع التى تحدثت عن تلك الشخصية .

د ـــ التراجم :

ترجم الدكتور عمر فروخ فى كتابه تاريخ الأدب العربي في أجزائه الستة والجزأين الأخيرين " معالم الأدب العربى فى العصر الحديث " لكثير من الأدباء وغير الأدباء فقد ترجم لإحدى وخمسين شخصية من العصر الجاهلى مثل : الشنفرى الأزدى ص ١٠٢ وتأبط شراً ص ١٠٧ وامرؤ القيس ص ١٢٦ ، وعبيد بن الأبرص الأسدي ص١٢٤ ، والحارث بن عباد البكري ص١٢٧ ،والمرقش الأكبر ص١٢٩ ،وطرفة بن العبد البكـري ص ١٣٥ ، والمرقش الأصغر ص ١٤٥ ، والحارث بن حلزة اليشكري ص ١٥٢ ، وحاجب ابن زرارة ص ١٧٤ ، وإن كانت هذه الترجمات مذكورة بشيء من الاختصار لكننا نجده بعد كل ترجمة يحيل إلى المراجع التى يمكن أن يعود إليها الدارس والباحث عندما يريد الاستزادة ، وهذا مجهود عظيم قام به الدكتور فروخ فقد بذل قصارى جهده وأعطى جل وقته فى جمع وتصنيف هذه المراجع ليعود إليها الباحث والدارس متى أراد ، ونحن نحمد له المجهود الجبار الذى لايمكن ان يقوم به إلا باحث جلد ، ذو مدارك واسعة ، وخبرة طويلة ودراسة دءوبة ، وثقافة عالية .

وكما ذكرت آنفاً فقد ترجم لإحدى وخمسين شخصية في العصر الجاهلى واثنين وثلاثين شخصية لشعراء وخطباء صدرالاسلام منهم : عبدالله بن رواحة ص ٢٦٠ وأبوبكر الصديق ص٢٦٣،والعباس بن مرداس ص ٢٧١ ، وعمرو بن معدى كرب الزبيدي ص ٢٧٥ ،وزيدالخيل ص ٢٧٨ ، وعمر بن

الخطاب ص ٢٧٩،وعلي بن أبى طالب ص٣٠٧،وحسان بن ثابت الأنصارى ص٣٣٥،والأحنف بن قيس ص٣٤٤،وأبوالأسودالدؤلي ص ٣٤٨ ، ثـــم تسعين شخصية من شعراء وأدباء العصر الأموى منهم : ـ

الوليد بن عقبة ص ٤٠١ ، ومعاوية بن أبي سفيان ص ٤٠٥ ، ومعن بن أوس ص ٤١٨ ، وعبدالله بن الزبير ص ٤٤١ ، وأبو صخر الهذلى ص ٤٤٥ وقطري ابن الفُجاءة ص ٤٥٨ ، وعمران بن حطان ص ٤٩٠ ، وعمر بن أبى ربيعة ص ٥٥٣ ، وعمر بن عبدالعزيز ص ٦٠٣ ، والكميت بن زيد الأسدي ص ٦٩٧ ، وهذه الترجمات من العصر الجاهلي إلى العصر الأموي قد تناولها الجزء الأول من تاريخ الأدب العربى .

أما الجزء الثاني مترجم فيه لمخضرمي الدولتين ـ الأموية والعباسية وقد بلغ هؤلاء المخضرمين الذين ترجم لهم اثنين وثلاثين شخصية منهم : ـــ عبدالله بن المقفع ص ٥١ ، ورؤبة بن العجاج ص ٦١ ، وحماد عجرد ص ٧١ ، وصالح بن عبدالقدوس ص ٩١ ، وبشار بن برد ص ٩٢ ، والخليل بن أحمد ص ١١١ ، والمفضل الضبي ص ١١٩ ، ومطيع بن اياس ص ١٠١ .

وتحت عنوان ذروة الشعر المحدث ترجم لواحد ومائة شاعر وأديب منهم : ـــ

رابعة العدوية ص ١٢٨ ، والعباس بن الأحنف ص ١٤١ ، وأبو الشيص ص ١٤٨ ، وأبو نواس ص ١٥٨ ، ومسلم بن الوليد ص ١٧٧ ، وسهل بن هارون ص ٢١٢ ، وبكر بن النّطاح ص ٢٣٨ ، ودعبل بن علي الخزاعى ص ٢٨٤

، والبحتري ص ٣٥٧ .

أما الفترة ما بين أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس للهجرة فقد أعطانا فيها تراجم لأربعة وستين شاعراً وأديباً منهم : ـ

ابن دريد ص٤١٦ ، وأبوبكر الصولي ص٤٣٨ ، وأبوالطيب المتنبي ص٤٥٧ ، وأبوفراس الحمداني ص٤٩٥ ، وأبوسعيد السيرافي ص٥١٥ ، والصاحب بن عباد ص٥٦١ ، وابن النديم ص٥٦٦ ، والقاضي الجرجاني ص٥٨٥ ، وبديع الزمان الهمذاني ص٥٩٥ ، وأبوالرقعمق ص٦٢١ ، وذلك فى الجزء الثانى الذى هو بعنوان الأعصر العباسية .

أما الجزء الثالث والذى يتحدث عن تاريخ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني فقد ترجم فيه تحت عنوان الحروب الصليبية لأربعين شخصية منهم :

أبوالفتح البستي ص٤٩ ، والشريف الرضي ص٥٩ ، ومحمد بن آدم الهروي ص٧٠ ، وأبوالحسن التهامي ص٧٥ ، وابن رزين البغدادي ص٩٠ ، ومهيار الديلمي ص ٩٨ ، وأبوالعلاء المعري ص ١٢٤،والماوردي البصري ص١٤٠ وتحت عنوان العصر السلجوقي ترجم لإحدى وثمانين شخصية منهم : ـ

ابن سنان الخفاجى ص١٦٨ ، الشريف البياضي ص١٧٦ ، وأبواسحق الشيرازي ص١٩٥ ، والطغرائي ص٢٣٢ ، وعمر الخيام ص٢٥٠ ، وابن الشجري ص٢٨٨،وابن القيسرائي الشاعر ص٢٩٥ ، وابن قادوس الدمياطى ص ٣٠٢، والمؤيدالألوسي ص٣١١، وابن الخشاب البغدادي ص٣٣٥ ،

ثم ترجم لخمس وتسعين شخصية تحت عنوان " أعقاب الخلافة العباسية " منهم : ـ

أسامة بن منقذ ص٣٩٣ ، والقاضي الفاضل ص٤١١ ، وابن النجار البغدادي ص٤٢٤ ، وابن سناء الملك ص ٤٥١ ، وابن النبيه ص٤٧٣ ، وعمر بن الفارض ص٥٢٠ ، وجمال الدين القفطي ص٥٥٧ ، وابن أبى الإصبع المصري ص٥٧٤ ، وابن أبي الحديد ص٥٧٩ ، وابن العديم ص٥٩٧ ، بعد ذلك تناول عصر المماليك البحرية والبرجية فترجم لثلاث عشرة ومائة شخصية أدبية منهم : ـ

أبوشامة ص٦٢٣ ، وابن أبي أصيبعة ص٦٢٨ ، وابن لؤلؤ الذهبي ص٦٤٦ ، وابن القيب ص٦٥٥ ، والبوصيري ص٦٧٣ ، وابن منظور ص٧١٢ ، وعمر ابن مسعود ص٧١٦ ، وجلال الدين القزويني ص٧٥١ ، وابن نباته المصري ص٧٩٤ ، والفيروز آبادي ص٨٢٩ ، هذا بالنسبة للمماليك البحرية . أما المماليك البرجية فمن الذين ترجم لهم : ـ

شمس الدين السخاوي ص٨٩٠ ، وجلال الدين السيوطي ص٨٩٨ ، وابن مليك الحموي ص٩١٧ ، والأشموني ص٩١٩ ، وحمزه الناشري ص٩٣١ ، ومحمد بن عمر الحميري ص٩٣٢ ، وابن اياس ص٩٣٤ .

أما فى الجزء الرابع والذى خصة بدراسة الأدب العربى فى المغرب والأندلس إلى آخر عصر ملوك الطوائف ، فقد ترجم فيه لشخصيتين من

عصر الولاة هما : ـ
أبو الأجرب الكلابي ص ٤٩ ، وعبدالرحمن بن زياد ص ٥١ .

وتحت عنوان " عصر الأمراء المتوارثين " ترجم لست وأربعين شخصية منهم : ـ
عبدالرحمن الداخل ص٨١ ، وأبو المخشبي ص٨٧ ، وعبدالرحمن الأوسط ص٩٩ ، والعتبي الشاعر ص١٢٢ ، وعباس بن فرناس ص١٣٥ ، وبقي بن مخلد ص١٤٠ ، وتمام بن عامر ص١٤٣ ، وعيسى ابن مسكين ص١٤٩ ، ومحمد بن عاصم النحوى ص١٥٩ ، ويزيد الفصيح ص١٦٣ .

وتحت عنوان " عصر الخلافة الأموية في قرطبة " ترجم لتسع وستين شخصية منهم : ـ ابن عبدربه ص٢١٠ ، وابن هانىء الأندلسى ص٢٦٦ ، وأبوبكر الزبيدى ص٣٠٠ ، وابن شخيص ص٣٢٩ ، وابن الفرضي ص٣٣٧ ومريم الشلبية ص٣٥٠ ، وصاعد البغدادي ص٣٦٢ ، واسحاق بن ابراهيم ص٣٧٣ ، وابن دراج القسطلى ص٣٧٧ .

وعند حديثه عن عصر ملوك الطوائف ترجم لتسع وأربعين شخصية منهم : ـ عبادة بن ماء السماء ص٤٤٧ ، وأبو عمر بن شهيد ص٤٥٤ ، وأبو القاسم بن عباد ص٤٧١ ، وابن الخياط الأندلسى ص٥٠٥ ، وابن سيدة ص٥٠٦ ، ابن خلّوف المغربى ص٦٣٤ ، وابن عمار ص٦٣٨ ، وولادة المروانية ص٦٩٩ ، والمعتمد بن عباد ص٧١٣ ، وأبو اسحاق الودّانى ص٧٤٢ .

أما الجزء الخامس والذى خصّة بدراسة الأدب فى المغرب والأندلس "عصر المرابطين والموحدين" فهو يترجم فيه تحت عنوان " المرابطون فى الأندلس " لسبع وسبعين شخصية منهم : ـ ابن الملح ص٧٠ ، والجزار السرقسطي ص١٠٢ ، وابن القطاع ص١١٢ ، وابن عبدون ص١٩٢ ، وابن خفاجة ص٢١٨ ، وأبو طاهر التميمي القرطبي ص٢٣٧ ، وابن سلام المالقي ص٢٨٩ ، وأبوبكر الصيرفي ص٣٣٤ ، وأخيل الرندي ص ٣٥٤ ،

وترجم لعصر الموحدين سبع ومائة شخصية منهم : ـ

أبوحامد الغرناطي ص٣٩٠ ، وابن ميمون القرطبي ص٤١١ ، والأصم المرواني ص٤١٩ ، ويونس بن محمد القسطلى ص٤٥١ ، وابن زرقون ص٤٨٢ ، وابن رشد ص٥٢٤ ، وأبوالقاسم بن هشام القرطبى ص٦٤٠ ، والمأمون الموحدى ص٦٧٦ ، وابن طلحة الأنصارى ص٦٨٨ ، وأبوالحجاج الأشبيلي ص٧١٧ .

وأخيراً الجزء السادس من هذه السلسلة والذى يتناول فيه الدكتور عمر فروخ تاريخ الأدب فى المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة وفيه يترجم لواحد وأربعين بعد المائة من الشعراء والأدباء منهم : ـ

أبوالبقاء البلنسي ص١٣٤ ، وابن سهل الاشبيلي ص١٧٤ ، وابن مالك

النحوي ص٢٦٠ ، وابن معمر الهواري ص٢٨٣ ، وأبوالبقاء صالح بن شريف الرندي ص٢٨٦ ، وابن عبدالملك المراكشي ص٢٤٦ ، وابن خميس التلمساني ص٣٦١ ، ويحي بن خلدون ص٥٤٠ ، وابن مرزوق الخطيب ص٥٤٦ ، وأبوبكر بن عاصم ص٦٢٥ .

ومجمل القول : إن تاريخ الأدب العربى باجزائه الستة قد تناول خمساً وأربعين ومائة بعد الألف من الشخصيات ، وهذا فى حده مجهود جبار يُثّنى عليه الدكتور عمر فروخ ، فالكتاب إن صح التعبير يعتبر فهرساً جيداً لأعلام الأدباء والشعراء على مر العصور ، وكما ذكرت فى بداية حديثى عن التراجم كان الدكتور عمر فروخ يردف الشخصيات المترجم لها بالمراجع التى يمكن العودة اليها لمن يريد الاستزادة ، وهذه المراجع تنقسم إلى قسمين : ـ

١ ـ الآثار المطبوعة للأديب .

٢ ـ أسماء الكتب التى أُلّفَت فى هذا الأديب .

وإنى أتسائل هنا لماذا يذكر الدكتور عمر فروخ الآثار المطبوعة للأديب فقط ؟ فإذا كان للأديب آثار مخطوطة فما المانع من ذكرها ؟ ! ! هل هذا يحتاج إلى مجهود آخر ؟ ! بالتأكيد ، ولكن هذا المجهود لايصعب ولا يستعصي على أستاذ قدير وباحث دءوب مثل الدكتور عمر فروخ الذى بذل الجهد الجهيد ، والوقت الطويل كي يجمع ويصنف هذه الترجمات وهذه المراجع الخاصة بالترجمات ، لكن ربما يرجع ذلك لعدم معرفته بهذه

المخطوطات لأنها في طي الكتمان .

أما عن ترتيبه لهذه التراجم فهو يقول فى طريقة ترتيبه لها : " وأما التراجم فهي منسوقة فى كل عصر نسقاً تاريخياً بحسب سني الوفيات " (١) فهو لم ينسقها بحسب الجودة أو كثرة النتاج بل نسقها بحسب سنى الوفيات فهو ليس فى مقام تقييم لهذه الشخصيات بقدر ماهو حصر لها وعرض سريع

أما عن أقسام الترجمة فيقول " وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب ـ خصائصه ـ المختار من آثاره ـ المصادر والمراجع لدراسته " (٢) فكان يذكر الترجمات بحسب هذا الترتيب ، ولكن لو أنه جعل آثار الأديب قبل الخصائص لكان أفضل لأنه على ضوء الآثار نستطيع أن نستنتج الخصائص.

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ عمر فروخ ص ٢٨ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ج ١ عمر فروخ ص ٢٨ .

هـ المصادر التي أعتمد عليها في بحثه : ـ

اكتفى الدكتور عمر فروخ في تاريخ الأدب العربى بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وترك ذكر البحوث والمقالات فهو يقول . . أكتفيت أنا فى هذا الكتاب بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وأضربت عن ذكر البحـوث والمقالات ، غير أنني ذكرت أحياناً عدد من البحوث نشرت في مجلة المجمع العلمى العربى (دمشق) وفى عدد آخر من المجلات التى اتفق لي أن عثرت فيها على مقال مفيد ، وإن كنت لم آخذ نفسي باستقصاء تلك البحوث(١).

فالقاعدة العامة التى كان يسير عليها فى ذكر المصادر هي الاكتفاء بذكر المصادر والمراجع المؤلفة كتباً وترك ذكر البحوث والمقالات ، وتلافياً لما قد يكون أغفله من تلك المصادر والمراجع فإنه يذكر مظان تراجم الأدباء فى كتاب بروكلمان وفى تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ،"ولقد حرصت على أن أعوض الدارس الباحث عما أغفلته من استقصاء أسماء الكتب ، فبعد أن ذكرت المصادر والمراجع التى لا غنى عنها ، بعد كل ترجمه ، اتبعتها بذكر مظان هذه التراجم في كتاب بروكلمان وفي تاريخ آداب اللغة العربية لجرحي زيدان " (٢)

وهذه الطريقة التى أتبعها الدكتور عمر فروخ في ذكر المصادر والمراجع

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ١ عمر فروخ ص ٢١ .
(٢) السابق ص ٢٢ .

طريقة جيدة ونافعة إذ أنه ربما يكون قد أغفل شيئا من تلك المصادر والمراجع فعندما يذكر مظان هذه المصادر فى كتاب بروكلمان ، وكتاب جرحى زيدان يعطى الباحث والدارس طريقاً آخراً للوقوف على هذه المصادر والمراجع .

كما أنه يذكر جميع الكتب المطبوعة التى خصت الأديب بالدراسة عدا الكتب العامة التى جعلت للمدارس فنراه يقول : " أما الكتب المطبوعة التى أحرص على اثباتها بقدر الطاقة فهي الكتب الخاصة بأديب أديب وقد أورد كتاباً يضم تراجم قليلة ، أما الكتب التي جُعلت عامة للمدارس أو كانت بحوثها وتراجمها موجزة ومكرورة من مصادر أو مراجع ككتاب تاريخ الأدب العربى للمدارس الثانوية والعليا لمؤلفه أحمد حسن الزيات ، فقد أضربت عن ذكرها حباً بالاختصار ولأن ذكر مثل هذه الكتب قليل الجدوى فى مثل هذا الكتاب " (١) ، وهذا مجهود جبار قام الدكتور عمر فروخ به حيث أخذ يجمع ويستقصي ليقف على جميع الكتب المطبوعة التي خصت الأديب بالدراسة ومن ثم يرتبها ليذكرها في كتابه مساعدة منه للدارسين والباحثين وتسهيلاً لهم في الحصول على هذه الكتب متى أرادوها خاصة أولئك الدارسين والباحثين المبتدئين ذوي القدرة المحدودة على البحث ، فقد وفر عليهم

---

(١) السابق ص ٢٢ .

عناء البحث حول المصادر والمراجع التى تتحدث عن أديب أو شاعر فقد وضع امامهم كل مايمكن ان يعودوا إليه من مصادر ومراجع عند بحثهم حول أي شخصية أدبية ، وإنى أحمد له ذلك ـ رحمه الله ـ وأثنى عليه أشد الثناء فما بذله فى تأليف تاريخ الأدب العربى من جهد وصبر وتحمل عناء البحث ، وما أخرجه لنا من فوائد عظيمة في هذا الكتاب لا توجد عبارات وافية لوصفه والثناء عليه .

هذا هو الاطار العام والخطة المتبعة فى تأليف تاريخ الأدب العربى ومعالم الأدب فى العصر الحديث . (١)

(١) سيتم الحديث عن هذين الجزأين من " معالم الأدب فى العصر الحديث " فى الصفحات التالية .

و ــ نظرة في تقسيمه العصر العباسي وتقسيم غيره من المؤلفين

لقد اختلف دارسو الأدب العربي فى تحديد الفترة الزمنية للعصر العباسي فنرى من جعله ينتهي بسقوط بغداد فى يد المغول سنة ٦٥٦هـ أمثال كارل بروكلمان " (١) " وجرجي زيدان " (٢) " وأحمد حسن الزيات " (٣) ومنهم من يجعله يمتد إلى السنة التى فتح فيها السلطان سليم الأول العثمانى مصر سنة ٩٢٣ " أمثال : الدكتور عمر فروخ "" والدكتور شوقى ضيف "

كما اختلفوا فى تقسيم الفترة من ١٣٢هـ إلى ٦٥٦هـ إلى عصور أدبية ، فمنهم من جعلها عصرين مثل كارل بروكلمان : ــ

١ ــ عصر ازدهار الأدب فى عهد العباسيين بالعراق من حوالى : ــ
(٧٥٠ ــ ١٠٠٠م ــ ٤٠٢ هـ)

٢ ــ عصر الازدهار المتأخر إلى سقوط بغداد على يد هولاكو : ــ
(١٢٥٨ م ــ ٦٥٦ هـ)

وهناك من جعلها أربعة اعصر كجرحى زيدان إذ يقول : " ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن ، من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ ، وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم

(١) تاريخ الأدب العربى لكارل بروكلمان ج ١ ص ٣٧ .
(٢) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ج ٢ ص ٣١٦ ، ٣١٧ .
(٣) تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ص ٥ .

على ما أقتضته الانقلابات السياسية أو الاجتماعية ، وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة أو باختلاف الدول التى أفضت الأمور إليها ، أما القرنان الأخيران فيشتركان فى أحوالهما ، فقسمنا العصر العباسى إلى أربعة أدوار أو عصور وهي : ـ

١ ـ الدور أو العصر الأول : من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ ونسميه العصر العباسى الأول .

٢ ـ العصرالعباسي الثاني : من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ إلى استقرار الدولة البويهية فى بغداد سنة ٣٣٤هـ .

٣ ـ العصرالعباسي الثالث : من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤هـ إلى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ .

٤ ـ العصرالعباسي الرابع : من دخول السلاجقة بغداد إلى سقوطها فى أيدى التتر سنة ٦٥٦هـ ، كما حذا هذا الحذو في تقسيم العصر العباسي الأستاذ أحمد حسن الزيات .

أما الذين جعلوا العصر العباسي يمتد إلى سنة ٩٢٣هـ فمنهم الدكتور شوقى ضيف الذى جعل العصرالعباسي الأول (١٣٢ ـ ٢٣٢) بانتهاء خلافة الواثق والعصر العباسي الثاني (٢٣٢ ـ ٣٣٤) ينتهى باستيلاء البويهين على بغداد سنة ٣٣٤هـ ، ومن هذا التاريخ يبدأ عصر الدول والامارات

ويمتد إلى نهاية العصور الوسطى (٩٢٣هـ) (١)

أما الدكتور عمر فروخ فقد جعل العصر العباسى يمتد إلى السنة التى فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي للخليفة العباسي ، إذ يقول : " أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التي فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر سنة ٩٢٣هـ (١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي الذى كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق . هذه الحقبة الطويلة من سنة ١٣٢هـ إلى سنة ٩٢٣ للهجرة تضم من الناحية السياسية والأدبية أيضا إلى فترات متفاوته في الطول وفي الأهمية ، فإذا نحن اعتبرنا تلك الفترات وماكان فيها من الدول التى اتسع نفوذها فى أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الإسلامية وجدناها التالية : ـ

* الفترة العباسية الأصلية (نفوذ فارسى ثم تركى)	١٣٢ ـ ٢٣٤هـ
* عصر الدويلات ودولة بني بويه (فارسيه شيعية)	٢٢٢ ـ ٤٤٠هـ
* دولة السلاجقة (تركية سنية)	٤٢٩ ـ ٥٧٩هـ
* الأتابكة آل زنكي (من السلاجقة)	٥١٦ ـ ٦٣٩هـ
* الدولة الأيوبية	٥٥٥ ـ ٧٣٢هـ
* دولتي المماليك : المماليك البحرية	٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ
المماليك البرجية	٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ

(١) راجع سلسلة تاريخ الأدب العربى للدكتور شوقى ضيف .

فنرى أن الاختلاف لازال جارياً حول تحديد فترة العصر العباسي ، وحول أقسام أو فترات العصر العباسي ، فالدكتور فروخ جعل العصر العباسي يمتد إلى الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ معتمداً في ذلك على بقاء المنصب الرمزي للخليفة العباسي والذى جعله ينتهي بسقوط بغداد في يد المغول سنة ٦٥٦هـ اعتمد على انتهاء الحكم في بغداد لبني العباس باستيلاء هولاكو على عرش الخلافة سنة ٦٥٦هـ .

ويمكن القول بأن العصر العباسي انتهى بنهاية الخلافة العباسية في بغداد عند استيلاء هولاكو عليها ٦٥٦هـ ، لأنه بذلك قُضِيَ على الخلافة العباسية قضاء كاملاً من الناحية السياسية ، وإن بقت الخصائص الأدبية لهذا العصر ثم أخذت تهبط رويداً رويداً حتى سُمِيَ العصر الذي يلي العصر العباسي " عصر الانحطاط في الأدب " ، فالعصر العباسي انتهى سنة ٦٥٦هـ ثم قامت بعده الدول والامارات الصغيرة ، وهذا ما ذكرته كتب التاريخ والكتب التي تؤرخ للأدب أيضاً مثل تاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات ، وتاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان ولا يكفي أن يكون المنصب الصوري للخليفة العباسي موجوداً كي نجعل الفترة ما بعد سنة ٦٥٦هـ تابعة للعصر العباسي فمقاليد الحكم في هذه الفترة كان الخليفة العباسي ـ الصوري ـ لا يعلم عنها شيئاً ولا يؤخذ برأيه في أي أمر من أمور الدويلات التي قامت ، إذن فكيف نستطيع أن نسمى هذا العصر عصراً عباسياً ؟ ! !

كما أن الاختلاف واضح بين مؤرخي الأدب حول تقسيم فترة العصر العباسي ، فالذى جعله يمر بدورين أو عصرين اعتمد فى ذلك على النفوذ البويهي ، والسلجوقى الذى كان في العصر العباسي ، فجعلوا العصر العباسي الأول يبدأ من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ إلى سقوط دولة بنى بوية في بغداد سنة ٤٤٧ وقيام دولة السلاجقة التي استمرت إلى سنة ٦٥٦هـ .

أما من جعل العصر العباسى يمر بأربعة أدوار فقد تجاوز كثيراً في هذا التقسيم لأنه جعل العصر العباسى الأول يبدأ من سقوط الدولة الأموية إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ ، والعصر العباسي الثاني من خلافة المتوكل إلى استقرار البويهين في بغداد سنة ٣٣٤هـ

والعصر العباسي الثالث من استقرار البويهين في بغداد إلى دخول السلاجقة بغداد سنة ٤٤٧هـ

والعصر العباسي الرابع من دخول السلاجقه بغداد إلى سقوطها في يد المغول سنة ٦٥٦هـ .

وأرى أنه من الأفضل ألا يفصل بين العصرين ـ الأول والثاني ـ لأنه في هذه الفترة لم تتدخل العناصر الأجنبية في مقاليد الحكم تدخلاً جذرياً . ومن هنا ينبغي أن يكون تقسيم الأعصر الأدبية خلال هذه الفترة : ـ ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ كما يلي : ـ

١ ـ العصرالعباسي الأول : من سنة ١٣٢هـ أي منذ سقوط الدولة الأموية ، وقيام دولة بني العباس إلى دخول البويهين واستقرارهم في بغداد وانتشار مذهبهم الفارسى الشيعي سنة ٣٣٤هـ .

٢ ـ العصرالعباسي الثاني : من سنة ٣٣٤هـ أي من استقرار بني بويه في بغداد إلى دخول السلاجقه بغداد وانتشار مذهبهم التركى السنى سنة ٤٤٧هـ

٣ ـ العصرالعباسي الثالث : من سنة ٤٤٧هـ أي منذ دخول السلاجقه بغداد إلى سقوطها على يد هولاكو التترى سنة ٦٥٦هـ .

فهذا التقسيم بني على أساس دخول عنصر اجنبي في الخلافة العباسية وحدوث تغيرات جوهرية في المذهب والمعتقد والسياسة والمجتمع مما كان له أثره الواضح في الفكر والاتجاهات الأدبية .

* * * * * *

ز ــ معالم الأدب العربي في العصر الحديث : ــ

قد أردف الدكتور عمر فروخ سلسلة تاريخ الأدب العربى ـ الأجزاء الستة ـ بجزأين آخرين تحت عنوان " معالم الأدب العربي في العصر الحديث " وكان قد أشار إلى ذلك في رسالة رد بها على الدكتور علي زيعور عندما طلب منه أن يكتب له من مشاريعه " كتب لنا الدكتور عمر هذه اللائحة ، تحقيقاً لرغبتنا ، وذلك عند سؤاله عن مشاريعه للمستقبل وقد أوردنا هنا هذه الأسماء والتى هى مكتوبة بتاريخ ٢٩رمضان عام ١٤٠٤هـ = ١٩٨٤/٦/٢٨م بقصد إظهار ما يود المؤلف استكماله وما يشغل باله " (١)

فقد قال الدكتور عمر فروخ عن مشاريعه المستقبلية " لقد وضعت أيضاً مشروع سلسلة في الأدب العربي الحديث ، وقد أنهيت جزأين منها يتعلقان بالقرن الهجري العاشر والقرن الهجري الحادي عشر (السادس عشر والسابع عشر الميلاديين ، وسأقدمهما للطبع إن شاء الله مع بدء موسم الطباعة في الخريف المقبل " (٢) وبعد بحث واستقصاء مني استطعت أن أعلم بأن هذين الجزأين قد ظهرا بالفعل وقد حصلت عليهما ولله الحمد ، فالجزء الأول يصور معالم الأدب العربي في العصر الحديث في القرن العاشر الهجري ٩٠١ ــ ١٠٠٠هـ (١٤٩٥ ــ ١٥٩١م) وقد صدر هذا الجزء في عام ١٩٨٥م ويقع في ٥٧٦ صفحة من القطع المتوسط .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ط١ دار الأندلس ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ص ١٩٦ .
(٢) السابق ص ١٩٨ .

أما الجزء الثاني فيتناول الأدب العربي في القرن الحادي عشر الهجري ١٠٠١ ـ ١١٠٠هـ (١٥٩٢ ـ ١٦٨٨هـ) وقد صدر هذا الجزء في عام ١٩٨٦م وهو يقع في ٨٤٧صفحة من القطع المتوسط كما أن هذين الجزأين قد صدرت عن دار العلم للملايين ببيروت ـ لبنان .

وبما أن هذين الجزأين حديثا الظهور بخلاف الأجزاء الستة لتاريخ الأدب العربى للمؤلف يجدر بي في هذه العجالة ان أعرف بهما كي يكون القارىء على صلة بين هذين الجزأين ومانقوله ونناقشه حولهما ، فعند اطلاعي على هذين الجزأين وجدت أنهما لايختلفان من حيث الاطار العام عن سلسلة تاريخ الدب العربي ويقول الدكتور عمر فروخ في ذلك " لما عزمت على كتابة " تاريخ الأدب العربي " سنة ١٣٧١ للهجرة (١٩٥١م) ، ثم شرعت في جمع المواد وانشائها كان قصدي أن أقف في هذا الكتاب عند الفتح العثماني سنة ٩٢٣ للهجرة (١٥١٦م) ، وفي مدى جيل كامل من الدهر ، من سنة ١٣٧١هـ إلى سنة ١٤٠٣للهجرة (١٩٥١م ـ ١٩٨٢م) صدر هذا الكتاب في ستة أجزاء ، ولكن نفراً من الأصدقاء رغبوا في أن أتناول أطرافاً من الأدب الحديث . ثم انضاف إلى رغبة الأصدقاء هذه رغبة عند الناشر أيضا ولقد رأيت لتينك الرغبتين وجهاً ، فعزمت على أن أستمر في العمل ، وأرجو أن يعين الله سبحانه وتعالى على ماعزمت عليه ، ولكن على نطاق أضيق ، إذ ليس في الامكان أن أعد للأدب الحديث ما أعددته للأدب القديم والوسيط ، جيلاً

جديداً من الزمن من أجل ذلك أتخيل الآن سلسلة جديدة لا تختلف فى أسسها من السلسلة السابقة اختلافاً كبيراً ، وسيكون اسمها " معالم الأدب فى العصر الحديث " (١) فالمؤلف يخبر بأنه سيستمر فى التأريخ للأدب العربى وسيتناول اطرافاً من الأدب الحديث لكن على نطاق أضيق ، أي أضيق مما كان عليه فى سلسلة تاريخ الأدب العربى ، لكن عند قراءتي لهذين الجزأين لم أجد أنهما كانا على نطاق أضيق من تاريخ الأدب العربي إذ أن الجزء الأول كان يؤرخ فيه للأدب في القرن العاشر الهجرى فقط فى ٥٧٥صفحة ، والجزء الثانى يؤرخ فيه للأدب فى القرن الحادي عشر الهجرى فى ٨٤٧صفحة وبمقارنة هذه الفترة من الأعصر الأدبية مع الفترات التى أرخ لها فى كتابه تاريخ الأدب العربى نجد أن الخطة والطريقة والأسلوب هو نفسه لم يتغير من حيث إعطاء الصورة التاريخية والثقافية والاجتماعية ومن ثمّ الأدبية لكل عصر بشيء من الاسهاب فى كثير من الأحيان ، كما أني لاحظت أنه لم يختصر في هذين الجزأين بل على العكس وجدته قد أسهب فى الحديث عن أشياء لا صلة لها بالأدب وليس هناك داع إلى ذكرها ، (٢)

كما تحدث عن صورة العصر الثقافيه في أوروبا باعتبار أن الدولة العثمانية كانت تصل إلى اوروبا فتحدث عن العالم الأوروبي المعاصر للفتح

---

(١) معالم الأدب العربي في العصرالحديث د . عمر فروخ ج١ ط١ دار العلم للملايين ص ٥ .

(٢) سيتم توضيحها في الصفحات التالية .

العثمانى (فرنسة وانكلترا) و (المانيا والنمسا وايطاليا) و (روسيا) .

كلمة حول معالم الأدب العربي في العصر الحديث :ـ

عند تناولى لسلسلة " تاريخ الأدب العربي " بالدراسة وعند اطلاعى على هذين الجزأين وجدت أنهما :ـ

أولا : لايتناولان العصر الحديث وإنما يتجهان إلى العصر العثمانى ـ فالجزء الأول

يتناول معالم الأدب العربى من سنة ٩٠١هـ إلى سنة ١٠٠٠هـ (١٤٩٥ ــ ١٥٩١م)

والجزء الثانى يتناول معالم الأدب من سنة ١٠٠١ إلى سنة ١١٠٠هـ (١٥٩٢ ـ ١٦٨٨م) ومعنى ذلك أن الكتابين يتناولان معالم الأدب العربى فى العصر العثمانى لأننا نعلم أن الحكم العثمانى في البلاد العربية بدأ من سنة ٩٢٢هـ وبسقوط دولة المماليك انتهت الخلافة العباسية التى كان المماليك قد أقاموها متكأ لهم فى مصر (٦٥٩ ــ ٩٢٣هـ) وانتقل منصب الخلافة إلى آل عثمان "(١) واستمر الى سنة ١٢١٣ .

فالعصر الحديث لم يبدأ بدخول الحملة الفرنسية مصر والشام سنة ١٢١٣(١٧٩٨م) " بعد فترة طويلة من التخلف كان لابد من حدوث أكثر من

---

(١) تاريخ الأدب العربى ج ٣ ط ٣ دار العلم للملايين ص ٨٨٢ .

هزة عنيفة توقظ العرب من سباتهم ، وتثير في نفوسهم الحماس لينهضوا من كبوتهم ، وكان هذا هو ماحدث بالفعل في أواخر القرن الثامن عشر الميلادى عندما رست بواخر القوات الفرنسية الغازية بقيادة نابليون فى ميناء الاسكندرية بادئة حملة ضد مصر ، وضد الأمة العربية الاسلامية " (١)

كما يذكر الدكتور حسن الكبير حول تحديد بداية العصر الحديث " إذا كان المؤرخون قد اصطلحوا على جعل الحملة الفرنسية على مصر والشام سنة ١٧٨٩م ـ ١٢١٣ بداية لفجر النهضة فى الشرق لأنها كانت أول اتصال حقيقي بين الشرق والغرب منذ الحروب الصليبية . . . إذا تقرر ذلك لدى المؤرخين فإن نهضة الأدب العربى الحديث لم تظهر ـ فى رأيي ـ إلا فى آواخر القرن التاسع عشر حيث زالت الموانع الحقيقية للنهضة وتتابعت وسائلها وتلاحقت ، وتقدمتها أسبابها الكثيرة فقد عاد إلى مصر طائفة من المبعوثين أسهمت بأفكارها الجديدة وثقافتها الحديثة فى الحركة التعليمية أيام اسماعيل كما نشطت الحركة في إحياء التراث العربي لمواجهة الثقافة الغربية الوافدة بثقافة عربية أصيلة " (٢) .

فالفترة التي أرخ لأدبها الدكتور فروخ هى فترة العصر العثماني ، لا فترة من فترات العصر الحديث . فهذا العنوان للكتابين معالم الأدب العربي في العصر

(١) دراسات فى الأدب العربى على مر العصور للدكتور عمر الطيب الساسى ط٣ دارالشروق جده ١٣٩٩ ـ ١٤٠٠هـ

الحديث ، يوحي بأن الدكتور فروخ قد تناول العصر الحديث بالدراسة مع أن مضمون الكتابين جميعهما يدور حول العصر العثماني فقط فكان الأحرى بهذا المؤلف القدير ان يجعل عنوانه أكثر دقة فيكون مثلاً : معالم الأدب العربي فى العصر العثماني .

ثانيا ـ إن المتصفح لهذين الجزأين يجد أن الدكتور فروخ قد أسهب كثيراً في الحديث عن الأحداث التاريخية والسياسية والاجتماعية ونحن لانرى فى ذلك عيباً إذا كان هذا الحديث متصلاً بالأدب ، إذ لابد من ذكر الحقائق التاريخية البارزة التي يكون لها تأثير على سير الحركة الأدبية ، لكننا نجده يعطي تفصيلاً تاريخياً لكل مدينة وإقليم حدة مع أنه بالامكان أن يتحدث عن هذه الأحداث التاريخية بصفة عامة دون ان يفصل بين هذه القاليم لأن الحداث متشابهة ونتائجها وتاثيراتها على الحركة الأدبية أيضا متشابهة .

هذا وقد أسهب فى حديثه عن المساوىء الاجتماعية التى سادت تلك الفترة ـ القرن العاشر والحادى عشر الهجريين ـ فنجده يعطي تعريفاً كاملاً للقات ، والحشيش والبرش ، والقهوة . . . ويوضح متى ظهرت هذه المساوىء وكيف ظهرت ، مع أنه لايهم منها سوى مدى تأثيرها على الحركة الأدبية وانتاج الأدباء والشعرائ لا أكثر ، اما يُعرِّف القارىء بتاريخ ظهور هذه العادات السيئة ، وكيفية ظهورها ، وتأثيرها على متعاطيها ومكوناتها ومن ذلك قوله : " القات شجيرة قصيرة الساق جداً تتفرع غصوناً وتنمو إلى نحو

اثنتي عشرة قدماً ، وهى تنمو فى النصف الجنوبي من ساحل قارة أفريقية ، كما تنمو أيضا فى الجانب الجنوبى من شبه جزيرة العرب وفي أوراقها وعساليجها (أغصانها الجديدة التى تبدأ فى أول فصل الربيع)مادة شبه قلوية تحدث فى الذى يتعاطاها أثراً منبهاً فمنشطاً فمثيراً ، ولكن يعقب ذلك كله انحطاط في القوى ، والمدمنون على القات يتناولونه مضغاً أو مصنوعاً شراباً كثيفاً (بعد غليه مدة طويله) " (١) فهذا كله لا داعي لذكره في كتاب يؤرخ للأدب علاوة على ما قد تسببه هذه المعلومات من حب الاستطلاع وإثارة الفضول لدى القارىء للتعرف على هذه المساوىء . أما الحديث عن الأدب فى هذه الفترة فنراه فى صفحات قليلة جداً من هذين الجزأين لاتتساوى وحجم اسم الكتاب ، حتى الترجمات الكثيرة لم تكن فى أغلبها إلا لغير الشعراء والأدباء ، وما ذلك إلا لأن هذا العصر ما هو إلا امتداد لعصر المماليك (عصر الانحطاط) فكان طبيعياً أن يكون الأدب فيه مازال ركيكاً ضعيفاً .

كما أفرد فصلاً كاملاً فى الجزء الثانى من الكتاب للحديث عن الصورة العامة لقارة أوروبه فى القرن السابع عشر للميلاد وبيّن هدفه من ذلك فيقول " إن الغاية من هذا الفصل أن تدل على أن عدداً من تلك اللغات لم يكن قد ولد بعد وأن العدد الآخر منها كان لايزال يحبو نحو البلوغ ، أما الأدب

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث ج ١ ط ١ دار العلم للملايين ص ٨٤ ، ٨٥ .

الأوربى ـ في مجموعه ـ فقد كان أدنى طبقة من الأدب العربي المعاصر له ومن الأدب العربي في الجاهلية قبل أحد عشر قرناً " (١)

إن هذا المجهود الذى بذله الدكتور عمر فروخ فى اعطاء هذه الصورة العامة للوضع السياسي والأدبي لكل دولة أوربية على حده إلى جانب توضيحه مدى تطور أو جمود ذلك الأدب يعتبر مجهوداً جيداً يضاف إلى بقية المجهودات العظيمة التى بذلها الدكتور فروخ أثناء بحثه وتأليفه . لكننا مع ذلك نجد هذا الجهد بعيداً عن موضوع الكتاب الذي يؤرخ ويدرس الأدب العربي لا الأدب الأروبي .

فعنوان الكتاب يؤكد على أن الدراسة للأدب العربي فقط ، فالقارىء أو الباحث الذي يريد التعرف على الأدب الأروبي في تلك الفترة لايخطر بباله إطلاقاً أن يلجأ إلى كتاب الدكتورعمرفروخ ، وبذلك يكون قد أضاع مجهوده العظيم في جمع مادة هذا الفصل وأضاع على القارىء فرصة التعرف على الأدب الأروبي من خلال كتابه ، ولو أنه جعل هذا الفصل في كتاب مستقل تحت عنوان : " تاريخ الأدب في أوروبا في القرن السابع عشر الميلادي " لكان أفضل له وللقارىء .

---

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين ص ٢١ .

ح ـــ التراجم في معالم الأدب العربي في العصر الحديث :

مما نحمده للدكتور عمر فروخ عرضه للكثير من الشخصيات التى قد تغيب على كثير من الباحثين ، فهو يجمع لنا في هذين الجزأين (٢٤٦) شخصية مما يدل على أنه بذل مجهوداً جباراً فى جمع مادة هذه الشخصيات والتعرف بها مثل : شمس الدين السخاوي ص١٣٧ ، وابراهيم الوزيرى ص١٧٣ ، وبرهان الدين بن أبى شريف ص٢١١ ، وابن إياس ص٢٣٨ ، وشمس الدين بن طولون ص٢٨٩ ، ورضي الدين الحنبلي ص٣٦٦ ، ونور الدين العسلي ص٤٠٧ ، ومحي الدين النجار ص٤٤٤ ، وعبدالقادر بن أحمد الفاكهي ص٤٦٥ ، وعبدالمعطي باكثير ص٤٩٣ ، وجلال الدين بن هبة الله ص٥٣٨ ، . فى الجزء الأول من معالم الأدب العربى فى العصر الحديث .

أما الجزء الثانى فمن الذين ترجم لهم : ــ

أمين الدين الصالحي الهلالي ص١٨١ ، وأحمد بن عبدالغفار ص٢٠٩ ، وتقي الدين الغزي المصري ص٢٢٠ ، والمنصور الذهبي ص٢٣٢ ، وابن القاضي الفاسي ص ٣٢٢ ، وعبدالكريم أفندى سنان ص٤٢٩ ، وشمس الدين المحاسني ص٦٦٦ ، وابن الخطيب الدمشقي الحفيد ص٧١٨ ، ومحمد بن محي بن معصوم ص٧٥٣ ، وعلي بن المتوكل على الله اسماعيل ص٧٨٦ .

كما أنه أعطى ترجمات موجزة لبعض الشخصيات في الجزء الثانى تحت عنوان : ــ " في اللغة والأدب عامة " فيقول : " هذا الفصل يضم

اشارات إلى نفر من اللغويين والأدباء والشعراء لم أجد أن بالامكان أفرادهم بتراجم مستقلة ثم هم يمثلون جانباً من العصر ويتمون رسم صورته الثقافية إلى حد ما " (١)

فهذه الشخصيات التى يذكرها فى هذا الفصل ـ فى اللغة والأدب عامة لايمكن ذكرها عند تناول التراجم المستقلة نظراً لقلة نتاجها كما أنه لايمكن تجاهلها لما لها من أثر واضح في رسم صورة العصر الثقافية لذلك ذكرها تحت عنوان " في اللغة والأدب عامة " ومن هذه الشخصيات : ـ

علي بن غانم المقدسي (ت١٠٠٤هـ) ص١١٩ ، ومصطفى بن ابراهيم (ت١٠٢٤) ص١٢١ ، وعلي بن صلاح بن محمد العبالي (ت١٠١٩هـ) ص١٢١ وعبدالقادر بن محمد بن محي الطبري المكي(ت١٠٣٣هـ) ص١٢٢ ، وأبوالمواهب أحمد بن علي بن عبدالقدوس بن محمد الشناوى(ت١٠٢٨ه) ص١٢٣ ، وقطب الدين لطف الله بن محمد الغياث(ت١٠٣٥هـ) ص١٢٥ .

وقد أعاد الدكتور عمر فروخ بعض الترجمات التى ذكرت فى الجزء الثالث والسادس من سلسلة تاريخ الأدب العربى فهو يقول : " لما رأيت أن تكون هذه السلسلة مستقلة فى نفسها ـ وكانت تبدأ بمبدأ القرن العاشر للهجرة ـ لم يكن لى بد من أن أعيد فى هذا الجزء الأول عدداً من التراجم التى مرت فى الجزء الثالث (من قسم الأدب المشرقي) والجزء السادس (من قسم

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج ٢ ط ١ دار العلم للملايين ص ١١٩ .

الأدب في المغرب والأندلس) من السلسلة الماضية ، ولكن على غاية من الوجازة ، أو مع شيء من التوسع لم يكن فيها من قبل ، ولقد أشرت إلى التراجم المكررة في هذا الجزء بحصر كل عنوان من عناوينها بين نجمين صغيرين " (١)

ومن هؤلاء الذين أعاد الدكتور عمر فروخ ترجمتهم : ـ أحمد باشا الرومي ص١٣٧ وشمس الدين السخاوي ص١٣٧ ، وشمس الدين القادري ص١٣٩ ، والحسين بن صديق بن الأهدل ص١٤٠ ، وأحمد بن عُتْبُه ، ومحمد الجلجولي ص١٦٣ ، وجلال الدين السيوطي ص١٦٣ ، وأحمد بن الفرفور الدمشقي ص١٦٥ .

وأخيراً أقول بحقٍ إن مجهود الدكتور عمر فروخ فى ترجمة الشخصيات التى احتواها كل عصر سواء كانت هذه الشخصيات أدبية أو غير أدبية مجهوداً عظيماً يُسجل له ، ويستحق عليه كل ثناء وتقدير لآنه بذلك يعطى الباحثين والدارسين فرصة التعرف على شخصيات كثيرة فى كل فترة أو عصر أدبى ، هذا إلى جانب الاحالة إلى المراجع لمن يريد الاستزادة حول أى شخصية من الشخصيات التى ذكرها .

أما فيما عدا ذلك فإنني أقول : إن هذا الكتاب قد عنى بتوضيح أحداث سياسية واجتماعية وإبراز مساوىء اجتماعية ظهرت فى تلك الفترة أكثر من احتوائه على ابراز الملامح الأدبية مما تتضح معه الصورة الحقة للأدب فى تلك الحقبة الطويلة من تاريخ الأمة العربية .

---

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج١ ط١ دار العلم للملايين ص٧ ـ ٨ .



الفصل الثاني

الموضوعات الادبية وطريقة دراسته لها

١ ـ العصر الجاهلي :

أ ـ أيهما أسبق : الشعر أم النثر

ب ـ تاريخ الأدب الجاهلي

ج ـ قضية اللفظ والمعنى

ء ـ المعلقات

هـ ـ النثر الجاهلي

٢ ـ عصر صدر الإسلام

أ ـ الشعر　　ب ـ النثر

٣ ـ العصر الاموي

أ ـ النقائض　　ب ـ النثر

٤ ـ العصر العباسي

أ ـ ظروف العصر　　ب ـ اتساع الفنون الادبية

٥ ـ الادب العربي من مطلع القرن الخامس الهجرة إلى الفتح العثماني

٦ ـ كثرة التأليف في عصر الانحطاط

٧ ـ الأدب العربي في الاندلس والمغرب

٨ ـ الموشحات

٩ ـ معالم الأدب العربي في العصر الحديث

١ ـ العصر الجاهلى

أ ـــ أيهما أسبق : الشعر أم النثر ؟

من القضايا الأدبية التى اثارها فروخ قضية أيهما أسبق : الشعر أم النثر؟ وقد ذهب الدكتور عمر فروخ إلى أن النثر أقدم من الشعر فقال في تعريفه للكلام المنثور أنه " هو الكلام الطبيعي المألوف في الحياة اليومية ، وعلى ذلك كان الكلام المنثور أسبق في التعبير عن مقاصد الانسان وعن أفكاره " (١)

حقيقة إن الكلام الطبيعى المألوف فى الحياة اليومية يسمى نثراً ولكن هناك اختلاف كبير بين هذا النثر ، والنثر الفني ، ونحن عندما ندرس الأدب لا نقصد بالنثر الكلام الطبيعى المألوف فى الحياة اليومية ـ كما يقول فروخ وإنما نقصد به النثر الفني الذى يقوم على أسس فنيه وخصائص أدبية .

فهو قد خلك بين النثر الذى هو الكلام الطبيعى وبين النثر الفنى ، وقد أعاد هذا القول إلى نفسى ذلك الحوار الذى تحدث فيه جوردان " (٢) لستاذه الفيلسوف فى قصة من قصص موليير : إنى أريد أن ألقى إليك سراً ، فيقول له أستاذه : هات فيقول : إني أريد أن أكتب بطاقة لسيدة جميلة وأريدأن أستعين بك عليها ، فيقول له أستاذه : لك ذلك ، هل تريد شعراً ؟ فيقول كلا . . . هل تريد نثراً ؟ فيقول : كلا .

---

(١) تاريخ الأدب العربى (مصدر سابق) ج١ ص ٤٥ .

(٢) شخصية من شخصيات قصص موليير .

فيقول له أستاذه : ومع ذلك فلابد ان تختار إما شعراً وإما نثراً ، لأن الكلام لايمكن أن يكون إلا شعراً أو نثراً ، فيقول له صاحبه : وإذن فعندما أطلب من خادمي أن يناولني قلنسوتي أو حذائى فأناأقول النثر؟فيقول له : نعم.فيقول: ياللعجب ! إذاً فأنا أتكلم النثر منذ أربعين سنة ـ ولا أدرى " (١)

فنحن إذن إذا أردنا أن نعرف أيهما أقدم النثر أم الشعر ، علينا ان ننظر بمنظار فني أدبي كما ذكر الدكتور طه حسين " فعندما نلاحظ تاريخ الأمم التى كانت لها حياة أدبية وكان لها شعر ونثر ، نلاحظ أن حياتها الأدبية قد بدأت شعراً وأن الشعر وجد فيها قبل أن يوجد النثر بزمن طويل " (٢) فالأمم التي لها أدب قد عبرت عن ميولها وشعورها بالشعر قبل ان تعبر عنه بالنثر ، وعندما تطورت ونشأت لديها أفكار وآراء لم توجد من قبل واحتاجت أن تنتظم هذه الافكار والآراء فعجز الشعر عن ذلك بطبيعة قواعده وأسسه والتزامه بالوزن والقافية أضطرت أن تعبر عن تلك الأفكار والآراء بأسلوب آخر أوسع ، فكان النثر ، كمرحلة تالية من تاريخ التطور الفكرى .

---

(١) من حديث الشعر والنثر للدكتور طه حسين . ص٢١ ، دار المعارف

(٢) السابق ص ٢٢ .

ب ـــ تاريخ الأدب الجاهلي : ـ

أما بالنسبة لتأريخه للأدب الجاهلى فلا أدرى على أي أساس جعل فترة هذا العصر مائة وستين سنه قبل الاسلام حيث يقول : " تاريخ الأدب العربى قديم جداً ولكن أقدم ما وصل إلينا من نصوص الأدب لايزيد عمره على ألف وستمائة سنة هذه المدة مقسومة في تاريخ الأدب ثلاث حقب هي : ــ

الأدب القديم من أقدم العصور الجاهلية إلى آخر العصر الأموي (نحو ٣٠٠سنة) (١) فمائة وأربعين سنة تقريباً للعصر الأموي وعصر صــدر الاسلام ومائة وستين للعصر الجاهلى . ومع مدة العصر الجاهلى مائــة وخمسون سنة قبل الاسلام ، ومنهم من قال إنها مائتا عام ، ولم يقل أحد ــ غير الدكتور فروخ ــ بمائة وستين سنه ــ فمن جعل العصر الجاهلى يمتد قبل مائتى سنة قبل الاسلام إنما فعل ذلك على أساس الأحداث السياسية التى حدثت فى تلك الفترة عندما استقل العدنانيون عن اليمنيين فى منتصف القرن الخامس للميلاد وينتهى بظهور الاسلام سنة ٦٦٢م " (٢)

أما الذين يؤرخون للأدب الجاهلى على أنه قبل الاسلام بمائة وخمسون سنه فيعتمدون فى ذلك على بداية الأثار الأدبية الموجودة فى النقوش أو التى عُرفت عن طريق الرواية " خضع الأدب لتقسيمات وزّعها مؤرخوه على امتداد

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٥٨ .

(٢) الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى للدكتور خفاجى ص ١٨ ط١ مكتبة الحسين التجارية .

عصور التاريخ العربي والإسلامي ابتداء من العصر الجاهلي الذى حدد بدايته أدبياً قبل الاسلام بمائة وخمسين عاماً تقريباً ، وقد اعتمدوا فى ذلك على بدايات الآثار الأدبية التى وصلت عن طريق النقوش والرواية " (١) أما أن يجعل الدكتور عمر فروخ فترة التاريخ للأدب الجاهلي مائة وستين سنة قبل الاسلام فقد كنت أرجو أن يوضح السبب الذى حدا به إلى ذلك حتى نجد المبررات الكافية لما ذهب إليه .

* * * * * * * * * * *

(١) المدخل في دراسة الأدب للدكتورة مريم البغدادي ، تهامة / جدة ، ط١ ص ٣٧ .

ج ــ قضية اللفظ والمعنى : ــ

أثار الدكتور عمر فروخ قضية كبرى طالما تحدث فيها القدماء وهي قضية المعنى واللفظ وأيهما أهم في العمل الأدبي فنجد منهم من يساوي بين المعنى واللفظ كابن رشيق الذى يقول في العمدة : " اللفظ جسد وروحه المعنى وارتباطه به كارتباط الروح بالجسم ، يضعف بضعفه ويقوى بقوته ، فإذا سلم المعنى واختل بعض اللفظ كان نقصاً للشعر وهجنة عليه كما يعرض لبعض الأجسام من العرج والشلل والعور وما أشبه ذلك من غير أن يذهب الروح وكذلك إن ضعف المعنى واختل بعضه كان اللفظ عن ذلك أوفر حظ كالذى يعرض للاجسام من المرض بمرض الأرواح ولا تجد معنى يختل إلا من جهة اللفظ وجريه فيه على غير الواجب قياساً على ما قدمت من أدواء الجرم والأرواح فإن اختل المعنى كله وفسد بقى اللفظ مواتاً لا فائدة فيه وإن كان حسن الطلاوة فى السمع وكذلك إن اختل اللفظ جملة وتلاشى لم يصح له معنى " (١)

كذلك فإن ابن قتيبة في" الشعر والشعراء" يساوي بين المعنى واللفظ فى الأهمية ومن المحدثين نجد الدكتور خفاجى أيضا يساوى بين اللفظ والمعنى من حيث الأهمية فيقول : " فيجب على الأديب أن يوازن بينهما موازنة دقيقة ، فلا يطغى المضمون على الشكل ـ أي الصورة ــ وإلا خرج الكلام أدباً لفظياً لا قيمة له فى باب الفكر " (١)

(١) العمدة ، تحقيق وشرح د. مفيدمحمدقميحه ط١دارالكتب العلمية ـ بيروت ـ لبنان ، ج١ ص١٢٤ .

(٢) النقد العربى الحديث ومذاهبه للدكتور خفاجى ، مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة ـ مطبعة الفجالة ص٤٦

وابن الأثير الذى ذكر ذلك فى كتابه المثل السائر ، فهو يرى أن الألفاظ لابد أن تكون سهلة حلوة موافقة للمعانى لا تزيد عليها ولا تنقص عنها .

أما من يؤثر الأسلوب (اللفظ) على المعاني فيرى أن المعاني إذا كانت كثيرة كانت حشوا فاشتغل الذهن بالغوص عليها فضاع على الذوق فرصة إيفاء حق الشعر من البلاغة ، ولايكون الشعر سهلاً إلا إذا كانت معانية قليلة تسابق الفاظه إلى الذهن .

وقد قدم الجاحظ قديماً اللفظ على المعنى حيث يقول : " المعانى مطروحة فى الطريق يعرفها العجمى والبدوى والقروى والمدنى ، وإنما الشأن فى إقامة الوزن وتخير اللفظ وسهولة المخرج وفي صحة الطبع وجودة السبك " (١)

ومن النقاد الذين قدموا اللفظ على المعنى ايضاً أبوهلال العسكري حيث يقول في الصناعتين : " ليس الشأن في إيراد المعاني لأن المعاني يعرفها العربي والعجمي والقروي والبدوي ، وإنما هو فى جودة اللفظ وصفاته وحسنه وبهائه ونزاهته ونقائه وكثرة طلاوته ومائه مع صحة السبك والتركيب والخلو من أود النظم والتأليف وليس يطلب من المعنى إلا أن يكون صواباً ولا يقنع من اللفظ بذلك حتى يكون على ما وصفناه من نعوته التى تقدمت(٢)

---

(١) الحيوان . للجاحظ ـ ج ٢ ص ١٣١ .

(٢) كتاب الصناعتين (الكتابة والشعر الأدبى لأبي هلال العسكرى ، تحقيق على محمد البجاوى ومحمد أبوالفضل ابراهيم ط بدون ، المكتبة العصرية ، صيدا بيروت ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

ويسوق ابن رشيق قول العلماء من أن : " اللفظ أغلى من المعنى ثمناً وأعظم قيمة وأعز مطلباً فإن المعاني موجودة في طباع الناس يستوى الجاهل فيها والحاذق ولكن العمل على جودة الألفاظ وحسن السبك وصحة التأليف " (١)

وبالنسبة للدكتور فروخ فهو يساوى بين اللفظ والمعنى إذ يقول : " ولاريب في أن الأدب هو الأدب الجيد وحده ، وكل ماسواه فليس بأدب ، فالأدب إذن هو المعنى المبتكر في اللفظ الفصيح والتعبير المتين والأسلوب البارع والخيال الواسع ، وهكذا لانعد الكلام المتداول في أحاديثنا اليومية المألوفة ولا الكلام الدائر في الرسائل العادية من اخوانية وتجارية ولا الكلام المستعمل فى الصحف اليومية والكتب العلمية أدبا ، إلا أن يتأنق المتكلم أو الكاتب فيه فيدخل ذلك الكلام حينئذ فى نطاق الأدب على مقدار مافيه من البراعة والتأنق " (٢) .

أما رأيى فإنى أرى أنه لاضير بالمساواه بين اللفظ والمعنى من حيث الأهمية فى العمل الأدبى فالمعنى لابد أن يُفى بلفظ مناسب له دون زيادة ولا نقصان ، ولكن المعولَّ الحقيقى في تقييم الأعمال الأدبية فى الدرجة الأولى هو الأسلوب لأن المعاني كماقيل مطروحة فى الطريق يعرفها العربى والعجمى فالأديب الجيد أوالشاعر الموهوب الذى يستطيع أن يغير عن المعنى الواحد بعدة أساليب مختلفة ومتباينة بحيث يكون كل لفظ مضيفاً على المعنى شيئاً من الروعة والرونق والوضوح والقوة والجمال .

---

(١) العمدة ـ ج٢ / ص ١٢٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ، ج١ ، ط٤ دار العلم للملايين ص ٤٤ .

د ــ المعلقات : ــ

يقول الدكتور فروخ : " ومع الأيام زاد في الحياة الأدبية وجه جديد ذاك أن الشعراء كانوا يتبارون فى سوق عكاظ أمام أحد فحول الشعر ـ وقد ذكروا من هؤلاء النابغة ـ فمن حكم له أنداده أختيرت قصيدته و (علقت) قيل أعدُوها علقاً أي شيئاً نفيساً ، وقيل كتبوها بالذهب وعلقوها على جدار الكعبة ، وقيل بل علقوها بالذهن أي حفظوها عن ظهر قلب ، وليس من المستبعد أن تكون المعلقات قد دونت وعلقت في الكعبة تصديقاً للروايات الكثيرة المتواترة فى ذلك وجرياً على عادة الجاهلين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها فى الكعبة نفسها "(١)

فهو يذكر الآراء التى قيلت حول تسمية (المعلقات) من أنها قد تكون أُعتبرت علقاً أى شيئاً نفيساً ، أو تكون قد عُلقت بالذهن وحفظت عن ظهر قلب ، ثم لايستبعد ان تكون قد دُونت وعُلقت فى الكعبة معتمداً فى ذلك على الروايات الكثيرة المتوافرة ومعتمداً أيضا على عادة الجاهلين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها في الكعبة وأنا لا أوافقه في الرأي الأخير ، هذا لأنه بالنسبة للروايات الكثيرة فإنها لم تأتِ في وقت متقدم ، وإنما أول من ذكر تعليق المعلقات على الكعبة ابن الكلبى المتوفى سنة ٢٠٤هـ أو عزاها غيره إليه رغبة في تحبيب الناس في الشعر الجاهلي وإقبالهم عليه بعدما رأى بوادر الانصراف عنه إلى الشعر الاسلامى .

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ، ج١ ، ط٤ دار العلم للملايين ص ٧٥ .

وأبو الفرج الأصفهانى في كتابه الأغانى ، وهذا الكتاب متأخر ، ثم إن حماد الرواية (م١٥٦هـ) هو الذي قام بجمعها لأول مرة وسماها المشهورات أو السموط جمع سمط وهو العقد ، ولم يطلق عليها المعلقات . فلو أن المعلقات عُلقت فى الكعبة بالفعل لذكر المتقدمون ذلك .

أما قوله وجرياً على عادة الجاهلين في كتابة عهودهم ومواثيقهم وتعليقها فى الكعبة لايمكن أن يكون دليلاً يُستند عليه في القول بتعليق المعلقات فى الكعبة فالأمر مختلف هنا لأن العهود والمواثيق تحتاج إلى أن يعرفها القوم جميعهم ويلتزمون بها ولايخالفونها لذلك تُدوَن هذه العهود والمواثيق وتُعلق على الكعبة ، ولكن المعلقات لاتنص على عهد أو ميثاق كى تُعلق فى الكعبة لإضافة إلى ما فيها من فحش لا يتناسب وقدسية الكعبة موضع تقديسهم وإجلالهم . وأنه لم يرد لنا شيء عنها في عصر رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولو ورد لعرفه الناس وتناقلوه ، وإنما يمكن لنا أن نقول فى سبب تسميتها بالمعلقات بما قاله فريق من الباحثين رواه لنا التبريزى الذى يقول فيه : " وذهب فريق إلى وجه تسميتها بالمعلقات علقوها بأذهان صغارهم وكبارهم ومرءوسيهم ورؤسائهم وذلك لشدة اعتنائهم بها " (١) فلأنها علقت بالأذهان وحفظت عن ظهر قلب سميت المعلقات ، والله أعلم .

---

(١) الحياة الأدبية فى العصر الجاهلى د . محمد عبدالمنعم خفاجى ط ١ مكتبة الحسين التجارية ص ٢٦٢ .

هـ ـــ النثر الجاهلي : ـ

يذكر الدكتور عمر فروخ أغراض النثر الأدبي في العصر الجاهلي فيقول : " ومن أوجه النثر في الجاهليه الأمثال والوصايا وسجع الكهان " (١) ثم يعرف كل نوع على حده فيقول : أما الأمثال فهي جمل قصيرة وجيزة تدل على صحة الرأى وصدق الاختبار " ثم يفرق بينها وبين الحكم : " ومع أن المثل قول حكيم على كل حال فإنه غير الحكمة إن الحكمة قول صائب في حال مخصوصة ، بينما المثل قول موافق للواقع يعمل الانسان به " (٢)

أما الوصايا فيقول فيها : " وأما الوصايا فهى من باب الخطب ، إلا أن الخطبة تُقال في الحفل المجتمع ، بينما الوصية تقال للفرد " (٣) .

وفى سجع الكهان يقول : " وأما سجع الكهان فإنه أيضا من باب الخطابة ولكن جملة أقصر ، والسجع فى فصول الكلام مطرد لا تخلو جملة منه من سجعه ، ولذلك سمى سجع الكهان " (٤)

فهو يذكر ان الوصايا من باب الخطب وكذلك سجع الكهان لكنه لم يذكر شيئاً مفصلاً حول الخطابة ولم يعطها حقها من الايضاح مع أنها من أبرز فنون النثر في العصر الجاهلى ، إذ كانت هى النافذة التى يطل منها الأديب على

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط٤ دار العلم للملايين ج١ ص ٨٩ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) نفسه ص ٩٠ .

(٤) نفسه والصفحة نفسها .

مجتمعه إما ناصحاً أو حاثاً على قتال الأعداء أو داعياً إلى السلم أو مفاخراً أو مهنئاً ....

يقول الدكتور شوقى ضيف : " كان للخطابة فى العصر الجاهلى شأن عظيم إذ كانوا يستخدمونها في منافراتهم ومفاخراتهم وفي النصح والإرشاد وفي الحث على قتال الأعداء وفي الدعوة إلى السلم وحقن الدماء ، وفي مناسباتهم الاجتماعية المختلفة كالزواج والإصهار إلى الاشراف وكانوا يخطبون في الأسواق والمحافل العظام والوفادة إلى الملوك والأمراء متحدثين عن مفاخر قبائلهم ومحامدها " (١) فقد كان للخطابة دور كبير فى الحياة العامة والخاصة فهي من أبرز الفنون الأدبية في ذلك العصر ، ومع ذلك يغفل الدكتور فروخ تفصيل الحديث فيها وبيان موضوعاتها ويكتفى بالقول فيها : " والخطابة قديمة وعامة في جميع الأمم ، ويروي الجاحظ أن الفرس أخطب الأمم كلها والخطابة صعبة لحاجة الخطيب إلى البداهة والارتجال والبدو أحسن خطباً من المولدين ومن أهل المدن عامة لأن البدوى يجرى على الطبع ولا يتكلف في شيء وتكون الخطب طوالاً وقصاراً ، إلا أن القصار أفضل لأنها أسرع علوقاً بالذاكرة وأطول مكثاً فيها " (٢)

وفى خصائص النثر الجاهلي بصفة عامة يقول : " ومن خصائص النثر الجاهلي أنه كثير الفواصل والموازنة ، مقتصد في السجع قليل الصناعة"(٣)

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ، د . شوقي ضيف ط٨ دار المعارف بمصر ص٢٧ .

(٢) تاريخ الأدب العربى ــ د . عمر فروخ ج١ ط٤ . دار العلم للملايين ، بيروت ــ لبنان ص ٨٩ .

(٣) السابق ص ٨٩ .

أما الدكتور شوقي ضيف فيقول : ـ

من الصفات التي تميز عرب الجاهلية أنهم كانوا يحبون البيان والطلاقة والتحبير والبلاغة ، ودفعهم ذلك إلى الاحتفال بخطاباتهم احتفالاً شديداً لا من حيث الصقل وتجديد الألفاظ فحسب بل أيضا من حيث مخارج الكلم " (١) كما أن الدكتور زكى مبارك يثبت السجع خصيصة من خصائص النثر الجاهلى فيقول : " وما جمعه الرواة من خطب الجاهلين أكثره مسجوع كخطبة قس بن ساعدة الايادىّ وخطبة النابغة الذبيانى " (٢) .

فالنثر الجاهلى إذن كان يقوم على السجع يقول الدكتور شوقى ضيف : " ثبت عند من يروون المافران والخطب الجاهلية أنها كانت تعتمد اعتماداً شديداً على السجع " (٣) لكن الدكتور عمر فروخ يرى أن هذا السجع كان مقتصداً فيه مع أن الأدلة تثبت أن النثر الجاهلى بصفة عامه يقوم على السجع والصناعة سواء في الوصايا أو الخطب أو الأمثال أو سجع الكهان ومثال ذلك في الوصايا وصية زهير بن خباب الكلبى لبنيه " يابنى قد كبرت سنى وبلغت حرصا من دهري فأحكمتنى التجارب والأمورتجربة واختبارفاحفظوا عني ما أقول وعوه : إياكم والخورعند المصائب والتواكل عند النوائب فإن ذلك داعيه للغم،وشماتة للعدو،وسوء ظن بالرب،وإياكم أن تكونوا بالأحداث مغترين ،

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د . شوقى ضيف ط٨ دار المعراف بمصر ص٣٣

(٢) النثر الفنى فى القرن الرابع ج١ زكى مبارك ص٧٦ .

(٣) الفن ومذاهبه فى النثر العربى ـ د . شوقى ضيف ـ ط٨ دار المعارف بمصر ، ص٣٥ .

ولها آمنين ومنها ساخرين فإنه ما سخر قوم قط إلا أبتلوا ولكن توقعوها فإنما الانسان في الدنيا غرض تعاوره الرماح ، فمقصر دونه ومجاوز لموضعه وواقع عن يمينه وشماله ثم لابد أنه مصيبه " (١)

فالصناعة اللفظية واضحه فى الوصية السابقة (المصائب ، النوائب) ، (مغتربين ، آمين ، ساخرين) .

أما الخطب فخير دليل على ما تحتويه من صناعة هو خطبة أكثم بن صيفى التى يقول فيها : " إن أفضل الأشياء أعاليها ، وأعلى الرجال ملوكها ، وأفضل الملوك أعمها نفعاً ، وخير الأزمنة أخصبها ، وأفضل الخطباء أصدقها ، الصدق منجاة ، والكذب مهواة والشر لجاجة والحزم مركب صعب والعجز مركب وطيء ، آفة الرأي الهوى ، والعجز مفتاح الفقر ، وخير الأمور الصبر ، حسن الظن ورطة وسوء الظن عصمة ، اصلاح فساد الرعية خير من اصلاح فساد الراعى . . " (٢)

فالصناعة اللفظية بصفة عامة والسجع بصفة خاصة يظهران فى الخطبة السابقة بوضوح وكذلك الأمثال كانت تقوم على السجع ، ولو لم يكن كذلك لما حُفظ لنا ووصل إلينا هذا الكم من الأمثال الجاهلية مثل : " إذا فزع الفؤاد ذهب الرقاد ، الحر حر وإن مسه الضر ـ رب كلمة سلبت نعمه " أما سجع الكهان فلا يقوم إلا على السجع ولذلك سمي بسجع الكهان (٣) .

---

(١) جمهرة خطب العرب فى عصور العربية الزاهرة ـ ج١ ـ العصر الجاهلى وعصر صدر الاسلام ـ أحمد زكى صفوت ، المكتبة العلمية . بيروت ص١٨٧،١٨٨ .

(٢) السابق . (ص ٥٦) .

(٣)الكاهن : هو من يدعى علم العيب أو التنبؤء به ـ وهكن : أخبره بالغيب فهوكاهن وسجع الكهان : كلامهم المزوق المتكلف (راجع المعجم الوسيط ج٢) ص٨٠٣ .

ومنه قول أحدهم " والأرض والسماء والعقاب والصقعاء ، واقعة ببقعاء لقد نفّر المجد بني العُشراء للمجد والسّناء "

فهذه أدلة واضحة على أن النثر الجاهلى بأغراضه المختلفة يقوم على الصناعة اللفظية خاصة السجع ، ولكن هذه الصناعة غير متكلف فيها بل كانت تأتي متسقة مع المعنى غير مخلة به ، ولا بعيدة عنه ، وقد ذكر الدكتور عمر فروخ أنه على من يريد التعرف على أساليب الجاهليين عليه بالرجوع إلى القرآن الكريم حيث يقول : " وبما أننا لسنا على ثقة من أن جميع النصوص النثرية قد رويت لنا عن الجاهلية بلفظها الأول فقد أصبح لزاماً على من أراد أن يتعرف إلى أساليب الجاهليين فى نثرهم أن يتلمسها في القرآن الكريم، فإن حجة ذلك الآية الكريمة : " وما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه ليبين لهم" ففى القرآن الكريم جميع أساليب العرب " (١)

وهذا أمر أوافقه عليه بالفعل لابد أن يكون القرآن الكريم قريباً من النثر الجاهلي في خصائصه اللفظية لأنه بلغة قوم المصطفى صلى الله عليه وسلم وهى اللغة العربية .

أما حول مدى صحة ما وصل إلينا من النثر الجاهلي :

فإنه لايمكن الجزم بأن كل ما وصل إلينا على أنه نثر جاهلي هو جاهلي فعلا فقد تعرض النثر الجاهلي ـ وكذلك الشعر ـ إلى الوضع والانتحال إلا أن المقدرة على الوضع في النثر كانت أسهل وأوسع ، ويذكر

(١) السابق نفسه .

الدكتور عمر فروخ قول ابن رشيق راوياً عن غيره " ماتكلمت به العرب من جيد المنثور أكثر مما تكلمت به من جيد الموزون فلم يحفظ من المنثور عشره ، ولاضاع من الموزون عشره " (١) وعلى كل فإنه لايمكن إغفال ماكان للأدباء في العصر الجاهلي من جهد ومشقة فى اخراج هذا النثر " وأكبر الظن ان فيما قدمنا من حديث عن سجع الكهان وخطابه الجاهليين وماكان من أمثالهم ما يدل دلالة صريحة على أن ما سلم لنا من بقايا نثرهم إنما هو شظايا متناثرة من صناعة بليغة تستنفد من أصحابها آماداً واسعة من التعب والعناء والجهد والنشاط " (٢)

فالنثر الجاهلى له قيمته التاريخية والأدبية فهو يقدم صورة واضحة عن الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والأدبية في ذلك العصر وإن تعرض لبعض الوضع فهذا لا يقلل من قيمته أو يحط من شأنه فهو أدب رفيع . لا يخلو من الصدق رغم ماقال فيه المشككون والمغرضون .

ولكي أنهى حديثى عن النثر الجاهلى وآراء الدكتور عمر فروخ النقدية فيه لابد لى من أن أعرض لقضية هامة طرحها الدكتور فروخ ولم يعلق عليها أو يفصح عن رأيه فيها وهي قوله : " وبعض النقاد يفضل الكلام المنظوم على الكلام المنثور ، كابن رشيق وأبى هلال العسكري ، أما ابن الأثير فيرى أن االمنثور اشرف من المنظوم لأن أسباب النظم أكثر وميدانه أوسع ، ولذلك

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ط٤ دار العلم للملايين ج١ ص٨٩ .

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى للدكتور شوقى ضيف ص٤١ ط٦ ـ دار المعارف بمصر .

كان عدد المجيدين من الشعراء أكبر من عدد المجيدين من الكتاب " (١)

أما رأيى فهو أن الكلام المنظوم أفضل وأرقى من الكلام المنثور لأن الكلام المنظوم له قواعد لابد أن يُتقيد بها ، فإذا استطاع الأديب (الشاعر) أن يتقيد بهذه القواعد سواء في الوزن أو الموسيقى أو القافية وقواعد النحو والصرف ويسير عليها ويعطى نظماً يقوم على فكرة جيدة بأسلوب جيد ، فإنه بلا شك يكون أفضل من الكلام المنثور الذى ليس له قاعدة ضيقة تحكمه ، وإنما يمكن للأديب (الكاتب) أن ينطلق ويتحدث بما يبين عن فكرته وما يحكمه فى ذلك إلا الالتزام بالقواعد النحوية والصرفية والصياغة الجيدة والابانه عن غرضه .

* * * * * *

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ط٤ دار العلم للملايين ج ١ ص ٨٨ .

٢ــ عصر صدر الاسلام

أ ـــ الشعر :

إن أول ما نلاحظه على الأدب في عصر صدر الاسلام وعصر الخلفاء الراشدين تاثره بالقرآن الكريم سواء في الألفاظ أو في المعانى " رأينا أن الشعر في الصدر الأول من الاسلام لا يختلف كثيراً في أسلوبه منه في الجاهلية ، أما في المعانى والأغراض فقد كان الفرق بين العصرين كبير جداً: هجر المسلمون الأغراض الوثنية : القَسم بالأوثان ، والكلام في العصبيات ، والفخر بالخمر وبالثأر إلا قليلا ، ثم أحلوا مكانها المعاني الإسلامية مثل التوحيد والتقوى والجهاد والجنة " (١)

وهذا أمر طبيعى فهذا الدين الذي صحح العقائد وصحح العبادات وأنار الطريق للناس وأزكى فى أنفسهم حب الخير والتفاني في فعله ونشر بينهم الأخلاق الفاضلة من صدق وأمانة وتسامح ووفاء ، وصبر وإيثار . . . وبما أنه غيّر كثيراً في أخلاقِهم وأقوالهم فلا بد أنه أثّر على أدبهم الذى هو عبارة عن مرآة للعصر الذى يُقال فيه فكان شعرهم يتضمن المعاني الإسلامية ويدعو إلى التحلى بالأخلاق الفاضلة والبعد عن الفواحش ، ومن هذا الشعر الداعي إلى مكارمِ الأخلاق قول معن بن أوس (٢) : ـ

وذي رحم قلّمت أظفار ضغنه   بحلمي عنه وهو ليس له حلمُ

---

(١) تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ ط٤ دار العلم للملايين ج١ ص٢٤٦ .

(٢) العصر الاسلامي للدكتور شوقى ضيف ط٧ دار المعارف بمصر ص ٧٤ .

إلى أن يقول :

فما زلت في لينى له وتعطفـي　　　عليه كما تحنو على الولد الأمُ

وقول كعب بن زهير لزوجته (١) : ـ

أعلم أني متى ما ياتينى قــدري　　　فليس يحبسه شح ولا شفـــق

بينا الفتى معجب بالعيش مغتبط　　　إذا الفتى للمنايا مسلم غلـــق

والمرء والمال ينمى ثم يُذهبــه　　　مرّ الدهورْ ويفنيه فينسحـــق

فلا تخافي علينا الفقر وانتظري　　　فضل الذي بالغنى من عنده نثق

إن يفنَ ما عندنا فالله يرزقنـــا　　　ومن سوانا ولسنا نحن نرتـــزق

ويرد الدكتور عمر فروخ على بعض المستشرقين الذين يدعون بأن الإسلام لم يؤثر على ثقافة المسلمين إلا في العصر العباسي : " زعم نفر من المستشرقين أن الإسلام انتشر بين العرب انتشاراً جغرافياً سياسياً منذ انتصار الإسلام الحربى في شبه الجزيرة ، ولكن الإسلام الثقافى لم يجد طريقه إلى قلوب المسلمين إلا في العصر العباسي ، وقد كانت حجتهم أن الشعر العربي الأول كان خالياً من الصور الإسلامية المختلفة " (٢)

فيرى الدكتور فروخ أن هذه النظرة خاطئة إذ إن الشعر العربي اشتمل على كثير من الألفاظ الإسلامية وتأثر به تأثـراً بالغاً فيقول : " وبالرجوع إلى

---

(١) ديوان كعب بن زهير ، شرح ودراسة د . مفيد قميحه ط١ دار الشواف للطباعة والنشر ـ الرياض ـ السعودية ١٤١٠ ـ ١٩٨٩ ص ٣٩ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ١٥٧ .

الشعر العربي يتبين أن حجة المستشرقين لم تكن تستند إلى أساس ، فإن الألفاظ الإسلامية والمدارك الإسلامية وجدت طريقها إلى الشعر العربى منذ الهجرة على الأقل ، وهذا لا يعنى أن المسلمين الذين أسلموا قبل الهجرة ثم أتفق لهم أن قالوا شعراً لم يظهر أثر الاسلام في شعرهم ، ولكن المسلمين قبل الهجرة كانوا قلة ولم يكن ثمت مناسبات تقتضي قول الشعر كالتي كانت بعد الهجرة " (١)

وأنا أستغرب في أن يكون لبعض المستشرقين رأي كهذا ! ألم يقفوا على الأدب في صدر الاسلام شعراً ونثراً ولمسوا التأثر البالغ بالقرآن الكريم ونظروا إلى الصور الإسلامية المختلفة ؟ !

كيف يطلقون الأحكام دونما دليل ، والدليل واضح وظاهر ظهور الشمس على تأثر الأدب في صدر الإسلام بالمعاني الإسلامية حتى أنه لم يتأثر ـ الأدب ـ في أي فترة من فترات الدولة الإسلامية المتعاقبة بالقرآن الكريم والمعاني الإسلامية كتأثره به في صدر الإسلام إذ أننا نجد معظم الشعر إن لم يكن كله يعتمد على بث الروح الإسلامية ، وقد كان التأثر واضحاً في الألفاظ والمعاني في آن واحد مما حدا بالشعراء والأدباء أن يبتعدوا عن أغراض جاهلية قديمة كالهجاء اللاذع والغزل الفاحش والتعصب القبلى ، وأصبح المديح متزناً يعتمد على الصدق دون مبالغة وكذلك الفخر والرثاء،

(١) المصدر السابق . ص (١٥٨) .

والهجاء أيضا لايخالف الحقيقه ومن ذلك قول حسان بن ثابت مادحاً المصطفى صلى الله عليه وسلم : ـ (١) .

وأحسن منك لم تَر قطُ عينى وأجمل منك لم تلد النساءُ
خُلقت مبرءا من كل عيـــبٍ كأنـك قد خلقت كما تشاءُ

وفى رثائه يقول : ـ

ومافقد الماضون مثل محمدٍ ولا مثله حتى القيامة يُفْقَدُ

وقول كعب بن زهير : ـ (٢) .

إن الرسول لسيف يستضاء بــه مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشـف عند اللقاء ولا ميل معازيل

وقول حسان بن ثابت فى هجاء أبى سفيان : ـ (٣) .

ألا أبلغ أبا سفيان عنـــــى فانت مجوف نخب هواءُ
بأن سيوفنا تركتك عبـــداً وعبد الدار سادتْها الاماءُ
هجوتَ محمداً فأجبتُ عنـــه وعند الله فى ذلك الجزاءُ
اتهجوه ولست له بكـــف ءٍ فشركما لخير كما الفداءُ

---

(١) شرح ديوان حسان بن ثابت ، تحقيق عبدالرحيم البرقوقي ص ٦٣ ، ١٤٨ .
(٢) ديوان كعب بن زهير (مصدر سابق) ص ١١٥ .
(٣) شرح ديوان حسان / عبدالرحمن البرقوقي (ص ٦٠ ـ ٦١) .

هجوتَ مباركاً براً حنيفــــاً أمين الله شيمته الوفــاءُ
فمن يهجو رسول الله منكم ويمدحُه وينصرُه ســواءُ

فالروح الإسلامية كانت تطغى على شعر الشعراء ، والألفاظ كانت مستوحاة من القرآن الكريم في كثير من الأحيان ، وهذا أمر لا جدال فيه اطلاقاً لأن الأدب عبارة عن وصف للأحوال السائدة في العصر الذى قيل فيه ، وليس هناك حدث أهم من ظهور هذا الدين القويم ليتأثر به الشعراء والأدباء على حد سواء فأتت ألفاظهم ومعانيهم متأثرة تأثراً واضحاً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الإسلامي .

* * * * * * * *

ب ـــ النثر في عصر صدر الإسلام : ـ

يذكر الدكتور عمر فروخ أن النثر الاسلامى كان استراراً للنثر الجاهلي كمايحددالأمورالتي يختلف فيهاالنثرالإسلامى عن النثر الجاهلي فيما يلي : ـ

أ ـ كان هذا النثر الإسلامي الذى وصل إلينا أكبر مقداراً وأوسع مدى هنالك إلى جانب أحاديث رسول الله ، وخطب رسول الله ، وخطب الخلفاء الراشدين وخطب قادة الجيوش .

ب ـ إن هذا النثر الذى جاء إلينا من صدر الاسلام كان موثوق الرواية ثبتاً أكثر من النثر الذى وصل إلينا من الجاهلية .

جـ ـ ثم إن هذا النثر كان بطبيعة الحال شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم من وجهين : كان في الدرجة الأولى أفصح ألفاظاً وأسهل تركيباً وأعذب تعبيراً وأما من الجهة الثانية فقد كان أمتن سبكاً وأبرع دلالة وآنق ديباجة لأن الناثرين كانوا قد تأثروا ببلاغة القرآن الكريم التي كانت تجري في أساليب متعددة بتعدد الأغراض من ترغيب وترهيب " (١)

والفقرة الأخيرة هذه هي أكثر ما يهمنا في الحديث عن نقد النثر عند الدكتور عمر فروخ فهو يذكر فيها ان النثر في صدر الاسلام كان شديد التأثر في أغراضه وأساليبه بالقرآن الكريم وما ذلك ـ في رأيي ـ إلا لأن الإسلام قد حارب العصبيات القبلية ، والتناحر بين القبائل والمنافرات والمفاخرات وأمات هذهه الثغرات فلم تعد تظهر في النثر الإسلامي إلا الروح الإسلامية

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ص ٢٥٤ ط ٤ دار العلم للملايين .

من حيث الأغراض والساليب .

فكانت الأغراض إما حثاً على القتال في سبيل الله أو توضيحاً لبعض أحكام الإسلام أو نصحاً للمسلمين وما إلى ذلك من تأصيل القيم الإسلامية وترسيخ مفاهيمها ، كذلك فقد تأثرت الأساليب بالقرآن الكريم وبلاغته ، وظهر الاقتباس من القرآن الكريم وهذا ما نراه واضحاً في خطب الرسول عليه الصلاة والسلام وخطب الخلفاء الراشدين أيضاً .

إلا أن الخصائص العامة للخطبة في صدر الإسلام كانت جاهلية من حيث الأسلوب وذلك للقرب الزمني بين الجاهلية والإسلام فما زالت خصائص النثر الجاهلي من حيث الأسلوب سائدة في النثر الإسلامي ، فالأسلوب كان يعتمد على الاقتباس من القرآن الكريم والتأثر بألفاظه إلى جانب التأثر بالأسلوب الجاهلي الذى لم يكن بعيداً عن القرآن " واختلفت أغراض الخطابه ومعانيها في الإسلام منها في الجاهلية كما أتفق في الشعر ولكن أساليبها ظل ـ كما ظل أسلوب الشعر أيضا ـ جاهلياً قصراً في الخطب وايجازاً في الجمل مع شىء كثير من الموازنة وشيء من السجع يضاف إلى ذلك اقتباس أو تضمين للأمثال والأشعار ، وزاد الخطباء في الإسلام الاستشهاد بآيات من القرآن وبأحاديث لرسول الله " (١)

ولقد نهضت الخطابة في عصر صدر الإسلام وكانت هي الفن النثري الأول في ذلك العصر ، يقول الدكتور عمر فروخ حول أسباب ازدهار الخطابة "

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٢٥٦ .

وأما ازدهار الخطابة فكان لحاجة الإسلام إلى الخطابة في سبيل الدعوة إلى الدين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . . . . وتحميس الجند " .
ثم حدثت حاجة الخلفاء والأمراء (في الجيش) والولاة إليها لإعلان سياسة الدولة وتبليغ أوامرها ، فكان الرسول صلى الله عليه وسلم والخلفاء الراشدون وأمراء الجيوش وولاة الأمصار والقضاة من الخطباء ضرورة غير أن بعضهم كان أخطب من بعض ، فعلي بن أبي طالب كان خطيباً موهوباً فوق عثمان بن عفان وعمر بن الخطاب ، ولا غرو فكلام علي يأتي في مراتب البلاغة بعد القرآن والحديث " (١)

إذن كانت دواعي ازدهار الخطابة في عصر الإسلام متوفرة ، ومجمل القول حول النثر في عصر صدر الإسلام في رأي الدكتور عمر فروخ له : إن هذا النثر كان متأثراً بالقرآن الكريم وروح الإسلام من حيث الأسلوب فإن التأثير كان مزدوجاً بالقرآن الكريم والنثر الجاهلي ولكن ما آخذه على الدكتور عمر فروخ عدم الاستشهاد ببعض الخطب التى يظهر فيها الاقتباس من القرآن الكريم ، والتأثر بألفاظه عند حديثه عن تأثر النثر في صدر الإسلام بالقرآن الكريم كما أنه لم يوضح المعانى التى كانت موجودة في الخطبة الجاهلية واندثرت بظهور الإسلام من منافرات ومفاخرات وعصبيات قبلية وعلى كل فإني أرى أنه استطاع أن يعطى صورة عامة للنثر الفني في عصر صدر الإسلام ، وأن يبرز كثيراً من خصائصه الفنية .

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٢٥٦ .

٣ ــ العصر الأموي

أ ــ النقائض : ــ

يتحدث الدكتور عمر فروخ عن فن النقائض عند تناوله العصر الأموي بالدراسة ، ويبين سبب نشوء هذا الفن " كانت النقائض في العصر الأموي استمراراً للهجاء القبلي في الجاهلية ، وكان يبعثها عادة خلاف بين قبيلتين أو أسرتين فينتصر شاعر لقومه أو لأحلاف قومه فيرد عليه شاعر من هؤلاء ، فيعود الأول إلى الرد عليه ، ثم يلتحم الهجاء ويستطير " (١) ويذكر أيضا سبب ازدهار هذا النوع من الشعر فيقول : " ولقد أذكى هذه النزعة في الشعراء قيام الأحزاب وتقرب هؤلاء الشعراء إلى الخلفاء والأمراء بهجاء خصومهم تكسباً للمال " (٢)

فالنقائض إذن هي : دعوة للهجاء القبلي الذى كان في الجاهلية وخمد في عصر صدر الإسلام تمشياً مع تعاليم هذا الدين الجديد الذى لا يفرق بين عربي ولا عجمي ولا أبيض ولا أسود إلا بالتقوى والعمل الصالح ، ولكن مع بداية العصر الأموي عادت النزعة القبلية التي كانت في الجاهلية وذلك كما ذكر الدكتور فروخ بسبب قيام الأحزاب السياسية والقبلية ، ومحاولة الشعراء التقرب من الخلفاء والأمراء عن طريق مدحهم وهجاء من يناهضهم

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج١ ، ص ٣٦٣ ط٤ دار العلم للملايين .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

رغبة في المال ، إلى جانب أنها كانت وسيلة للتسلية والترويح عن النفس يقول الدكتور شوقى ضيف في ذلك " وفي العادة كان الجمهور يتحرك من شاعر إلى شاعر وخاصة حين يحاول شاعر أن يرد على مارمى به شاعر قبيلته، فيشتد الحماس عند القبيلة وعند الجمهور المحتشد ويشتد التصفير والتصفيق ويتجمع الناس من كل مكان لينظروا ما هو صانع بخصمه " (١) وهذا هو الفرق بين هذا الهجاء والهجاء الجاهلي فالشاعر الجاهلي لم يكن ينظم القصائد الطوال في الهجاء ولم يهجُ ليُضحك الجمهور أو يسليه ، يقول الدكتور شوقى ضيف " وهذا أهم فرق بين الهجاء في القديم وفي الحديث أوفي العصرالجاهلي والعصرالأموي، فالشاعر الجاهلي لم يكن يهجو ليُضحك جمهوراً ، وليقطع له أوقات فراغه ولم يكن يهجو أمام خصومه مباشرة ولم يكن يحترف الهجاء على هذا النحو الذى نجده في عصر بني أمية " (٢)

فالنقائض كانت فناً يراد منه التسلية والامتاع للجمهور وهذا هو الاختلاف بينه وبين الهجاء الجاهلي إذ أن الشاعر يأخذ في ذكر مثالب خصمه ليضحك أنصاره أو ليضحك الجمهور عامة ثم يردعليه الخصم وهكذا، فيتحول من الرغبة في التعريض والهجاء اللاذع الذى كان سائداً في الهجاء إلى مجرد النكتة والتسلية عن طريق ذكر العيوب ، وقد أوضح الدكتور

(١) التطور والجديد فى العصر الأموى . الدكتور شوقى ضيف ط٥ دار المعارف بمصر ص ١٦٤ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

شوقي ضيف الغرض الأساسي من الهجاء في فن النقائض : " فالغرض الأساسي من الهجاء تحول إلى الرغبة في إعجاب الجماهير من الخصوم وغير الخصوم وهذا معنى ما نقوله من أن الهجاء أصبح حرفة أو مهنة ، فالشاعر يريد أن يتفوق على خصمه عند الجماهير المحتشدة في المربد أو في الكناسة ، ولم يعد كل همه أن يرضي قبيلته ، بل لعله لم يعد يفكر فيها ، إلا باعتبارها جزءاً في الجماهير المتجمعة من حوله " (١)

ولم يذكر الدكتور فروخ غير أن النقائض هي عودة للهجاء القبلي الذى كان سائداً في الجاهلية فلم يذكر أن الشاعر لم يعد يهمه التعريض والهجاء وذكر العيوب بقدر ما يهمه الإمتاع وتسلية الجمهور وضحكهم سواء من قبيلته أو من غيرها واكتفى بقوله أنها عودة للحمية الجاهلية " كانت النقائض تمثل جانباً من العصر الأموى ، ذلك الجانب المضطرب بالتنازع على الخلافة مع ما يستتبعه ذلك التنازع من الأحوال : لقد دلت على أن الحمية الجاهلية ظلت ذات أثر في النفوس حتى بعد أن انتشر الإسلام " (٢) .

وما يثبت أن النقائض لم يكن المراد منها الهجاء القبلي وإنما اللهو والتسلية أن شاعري النقائض الكبيرين جرير والفرزدق كانا متحابين " فقد حزن جرير على صاحبه حزناً شديداً حين سبقه إلى الموت ورثاه بأبيات

---

(١) السابق ص ١٦٤ ـ ١٦٥ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ص ٣٦٣ ط٤ دار العلم للملايين .

مختلفه " (١)

ومن رثائه قوله : ــ

فُجعنا بحمّال الديات ابن غالبٍ وحامي تميم عرضها والمراجم

بكيناك حِدْثان الفراق وإنما بكيناك شجواً للأمور العظائم

فلا حَمَلَتَ بعد ابن ليلى مهيرة ولا شدٌ اتساع المطى الرواسم

فهذه هي حقيقة النقائض في العصر الأموي . أما قيمة النقائض : فلفها قيمة لغوية ادبيه بالغة ، يقول الدكتور عمر فروخ : " شعراء المناقضات قد حفظوا اللغة العربية صافية كما كانت في الجاهلية ، فلقد حفظوا العدد الأوفر من الألفاظ حتى قيل : لولا الفرزدق لذهب ثلث اللغة وقيل بل ثلثاها ، وكذلك حفظوا لهذه اللغة جزالتها " (٢) أما التراكيب فيقول فيها : " وكذلك إذا نظرنا إلى التراكيب رأيناها تراكيب متينة تجري على الأسلوب العربي القديم وهكذا نستطيع أن نقول : إن النقائض كانت مزيجاً من معان قديمة وجديدة ولكن في لغة قديمة " (٣)

وأما من الناحية الأدبية فيقول فيها : " كانت النقائض تقليداً واضحاً للمعلقات خاصة تقليداً في شكل القصيدة وفي كثرة أغراضها وطول نفسها وهي كثيرة من خصائصها الأخرى كالفخر بالأنساب والهجاء القبلي والنسيب

---

(١) التطور الجديد فى العصر الأموى ص١٧٩ ، د . شوقى ضيف ط (٥) دار المعارف بمصر .

(٢، ٣) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ص٣٦٥ ــ ٣٦٦ ط٤ دار العلم للملايين .

فى مطالع القصائد وكالغزل البدوى عفيفاً وصريحاً " (١) فالنقائض كانت فناً أدبياً رائعاً من الناحية اللفظية فقد حفظ لنا شعراء النقائض اللغة العربية صافية قوية متينه جزلة وقد استفاد النحاة واللغويون كثيراً منها حيث كانوا يستشهدون بهذه الأشعار على قواعدهم النحوية والصرفية إلا إنها من حيث المعاني كانت بعيدة عن الخلق الإسلامي ، فإننى لا أنكر أن هذه النقائض أعادت العصبية القبلية بما أشتملت عليه من هجاء لاذع وذكر لمثالب الخصم وتفاخر بالأنساب وهذه أمور قد عفاعليها الإسلام ومقتها وأندثرت في عصر صدرالإسلام ، لكنها عادت للظهور مع العصر الأموي ، لكن لم يكن الهجاء مع استمرار هذه النقائض خاصة بين جرير والفرزدق مقصوراً لذاته وإنما كما ذكرناأصبح وسيلة لتسلية الجمهور والترويح عنهم ، ويوضح الدكتور شوقى ضيف ماهية النقائض من الناحية المعنوية فيقول : " ليست النقائض إذن أهاجى بالمعنى القديم الذى كان يفهمه العرب في الجاهلية للهجاء ، وإنما هي مناظرات أدبية أوجدتها ظروف عقلية وأخرى اجتماعية لعصر بني أمية " (٢)

وفي معاني النقائض يقول الدكتور عمر فروخ : " ويحسن أن نشير إشارة إشارة خاصة إلى أن الآراء الإسلامية والآيات الكريمة قد سادت المناقضات ، لقد كانت النقائض قديمة بلغتها وأغراضها الممهدة ، ثم كانت إسلامية

---

(١) تاريخ الدب العربى د . عمر فروخ . ج١ ، ص٣٦٦ . ط٤ دار العلم للملايين .

(٢) التطورات والتجديد فى العصر الأموى د . شوقى ضيف ص (١٨١) ط٥ دار المعارف بمصر .

بمعانيها الجديدة وفى بعض أغراضها . " (١)

فنجد أن الروح الإسلامية تظهر في كثير من الأحيان في هذه النقائض كالخوف من يوم القيامة ، وذكر بعض المعاني الإسلامية والتأثر بالقرآن الكريم ومن ذلك قول الفرزدق :-

ولما رأينا المشركين يقودُهـــم　　　قتيبــةُ زحفاً في جموعِ الزمازمِ

ضربنَا بسيفٍ في يمينكَ لم تَدَع　　　به دونَ بابِ الصينِ عيناً لظالمِ

به ضربَ اللهَ الذيـــن تحزبـــوا　　　ببدرٍ على أعناقهم والمعاصـــمِ

ويذكر الدكتور فروخ أن النقائض لم تتأثر بعلم الكلام والجدل الدينى الذى كان سائداً في تلك الفترة حيث يقول : " عاصر شعراء النقائض نشأة علم الكلام وتوفي الفرزدق وجرير بعد الحسن البصري (توفى سنة ١١٠هـ = ٧٢٨م) ببضع سنوات ، ولكننا لم نجد مسائل الجدال الديني ولا قضايا البحث العقلي ولا بوادر الاتجاه العلمي قد اتخذت طريقاً إلى المناقضات على الرغم من أن البصرة - وهي مركز الحركة الفلسفية الأولى - كانت سوقاً عظيمة لهذه النقائض " (٢) وللدكتور شوقى ضيف رأى مخالف في هذا الموضوع فنراه يقول في كتابه التطور والتجديد في العصر الأموي : " لم تعد قصيدة الهجاء إذاً تخوض في معاني محددة ، بل أصبحت تتناول معاني واسعة ، أو

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ١ ص ٣٦٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٦٦ .

قل معاني معقدة فيها جاهلي قديم ، وفيها إسلامي حديث وفيها هذا التلوين العقلي الذى لابد للشاعر أن يكتسبه من بيئة العلماء الذين يتحاورون في النحل ومسائل القدر والإيمان " (١)

وفي رأيي : إن الظروف الاجتماعية والعلمية التى كانت سائدة في عصر بني أميه لها الأثر الكبير على هذه النقائض وهذا أمر طبيعى إذ أننا نجد أن الأدب في عصر صدر الإسلام قد تأثر كثيراً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الإسلامي ، وكذلك العصر العباسي تأثر الأدب نفسه بمجريات العصر ، فأمر طبيعى أن يتأثر شعراء النقائض بعلم الكلام والجدال الديني والبحث العقلي الذى عاصره ، فأصبحت هذه المناقضات كأنها مناظرات واسعة في حقيقة قبائل المتناقضين وعشائرهما وذلك بسبب نشوء المناظرات الدينية والعلمية ، وتأثر النقائض بها .

---

(١) ط ٥ دار المعارف بمصر ص (١٩٤) .

ب / النثر في عصر بني أمية :ـــ

ازدهرت الخطابة في العصر الأموي ازدهاراً لم تشهد له مثيل على مر العصور لدرجة أنه مايذكر النثر الأموي إلا وتذكر معه الخطابة الأموية ، ويرى الدكتور عمر فروخ أنها كانت استمراراً للخطابة في عصر صدر الإسلام الأول فهو يقول : " الخطابة في العصر الأموي كانت استمراراً للخطابة في عصر صدر الإسلام الأول ولكن زادت فيها أمور : من ذلك أن الخطابة طالت لأن الخطبة كانت لتبليغ أوامر الدولة ، فلما كثرت تلك الأوامر باتساع رقعة الإمبراطورية الإسلامية ، وبتطور الحياة الإدارية والسياسية احتاج الخطباء إلى بسط القول في ذلك من هنا جاء طول الخطبة في الدرجة الأولى ، ثم عرف صدر العصر الأموي ثورات وحروباً واحتاج الولاة والقواد إلى تصريف القول بالإقناع وبالوعيد عند مخاطبة الجموع فاقتضى ذلك أيضا أن تكون الخطبة أطول مما كانت عليه في الجاهلية ؛ أو في صدر الإسلام ، وفي العصر الأموي تطورت البيئة الإسلامية ونشأت طبقات جديدة في المجتمع كطبقة المولدين ، ولم يكن من المنتظر أن يفهم المولدون الإيجاز العربي لمحاً كما كان يفهمه العرب الأقحاح الأولون من البدو خاصة فاحتاج الخطيب من أجل ذلك إلى أن يردد المعنى الواحد في تراكيب متشابهة متقاربة. فزاد ذلك أيضا في طول الخطبة ، وكذلك لما ترامت حدود الإمبراطورية بإتساع الفتوح لم يبق من الممكن أن ترسل الأوامر إلى الولاة تباعاً في أوقات

---

(١) ط ٥ دار المعارف بمصر ص (١٩٤)

متقاربة ؛ فكانت تلك الأوامر تجمع حتى يتألف منها مقدار واف ثم ترسل في بريد واحد ، ولقد كان الوالي بطبيعة الحال يحتاج إلى خطبة طويلة تستوعب هذا القدر الوافي من أوامر الدولة " (١) .

فهذا إيضاح مفصل للدكتور فروخ عن أسباب إطالة الخطبة في العصرالأموي فلو رأينا بداية هذه الدولة لوجدناها مليئة بالثورات والخلافات فكان ذلك دافعاً لازدهار الخطابة حيث يأخذ كل فريق من الفرق التى ظهرت في تحميس وإثارة جماعته ضدالجماعات الأخرى ، كما أن بداية دخول عنصر غير العرب كان يلزم الخطيب بالإطالة للإيضاح والتفصيل وأخيراً فنظراً لاتساع رقعة الدولة الأموية كان عليها أن ترسل مجموعة من الأوامر والتوجيهات إلى الوالي في بريد واحد وهو بدوره يلقيها على الناس في خطبة لابد أن تكون مناسبة لمقدار هذه التوجيهات والأوامر . وهذه هي الأمور التى يراها الدكتور فروخ سبباً في إطالة الخطبة . كما أضيف أنها كانت أيضاً سبباً في ازدهارها فهو قد ذكر هذه الأمور على أنها سبباً في إطالة الخطبة في العصر الأموي على ماكانت عليه في عصر صدر الإسلام ولم يذكر أن هذه الأمور نفسها كانت سبباً في ازدهار الخطابة في عصر بني أمية. ويمكن لي أن أعزو أسباب ازدهار الخطابة الأموية إلى عوامل سياسية ، واجتماعية ، فالأحداث السياسية التى عايشتها الدولة الأموية كانت قمينة بأن تجعل الخطابة مزدهرة فكثرة الفتوحات الإسلامية كانت تحتاج إلى الخطابة في التحميس والحث على القتال كما أن العصبيات القبلية قد عادت في هذا العصر والحديث حول من أحق

(١) تاريخ الأدب العربي ، ج١ . ص ٣٧٣ .

بالخلافة كان سبباً في اشتعال الخطابة الأموية إلى جانب كثرة الأحزاب الداخلية والثورات المناوئة للدولة الأموية التي كانت تتخذ من الخطابة سلاحاً لاقناع الطوائف الأخرى بآرائها وما تذهب إليه ، كما أن الأحـــزاب الدينية التى ظهرت وهي مرتبطة بالأحداث السياسية كان لها دور بارز فى نهضة وازدهار الخطابة .

وأخيراً فإن المؤثرات الاجتماعية المتعددة من وجود بيئات حضرية وأخرى بدوية وامتزاج العرب بالأمم الأخرى وظهور العصبيات والمنافرات والمفاخرات التي أخمدها الإسلام ثم عادت للظهور في العصر الأموي . كل هذه الأمور كانت كفيلة بأن تفجر قرائح الأباء الخطابية فأزدهرت الخطابة وحظيت باهتمام بالغ لما لها من تأثير على العامة والرأي العام في الدولة ، ويحاول الدكتور عمر فروخ نقد الخطابة في العصر الأموي فيذكر أنها تقوم على عنصر التهديد والوعيد فيقول : " وبرز فى الخطبة الأموية عنصر التهديد والوعيد ذلك لأن الولاة الأمويين كانوا يخطبون فى أول الأمر على الأقل فى بيئات معادية للدولة الأموية " (١) وهذه تعتبر خصيصة من خصائص الخطابة الأموية إلى جانب تأثرها بالقرآن الكريم " فقد كانوا يحبون أن يستشهد الخطيب في خطبته بشيء من القرآن الكريم وبالحديث أيضا ، ولقد ظل الاستشهاد في الخطب بالأمثال والشعر على ماكان عليه الأمر في صدر الاسلام وفي الجاهليه " (٢) فالدكتور عمر فروخ يذكر

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٧٤ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

الاستشهاد في الخطبة بالأمثال والشعر كخصيصة أخرى من خصائص الخطبة الأموية إذ أن الخطباء الأمويين لا زالوا ينهجون نهج خطباء عصر صدر الإسلام والجاهلية في ذلك ، لكن بشيء من التوسع للأسباب التى ذكرتها قبل قليل .

كما يتحدث الدكتور عمر فروخ عن الكتابة في هذا العصر فيقول : " لما اتسعت الفتوح وتفرق الولاة في الأمصار واحتاجت الدولة إلى أن تبلّغ أولئك الولاة والعمال وغيرهم من أصحاب المناصب في الأمصار المختلفة أمور تتعلق بالسياسة أو الادارة فحدثت كتابة الرسائل " (١)

إلا أن الكتابة معروفة منذ العصر الجاهلى وعصر صدر الإسلام إذ كان الرسول عليه الصلاة والسلام يرسل كتباً إلى الملوك والرؤساء يدعوهم فيها إلى الإسلام لكن الكتابة في العصر الأموي بدأت تتسع وتأخذ مجالات متعددة إذ ازدادت الحاجة إليها لاتساع رقعة الدولة الإسلامية وحاجة الخليفة إلى إرسال أوامره إلى الولاة والعمال في الأمصار ويقول الدكتور عمر فروخ في ذلك : " وقد كان الخليفة يُملى على هؤلاء الكتاب ما شاء أو يطلب منهم أن " يكتبوا " عنه مايريد ، ولقد كان الكاتب في أيام الخلفاء الراشدين شخصاً يختاره الخليفة ويجعله في بطانته ، أما في الدولة الأموية فقد أصبح للكتابة مناصب ثم جُعل لها ديوان خاص ـ إدارة خاصة ـ منذ أيام معاوية بن أبى سفيان على وجه التقريب ومنذ أيام عبدالملك بن مروان على القطع " (٢)

---

(١) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٢) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٧٤ ، ٣٧٥ .

فديوان الرسائل أموي النشأة ويؤكد الدكتور شوقى ضيف ذلك من خلال قوله : " وقد نهضت الرسائل السياسية في هذا العصر نهضة واسعة ، وهى نهضة ترد إلى سببين : أما السبب الأول فهو أن كثيراً ممن كانوا يكتبونها كانوا يعدون في الذروة من الفصاحة والبيان لهذا العصر أمثال : زياد والحجاج وقطري بن الفجاءة والمختار الثقفي ، أما السبب الثاني فقيام الرسائل وظهور طبقة من المحترفين في هذا الديوان " (١)

ويقول الدكتور فروخ في خصائص الكتابة الأموية : " ثم تطورت الرسالة وأصبحت الكتابة قبل أن ينقضي العصرالأموي صناعة ذات قواعد وأصول : أصبح للرسالة مطالع وفيها تحميدات تختلف مقام الذين تصدر عنهم وتوجه إليهم . ثم لها خواتيم تختلف أيضا بحسب ذلك المقصود ومن التأنق في التعابير والجمل ، ثم طالت الرسائل أيضا على أن الترسل ظل في العصر الأموي ـ في الأكثرية ـ " فناً رسمياً " يتعلق بأمور الدولة " (٢)

وإني ألحظ في كلمات الدكتور فروخ السابقة ذكره لخصائص كتابة الرسائل في العصر الأموي ، فهو يذكر أن لها تحميدات في مطالعها وخواتيم في أخرها وتعتمد على السجع والموازنة والتردد المقصود والتأنق والإطالة وفي رأيي : إن الكتابة في العصر الأموي أو النثر بصفة عامة لم يختلف

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د . شوقى ضيف ط٦ دار المعارف بمصر ص ١٠٢ ، ١٠٣ .

(٢) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د . شوقى ضيف ط ٦ . دار المعارف بمصر ص ١٠٦ .

كثيراً عن النثر في العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام إلا أنه ازداد في التأنق والتجميل في الكتابة والاطالة وذلك كما ذكرت عند الحديث عن الخطابة في العصر الأموي بسبب الأحداث المتعاقبة في هذا العصر التي اقتضت الاطالة ، أما فيما عدا ذلك فالنثر الأموي كالنثر الجاهلي أو نثر عصر صدر الإسلام ، يقول الدكتور شوقي ضيف في خصائص الرسائل في العصر الأموي . . . غير أننا لانكاد نتجاوز منتصف القرن الأول للهجرة ، حتى تتكامل الرغبات للعناية بتلك الرسائل عناية توفر لها ضرورياً من التجويد والجمال الفني وكأنما لم تعد الغاية أن تُؤدِي أغراضها فحسب ، بل أُضيف إلى ذلك غاية أخرى : أن تروع القارئين والسامعين بتحبيرها وتنميقها ، وكأنها قطعة موسيقية أو لوحات تصويرية ولم يقفوا بذلك عند ظاهرها فقد أخذوا ينوعون في معانيها ويقرعون ويطنبون صوراً مختلفة من الأطناب" (١) وقد ظهر في هذا العصر بعض الرسائل التي كانت بمثابة نصائح عامة فقط وهذا النوع من الرسآئل يسمى بالرسائل الأخوانية "ورسالة عبدالحميد الكاتب إلى الكُتّاب يمكن أن تكون تمهيداً إلى الرسائل الإخوانية"(٢) وكانت هذه الرسالة موجهة من عبدالحميد الكاتب ـ رئيس ديوان الإنشاء ـ إلى الكُتّاب الصغار أو الناشئين المستجدين يدلهم فيها على أصول صناعة الكتابة

---

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د . شوقى ضيف ط ٦ . دار المعارف بمصر ص ١٠٦ .

(٢) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٧٦ ، ٣٧٧ .

وآدابها فكان غرضها الأساسي تثقيفياً لذلك أُعتبرت بدءا للرسائل الإخوانية ، التى أخذت فيما بعد تتطور ويتسع مجالها حتى رأينا أن الرسائل الإخوانية أصبحت فناً نثرياً مستقلاً بذاته حينما أخذ الأدباء يتراسلون برسائل ودية ليس لها غرض رسمي وذلك ما أثبته الدكتور عمر فروخ بقوله . . ثم كانت هنالك رسائل في العصر الأموي ، يمكن أن تكون إخوانية واضحة يتبادلها الولاة مع نفر من قادة الحركات المختلفة (كالحسن البصري رأس علماء الكلام وكقطرى بن الفجاءة كبير الخوارج في أيامه) أو يتبادلها نفر من آل البيت المالك فيما بينهم ، كما كان ثمت رسائل تدور بين نفر من كبار القوم " (١)

فالرسائل الاخوانية عُرفت في العصر الأموي حيث كانت تتم المراسلات الودية بين الأدباء والأصدقاء ، فهي من الأسباب التى جعلت النثر في هذا العصر ينهض ويزدهر . فهذه الكتابة التي تتم بين الأدباء تساعد كل كاتب أو أديب على التعرف على أساليب جديدة في الكلام وأفكار متعددة مما ساعد على ازدهار النثر بصفة عامة .

---

(١)السابق نفسه والصفحة نفسها .

٤ ــ العصر العباسي

الموضوعات الأدبية في العصر العباسي : ـ

أ ــ ظروف العصر :

في تناوله للعصر العباسي من سنة ١٣٢ ألمح للحياة السياسية في هذه الفترة دون إطالة فذكر أهم الاحداث السياسية التي كان لها أثر على الناحية الأدبية ، وهذا مسلك جيد إذ أن هذه الدراسة المقصود منها معرفة الخصائص الأدبية التى تميز بها العصر أما الدراسة التاريخية المفصلة فلا تكون إلا بمقدار ما يعكس أثر تلك الأحوال في مسيرة الأدب وتأثيرها عليها في أي عصر من العصور أما ما وراء ذلك من تفصيلات دقيقة فإن كتب التاريخ هى المسئوله عن هذا البسط .

وقد أكد الدكتور فروخ أن العصر العباسي من حيث التاريخ السياسي ينتهي بسقوط بغداد على يد هولاكو التتري في سنة ٦٥٦هـ (١٢٥٨م) ويقول : " هذا التحديد عرفي قليل الصلة بالحقيقة التاريخية : إن هذا العصر قد بطل أن يكون عباسياً منذ أيام الخليفة المتوكل الذى جاء إلى عرش بغداد في آخر سنة ٢٣٢هـ والقواد الأتراك يملكون الدولة في جميع جوانبها، ثم لم يكن للخليفة المنصوب على عرش بغداد بعد المتوكل من الأمر شىء . . . إلى أن يقول : غير أن حظ الأدب كان غير حظ السياسة ، إن الخصائص العباسية في الأدب قد ظلت سائدة في النتاج الوجداني من الشعر والنثر إلى سقوط بغداد على يد التتر ثم إلى الفتح العثماني للبلاد العربية سنة

٩٢٣هـ (١٥١٧م) ثم إلى مطلع القرن الثالث عشر الهجرى (التاسع عشر الميلادى) (١)

فكيف لنا أن نجعل خصائص الأدب في العصر العباسي في ذروة مجده هي نفس الخصائص بعد سنة ٦٥٦هـ " إن في ذلك تجاوزاً كبيراً إلا إذا كان الدكتور فروخ يقصد بذلك القول أن قلة من الشعراء والأدباء لازالـــوا ينتهجون النهج العباسي الأصيل في نتاجهم الأدبي فتمسكوا بأسلوب وطريقة شعراء وأدباء ذلك العصر ، فبقيت الخصائص العباسية سائدة على نتاج هؤلاء القلة إلى الفتح العثماني وإلى مطلع القرن الثالث عشر الهجري إذ من الواضح أن الأدب بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ أخذ يتجه إلى الانحدار رويداً رويداً سواء في الخصائص اللفظية أو المعنوية ، ففي تلك الفترة ـ بعد سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ وبعد الفتح العثماني ـ لانجد شاعراً كالمتنبي مثلاً أو كأبي تمام . . أو حتى أقل منهما درجة أو أديباً ناثراً كبديع الزمان الهمذاني أو عبدالله بن المقفع .

ثم إننا نجد التعارض الواضح هنا بين ما يقوله عن استمرارية الخصائص والسمات في الأدب العربي حتى بعد نهاية الخلافة العباسية وبين ماذهب إليه من تقسيم فترة الخلافة إلى عصور تبعاً لاختلاف السمات الفنية والأدبية في كل فترة .

---

(١) تاريخ الأدب العربى . د . عمر فروخ . ج ١ . ط ٤ دار العلم للملايين ص ٣٣ .

وقد تناول الدكتور عمر فروخ فترات العصر العباسي كما وضعها، أولا: وحدة الخلافة أو الفترة العباسية الأصلية ، فتحدث عن خصائص الأدب في تلك الفترة ، وعن اتساع الفنون الأدبية في الشعر والنثر ، ودخول الألفاظ الجديدة على نظم الشعراء والأدباء إلا أنه لم يقدم الاستشهادات المناسبة سواء عند ذكر الخصائص أو عند حديثه عن اتساع الفنون الأدبية وإنما عرض لها عرضاً تجريدياً دون بيان كاف أو توضيح ببعض الأبيات أو المقطوعات التي توضح خصائص الأدب في هذا العصر أو تظهر مدى اتساع الفنون الأدبية في الشعر والنثر أو حتى النماذج التى يجد فيها القارىء إلى أى حد دخلت الفاظ جديدة على الأدب في هذه الفترة . *

ويذكر الدكتور عمر فروخ أن الأسلوب قد ضعف في هذه الفترة " أما الأسلوب فدخل عليه شىء من الضعف في معرفة خصائص الألفاظ وفي التركيب أيضا ولكن اكتسب رقة في التعبير ودخل عليه التكلف بالإكثار من الصناعة (الجناس والطباق خاصة) " (١)

حقيقة إن الأسلوب تميز بالسهولة في العصر العباسي ولكن لم يدخل عليه شىء من الضعف " ولانقصد بالسهولة ذلك الأسلوب اللين الهزيل الذى يميل إلى العامية أو يؤثرها وإنما تلك السهولة التى يدعي مثلها المدعون فإذا حاولوها في أساليبهم أخفقوا واستعصت عليهم في تمنع مطمع يسلمهم أخيراً

* راجع الجزء الثانى من كتابه تاريخ الأدب العربى .

(١) تاريخ الأدب العربى . د . عمر فروخ ، ج ٢ ، ط ٤ . دار العلم للملايين ص ٤٠ .

إلى اليأس وينتهى بهم إلى الحيرة المشوبة بكثير من الإعجاب " (١)

فالسهولة التى نراها في شعر هذه الفترة ليست السهولة التي بمعنى الضعف واللين وإنما هي السهولة الآسرة السهولة الفخمة ، السهولة التي يشعر من يسمعها بأنها سهلة ، ولكن لا يستطيع الإتيان بمثلها إلا الأديب المقتدر والشاعر الموهوب .

أما عن الإكثار من الصناعة (الجناس والطباق خاصة) كما يقول الدكتور فروخ فإن ظروف العصر هي التى اقتضت ذلك ، " فالحياة في العصر العباسي اختلفت كثيراً عن الحياة في العصر الأموي والإسلامي والجاهلي فقد دخلتها الحضارة الفارسية بكل ما فيها من جمال ومترادفات وأضداد ، فنرى القصور الجميلة ، والرياض الخضراء ، والنوافير المتدفقة ، والترف والنعيم مما عاش فيه معاصرو هذه الدولة كل هذه الأسباب كانت وراء الإكثار من الصناعة خاصة الجناس والطباق ، "والحياة العباسية كانت تدعوإلى هذا الوشي والتنميق من جميع نواحيها فمن انغماس في الرخاء والترف إلى تخلق بأخلاق فارسية يلائمها الافتنان والتصنع لبعدها عن السذاجه والفطرة" (٢)

هذا وقد ظهرت ألفاظ جديدة في أدب هذا العصر هذه اللفاظ معظمها مولد أي فارسي الأصل إذ أن ظروف العصر التى أدت إلى اختلاط بين العرب

---

(١) تاريخ الأدب فى عصره الذهبى / ت : عبدالرحمن عثمان ، ط . بدون ، مطبعة المدنى ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م ص١٠٨ .

(٢) أدباء العرب ج٢ . فى الأعصر العغباسية ط٤ ، لبطرس البستانى طبعة جديدة منقحة ـ دار مارون عبود ص٢١.

وغيرهم اقتضت أن تدخل بعض الألفاظ الغريبة على الأدب سواء كان شعراً أم نثراً " فالبيئة العباسية بما جد فيها من مظاهر الحضارة المادية ومن أوجه الثقافة الأجنبية خاصة وبما حدث فيها من جوانب الحياة الاجتماعية اقتضت ألفاظاً جديدة للتعبير عن تلك المظاهر والأوجه والجوانب " (١)

كذلك دخلت بعض اللفاظ العلمية والفلسفية نظراً لظهور حركات الترجمة عن الأداب والعلوم الأخرى كاليونانية والفارسية ، فاشتمل الشعر والنثر الأدبي على كثير من الألفاظ الفلسفية العلمية كالتجزؤ والتناهي والتوليد كقول الشاعر : ـ

ياعاقد القلب منى	هــلا تذكــرت حــلا
تركت قلبي قليـلا	مــن القليـــل أقـــلا
يكاد لايتجـــــزا	أقل في اللفظ من لا

فنرى أن الألفاظ الجديدة سواء كانت فلسفية أم علمية أو غير ذلك قد ظهرت في الأدب العباسي وربما دعت الحاجة إليها أو لأن الاحتكاك بالفرس من جهة والوقوف على آداب وعلوم الأمم الأخرى من جهة أخرى قد ساعدا على ظهور

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج ٢ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٤٠ .

مثل هذه الألفاظ " ودخل على لغة الشعر ألفاظ غريبة دعت الحاجة إليها ، كالألفاظ العلمية والفلسفية وغيرها مما يدل على أشياء حديثه العهد عند العرب ، ودخل عليها أيضا ألفاظ استعيرت من صلب اللغة لمعانٍ مستحدثة خلفتها الحضارة الجديدة " (١) فليس من الغرابة أن نجد الألفاظ العلمية والفلسفية ظاهرة من ظواهر الأدب العباسي .

* * * * * *

(١) أدباء العرب فى الأعصر العباسية ، بطرس البستانى طبعة جديدة منقحة دار مازن عبود ص ٢١ .

ب ــ اتساع الفنون الأدبية :

يقول الدكتور عمر فروخ : " إذا نحن استثنينا الغزل بالمذكر وحده فإننا لانجد في الشعر العباسى فناً لم يكن في الجاهلية أو لم يكن له صلة بفن جاهلي ، فالفخر والمدح والرثاء والغزل والأدب (الحكمة) والوصف والزهد والمجون فنون معروفة أصولها في الشعر الجاهلي " (١)

فإذا نظرنا إلى هذه الفنون نجدها قد ازدهرت في العصر العباسي ، ففن المديح أصبح فناً راسخاً جداً إذ اشتمل على مدح النفس كثيراً والافتخار بها ووصفها بصفات كريمة كالمروءة والكرم والعفة والشجاعة وعلو الهمة . . . إلى جانب مدح الخلفاء والأمراء ووصفهم بهذه الصفات أيضا ، وتصوير الأحداث السياسية ومدى تغلب الخلفاء على ظروف هذه الأحداث " ولم يصور الشعراء مثاليتنا الخلقية العامة فى مدائحهم وكذلك مثاليتنا السياسية فحسب ، بل صوروا أيضا الأحداث التي وقعت في عصور الخلفاء وخاصة الفتن والثورات الداخلية وحروب أعداء الدولة من الروم والترك ، وبذلك قامت قصيدة المديح في هذا العصر مقام الصحافة الحديثة ، فهي تسجل الأحداث التى عاصرها الشاعر والأعمال الكبرى التي ينهض بها الخلفاء ، مما يعطيها قيمة بعيدة إذ تصبح وثائق تاريخية " (٢) فقصائد المديح في هذا

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ٢ ، ط ٤ دار العلم للملايين ص ٤٣ .

(٢) العصر العباسى الأول ، د . شوقى ضيف ط ٢ دار المعارف بمصر ص ١٦١ .

العصر أصبحت عبارة عن سجل تاريخي ممكن أن نستقي منه المعلومات التاريخية وبشىء من التفصيل أيضا فنرى أن الخليفة المعتصم فتح عمورية وقد وصف أبو تمام أحداث هذه المعركة ومدى قوة جيش الخليفة وكيف أنه محق جيش الروم وهزمه وذلك في ملحمته الرائعة التى بدأها بقوله :

السيف أصدق إنباء من الكتب   في حده الحد بين الجد واللعب

أما فن الهجاء فنجد أن معالم التطور فيه أعمق وأوسع منها في المديح فقد عمت فيه روح جديدة إذ أخذ الشعراء يتتبعون الهفوات والأخطاء ويظهرونها في قالب شعرى كأنما أرادوا تطهير المجتمع من هذه الأخطاء والمساوىء ، إلى درجة أنهم لم يتوانوا في هجاء الخلفاء والوزراء " وبذلك يصبح الهجاء الصحيفة التربوية المقابلة للمديح فالمديح يرسم المثالية الخلقية لهذه التربية ، والهجاء يرسم المساوىء الفردية والاجتماعية التى ينبغى أن يتخلص منها المجتمع الرشيد " (١)

وفن الرثاء أيضا كان له نصيب واضح من شعر شعراء هذا العصر فنجد رثاء النفس ، ورثاء الأصدقاء والأبناء والزوجات وقد تجلت فيه العاطفة القوية الصادقة كما فى قول العتبى فى ابن اختطفه الموت : ـ

وكنت به أكنى فأصبحت كلما   كنيت به فاضت دموعي على نحري

إلى جانب رثاء القواد والأمراء والخلفاء ، ومن ضروب المراثي الجديدة

(١) العصر العباسى الأول د . شوقى ضيف ، ط ٢ دار المعارف بمصر ص ١٦٧ .

التي لم تكن معروفة قبل هذا العصر رثاء المدن التي نزلت بها كوارث النهب والحرق ورثاء بعض الحيوانات والطيور . .

هذه الأغراض معروفة أصولها من العصر الجاهلي لكنها اتسعت جداً في العصر العباسي فالرثاء مثلا موجود من الأدب الجاهلي لكن اتسع في هذا العصر وأصبح الشاعر لا يكتفى برثاء النفس أو الأصدقاء والأبناء والزوجات بل تعدى إلى رثاء المدن والأشياء التى يمتلكها ويحبها والحيوانات والطيور

وقد اعتنى الشاعر العباسي بشعر الغزل كثيراً فظهر الغزل الماجن الفاحش وظهر نوع جديد من التغزل وهو التغزل بالغلمان وهذا هو الفن الجديد في هذا العصر ولانجد غرابة في ظهور مثل هذا النوع من المجون والفحش ، فقد دعت كثرة الفجور الذي استشرى في أوصال المجتمع العباسي إلى كثير من الأوضاع الشاذه التي انساق إليها الشعراء انسياقا ممن انحرفت أخلاقهم والتوت أذواقهم كأبي نواس وحماد عجرد ووالبة بن الحباب وغيرهم من الشعراء الإباحيين الذين كانوا يلتقون على موائد الشراب ، وليس هذا إلا نوع من العبث أو نوع من الهوس كما يذكر الأستاذ العقاد (١) وهو شىء تافه رفضه الذوق العربي واعتبره نزوة طارئة ، ووصمة عار فى جبين الأمة العربية أحدثتها علقة فاسدة فكان نبتة شاذة لم يتجه إليها من الشعراء إلا العابثون الماجنون . ولذلك قوبل هذا الاتجاه بالرفض والاستنكار من جميع

(١) أبونواس ـ الحسن بن هانيء ، لعباس محمود العقاد ، دار الكتاب العربي بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م ص ١١٤

الأوساط الخاصة والعامة ، فقد كان هذا سلوك من انحرف خلقهم والتوى ذوقهم ، ولذلك وجدناه نبتة شاذة في المجتمع ينأى عنه الكثير من أصحاب الأذواق الكريمة وينبذه ذوو الطباع المستقيمه . .

كما تناول كثير من شعراء هذا العصر فن الأدب (الحكمة) والزهد فنظموا القصائد الطوال التى يوضحون من خلالها مدى زهدهم في هذه الدنيا الفانية وطمعهم في الآخرة الباقية . ومجّدوا الخصال الكريمة والصفات الحسنة ، وكأن شعرهم بمثابة الرد على شعر المجون الذى بلغ زروته في هذا العصر إذ أن بعض الشعراء قد تجاوزوا الحد في التصريح بالغزل الفاحش والغزل بالذكر وتمجيد مجالس الخمر واستحسانها فكان شعر الزهد في مقابل ذلك المجون .

أما الوصف فقد أتسع هذا الفن اتساعاً كبيراً ، ونجد أن الدكتور فروخ قد أفرد عنواناً خاصاً للوصف في العصر العباسي " اتسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة : الهياكل والجنائن ، والمطاعم والملابس ، والخمر والزهر " فاختلاف البيئة العباسية عما قبلها وظهور آثار الترف والنعمة في الحياة الاجتماعية والعمرانية إذ تحولت الحياة العربية من تلك البساطة والسذاجة إلى الترف والتكلف تأثراً بالبيئة الفارسية فكانت الحدائق الغناء والقصور الجميلة والرياض الحسان " وقد احتفل الشعر العباسي بكل ما قدمته الحياة الجديدة احتفالا شديدا وتناوله بالوصف الدقيق حتى ليبدو لنا أن شعر هذه الفترة لم يكن فناً أدبياً ناطقاً

فحسب وإنما كان الفن المصور الناطق ، لأنه رسم بالألفاظ صوراً حية تكاد تغدو أمامنا وتروح " (١)فنرى وصفاً حياً جميلا للحدائق المتناثرة في البيئة العباسية وما اشتملت عليه من زهور فواحه ذات ألوان مختلفة ، فنرى ابن المعتز يقول فى وصف النرجس : ـ (٢)

أما ترى النرجسَ المياس يلحظنا　　　إلحاظَ فرح بالعتب مسرور

كأن أحداقَها في حسنِ صورتها　　　مداهنُ التبرِ في أوراقِ كافور

كأن طلَّ الندى فيه لمبصرة　　　دمعٌ ترقرقَ من أجفانِ مهجور

كما وصفوا النوافير التى زينت الحدائق والقصور ، ومجالس الطرب التى انتشرت في العصر العباسي ساعدت على ظهور وصف آلات الطرب ، ولأن الشعر موسيقى ونغم ، كان الشعراء يهتمون بهذه المجالس والالآت فأخذوا يصفونها وصفاً حسياً كاملاً .

ونظراً لتجدد موضوعات الشعر القديمة فقد أخذ الشعراء يعرضونها بصورة أكثر عمقاً وأكثر توضيحاً فظهرت قصائد كاملة في تصوير الكرم مثلاً أو الحلم أو البصر مما جعل القصيدة الواحدة تدور حول موضوع واحد فقط فبرزت وحدة الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً ، والدكتور فروخ يقول في ذلك : " كذلك اتسع التحليل النفسي ، إذ أخذ الشعراء خاصة ينظرون إلى ماوراء أعمال الانسان الظاهرة فتكلموا عن الصبر والمكر

(١) تاريخ الأدب فى عصره الذهبى . عبدالرحمن عثمان . ط بدون ، مطبعة المدنى ١٣٨٢هـ ١٩٦٣م ، ص ٨٦

(٢) ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ـ الشركة اللبنانية للكتاب ، بيروت ـ لبنان ١٩٦٠م ص ٢٢٤

واستقرأوا شعور السكران والغضبان والشاكل والمهزوم والغني والمتكبر والكريم والبخيل . . وقد اقتضى ذلك كله أن يحاول الشاعر أن يستوفي كثيراً من عناصر الوصف والتحليل في مكان واحد من قصيدته وفي أبيات متتاليه فنشأ شيء من وحدة الموضوع أو برزت وحدة الموضوع في الشعر العباسي بروزاً ظاهراً " (١)

فلم يُغفل الدكتور عمر فروخ في حديثه عن اتساع الفنون الأدبية في العصر العباسي بروز فن الوصف بشكل كبير وظهور وحدة الموضوع في القصيدة العباسية عند عرضه لبقية الفنون إلا أنه لم يدعم آراءه بالاستشهادات الشعرية المناسبة سواء حول اتساع فن الوصف أو بروز وحدة الموضوع وقد علل لسبب اتساع فن الوصف في هذا العصر بلمحة بسيطة إذ قال : اتسع الوصف في العصر العباسي اتساعاً كبيراً وتناول مظاهر البيئة الجديدة " (٢) ولكنه لم يوضح ما مظاهر البيئة الجديدة ؟ ! بينما كنا في حاجة إلى توضيح أشمل لهذه المظاهر إذ إن فن الوصف كان من أهم الفنون التي اتسع مجالها في ذلك العصر .

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ . ج٢ ، ط٤ ، دار العلم للملايين ص ٤٣ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

جـ ـ ذروة الشعر المحدث :

يرى الدكتور عمر فروخ أن ذروة الشعر المحدث كانت في الفترة من (أواخر القرن الهجرى الثانى ، وأوائل القرن الثالث) ويؤكد بأن الشعر المحدث يعتبر أقل مرتبة من حيث الجودة في الألفاظ والمعانى من الشعر القديم " فقدت الكلمات جزالتها والتركيب متانته والأغراض بداوتها ، ولكن الأدب اعتاض من ذلك فصاحة الألفاظ (فيما يتعلق بالحياة الجديدة) وسهولة التركيب (فيما يتصل بالتعبير عن الحاجات الحضرية) والعناية في الأغراض بوجوه الحياة الجديدة " (١)

إلى أن يقول : " ولو لم يكن في الشعراء المحدثين نفر ظلوا متمسكين بعمود الشعر العربى (القديم) قليلاً أو كثيراً ، أو بين الفينة والفينة على الأقل لغاب الشعر المحدث كله من الذاكرة " .

وهذه نظرة ثاقبة صائبة من المؤلف فيما لاشك فيه أنه لولا تمسك بعض الشعراء بعمود الشعر القديم واهتمامهم باحتذاء حذو القدماء في نظمهم للشعر لضاع الشعر المحدث ، وإن لم يضع لأصبح يمثل تراثاً ركيكاً ضعيفا لا فائدة منه في صقل المواهب أو تطور الأدب .

* * * * * *

---

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ . ج٢ ، ط٤ ، دار العلم للملايين ص ١٢٧ .

د ـــ النثر في العصر العباسي :

إن أول ما يصادفنا في حديث الدكتور فروخ للنثر العباسي قوله : " أما النثر فكان أكثر تطوراً واتساعاً في العصر العباسي من الشعر " (١) ويذكر أن الكتابة الديوانية قد اتسعت " واتسعت الكتابة الديوانية (تبادل الرسائل بين الخلفاء والولاة . .. الخ) كما كثرت الرسائل الاخوانية ـ فقلّ بذلك شأن الخطابة " (٢)

كما يذكر أن فناً جديداً نشأ وهو " التوقيعات " " نشأت التوقيعات ، وهى جمل قصار مقتبسة أو منشأة كان الخلفاء خاصة يوقعون بها " (٣) ثم يذكر أنها كانت موجودة منذ عصر الخلفاء الراشدين لكنها اتسعت فى العصر العباسي مما جعلها خاصة من خصائص هذا العصر .

هذا ما قاله الدكتور عمر فروخ في نثر المائة سنة الأولى من عصر الدولة العباسية ولم أجد رأياً واضحاً له في هذا النثر فلم يتحدث عنه لا من حيث الأسلوب أو الأفكار-اللهم إلا قوله :إن الرسائل الديوانية والاخوانية اتسعت وقل شأن الخطابة إلى جانب نشأة التوقيعات ، وهو يذكر أيضا أن النثر تطور واتسع فى العصر العباسي أكثر من الشعر ، فإذا عرفنا أن الشعر في العصر العباسي كان مزدهراً وناهضاً ووصل فيه الشعراء إلى درجة عالية من

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٢ ، ط٤ دار العلم للملايين ص ٤٥ .

(٢) السابق نفسه ص ٤٦ .

(٣) السابق نفسه ص ٤٨ .

الإتقان والإجاده فما بالنا بالنثر إذن . الذى تطور واتسع أكثر من الشعر ، فلابد أن خصائصه تطورت أيضا خاصة إذا عرفنا أن الترجمة كان لها دور كبير في نهضة النثر وكذلك اتصال العرب بغيرهم من الأعاجم وتعرفهم على ثقافات جديدة فقد ترجم الفرس كثيراً من تراثهم إلى العربية ، ومن أشهر من قاموا بذلك الصنيع عبدالله بن المقفع وآل نوبخت ، ويخيل إلى الانسان أنه لم يبق أثر في اللغة البهلوية إلا تُرجم إلى العربية سواء تعلق بتاريخ الساسانيين أو بآدابهم " (١) " ولاتقل الثقافة الهندية عن الثقافة الفارسية إذ ترجم العباسيون عنها كثيرا من الحكم والقصص ، ومن الفلك والرياضة والطب " (٢)

إذا عرفنا ذلك كله تأكدنا من أن النثر في العصر العباسي كان متعدد الفروع فمنه العلمي والتاريخي ، والاجتماعي ، والفلسفي ، والأدبي الخالص وهذا النثر ـ الأدبي الخالص ـ هو محور حديثنا فقد كان هذا النثر امتداد للنثر في عصر بني أمية وقد أخذت فنون النثر في التطور والازدهار من حيث المعاني والأساليب الا أن الأساليب بدأت ترق أحياناً وكثرت الصناعة اللفظية خاصة السجع والازدواج ونرى الدكتور فروخ عند حديثه عن الأدب في عصرتجزؤ الخلافة(من أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس للهجرة)

(١) الفن ومذاهبه فى النثر العربى د . شوقى ضيف . ط٦ . دار المعارف بمصر ص ١٢٢ .
(٢) السابق نفسه ص ١٢٣ .

يقول : " أول ما يلفت النظر من خصائص الأدب في الشعر والنثر الإسراف في الصناعة اللفظية خاصة من التزم السجع في الجمل وأقسام الجمل ومن الموازنة بين الجمل ومن كثرة التضمين للأشعار والأمثال والآيات والأحاديث في النثر . ومن الإغراق في تطلب التشابيه والاستعارات والتفنن في الصور الشعرية والميل بها إلى الجوانب الطريفة من الحياة والتفكير " (١) ثم يورد مثلاً لذلك وهو رسالة لبديع الزمان ، كما يذكر أن شكل الرسائل في هذا العصر بدأ يختلف عما كان عليه في عصر صدر الإسلام وعصر بني أمية : " ويخرج من الالتزام مطالع الرسائل ، كانت الرسائل منذ صدر الإسلام كالخطب تبدأ باسم الله وحمده والصلاة على رسوله ويؤتى فيها عادة بفصل الخطاب " أما بعد " ليبدأ بسط الغرض من الرسالة بعد الافتتاح بالتحميد ، أما في القرن الرابع فخالف كتاب الرسائل هذه السنة وتحرروا من المطلع المفروض فكان كاتب الرسائل يبدأ كما يبدو له في حينه " (٢)

أما في الإخوانيات فيقول فيه : " اتسع أيضا فن الإخوانيات وتعددت أغراضه وتنوعت " (٣) كما يقول في هذه الرسائل الإخوانية أنها كانت تصاغ صياغة أنيقة مثقلة أحيانا بأوجه البلاغة من موازنة وسجع واستعارات وتوريات ، مع ميل ظاهر إلى التضمين والاقتباس من القرآن الكريم والحديث

---

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج٢ ط٤ دار العلم للملايين ص (٤٠٧) .

(٢) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ . ج٢ ، ط٤ ، دار العلم للملايين ص ٤٠٨ .

(٣) السابق . (ص ٤٠٨) .

الشريف ومن الأمثال والأشعار والأقوال مما يدل على مقدرة لغوية وبراعة أدبية وإحاطة بعدد من وجوه المعرفة ، من هذه الناحية تبدو لنا الرسائل الاخوانيات وكأنها مقدمة ممهدة للمقامات " (١) مما ساعد على ازدهار النثر ونهضته في هذا العصر فقد اتسعت مجالات الكتابة النثرية في عصر الدولة العباسية إذ أننا نجد وصف الطبيعة نثراً " اتسع الوصف في هذا العصر في الطبيعة في الشعر والنثر ، فكثر وصف الرياض بما فيها من ماء وأشجار وأزهار وأثمار . .

فهو يذكر تطور النثر وازدهاره في الفترة من (أواسط القرن الثالث إلى أواسط القرن الخامس) ويورد بعض آرائه العابرة في هذا النثر دون تفصيل أو شرح مبسط أو الإدلاء ببعض النماذج النثرية كأمثلة وأدلة على قوله إلا بعض الاستشارات القليلة جداً ـ كإيراده قطعة نثرية لابن العميد في الغزل ـ والتى لا تعطى صورة واضحة للنثر الفني في ذلك العصر ، ويمكن لي أن أقول : إن النثر في عصر الدولة العباسية وصل إلى قمة ازدهاره من حيث الألفاظ والمعاني ، وإن كانت الصناعة اللفظية أخذت تغطى عليه أحيانا ـ إلى أن ظهر فن المقامات، ويذكر الدكتور فروخ أن الرسائل الاخوانيه بما احتوته من صناعة لفظية أو معنوية كانت مقدمة للمقامات ، حيث إن هـذا الفـن لم يعرف بمعناه الاصطلاحى المعروف إلا على يد بديع الزمان الهمذاني فهو

---

(١) السابق نفسه (ص ٤١٢) .

أول من أعطى كلمة مقامة معناها الاصطلاحى بين الأدباء إذ عبر عن مقاماته المعروفة ، وهي جميعها تصور أحاديث تُلقى في جماعات ، فكلمة مقامه عنده قريبة المعنى من كلمة حديث (١) ويذكر الدكتور عمر فروخ أن بعض الأدباء يدعى أن فن المقامة مأخوذ من أحاديث ابن دريد مثل الدكتور زكي مبارك ، لكن الدكتور فروخ يرى أن هناك شبه بين المقامات وأحاديث ابن دريد من حيث القصص والسجع ، وفرق كبير من حيث الغاية والأسلوب " ولاريب في أن بين أحاديث ابن دريد وبين المقامات شبهاً قوياً من حيث القصص والسجع . . ولكن الفرق بين تلك الأحاديث وبين المقامات من حيث الغاية والأسلوب كبير جداً " (٢)

ولم يقحم الدكتور فروخ نفسه كثيراً في الجدال حول هذه المسألة واكتفى بقول سديد " وعلى كل فإن بديع الزمان إن لم يكن مخترع فن المقامات فإن مقاماته أقدم ماوصل إلينا من هذا الفن الأدبي الرائع " (٣)

وفيما أرى أنه بقوله هذا استطاع أن يُرضى من قال بأن المقامات مأخوذة من أحاديث ابن دريد كما يرضي من قال بأن بديع الزمان هو مخترع هذا الفن ، وقد تكون هذه الأحاديث أحاديث ابن دريد والرسائل الاخوانية .. كما ذكر استاذنا عمر فروخ كانت إرهاصا لهذا الفن الأدبي الرائع .

---

(١)المقامة لشوقى ضيف . ط٦ ، دار المعارف بمصر ص ٨ .

(٢) تاريخ الأدب العربى وعمر فروخ ج٢ ، ط٤ . دار العلم للملايين ص ٤١٣

(٣) السابق نفسه والصفحة نفسها .

كما ذكر لنا اجزاء المقامة وعرّف كل جزء على حده في ص ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، وما يهمني في هذه الدراسة هو رأي الدكتور فروخ في فن المقامة فهو لم يضف جديداً في ذلك حيث ذكر أنها تقوم على الصناعة اللفظية " فن المقامات فن تصنيع وتأنق لفظي فهناك إغراق في السجع وإغراق في البديع من جناس وطباق وإغراق في المقابله والموازنه وفي سائرأوجه البلاغه "(١)

وموضوع المقامة يختلف : منه الأدبي والفكاهي والحماسي والفقهي ، وهى عبارة عن قصص ـ عند الدكتور فروخ ـ " كل مقامه وحدة قصصية قائمة بنفسها " أما الدكتور شوقى ضيف فيرى أن المقامة حديث أدبي بليغ " ليست المقامة إذن قصة وإنما هي حديث أدبي بليغ وهي أدنى إلى الحيلة منها إلى القصة فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط أما هي في حقيقتها فحيلة يُطرفنا بها بديع الزمان وغيره لنطلع من جهة على حادثة معينة ومن جهة ثانية على أساليب أنيقة ممتازة " (٢)

وفي رأيي أن المقامة إلى جانب أنها قصة كما قال الدكتور عمر فروخ : هي حديث أدبي قصصي ، وقول الدكتور شوقي ضيف " فليس فيها من القصة إلا ظاهر فقط أما هي في حقيقتها فحيلة " يمكن أن أقول فيه : كيف تعرف الحيلة ؟ لابد أنها تعرف من خلال قصة تُروى وهذه الرواية ليكون

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ج٢ ، ط٤ ، دار العلم للملايين ص ٤١٥ .
(٢) المقامه لشوقى ضيف ص ٩ .

العمل أدبيا لابد أن تكون حديثاً بليغاً ، فالمقامة في رأيي ــ قصة أدبية بليغة تظهر مقدرة إنسان ما على الاحتيال أو الحيلة على إنسان آخر .

فيكون بذلك تعريفا الأستاذين الفاضلين ــ الدكتور عمر فــروخ ، والدكتور شوقى ضيف مكملاً كل واحد منهما للآخر فالمقامة حيلة تصاغ في قصة بأسلوب أدبي بليغ .

٥ ـ الأدب العربي من مطلع القرن الخامس الهجري إلي الفتح العثماني

بشيء من التحفظ اتحدث عن هذه الفترة من تاريخ الأدب العربي والتي تناولها الدكتور فروخ وذكر أنها تمتد من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني من ٤٠٠ ـ ٩٢٣هـ (١٠٠٩ ـ ١٥١٧م) فيقول عن هذه الفترة : " هذه الفترة غنية جداً بأنواع الأدب ووجوهه وبنتاج الحياة الثقافية وإن كان الأسلوب العربي قد عانى في أثنائها مقادير متفاوته من الركالة ، وفي أعقاب هذه الفترة بلغ التكلف في البلاغة عامة وفي الصناعة اللفظية خاصة ـ وفي الكتابة والتوريه على الأخص ـ مبلغاً عظيماً . " (١)

إن هذه الفترة الطويلة ـ التى بلغت خمسة قرون ـ والتى أرخ لها الدكتور فروخ أدبياً لابد أن تكون غنية بأنواع الأدب ووجوهه ، ولكن مامدى جودة هذا الأدب ؟ ما مدى اشتماله على المعاني المبتكرة والأساليب الجزلة ؟ يبدأ الدكتور فروخ حديثه عن هذه الفترة بقوله : هذه الفترة ليست قليلة الشهرة فحسب لكنها مظلومة أيضا إذ يُسمّى القسم الأخير منها عصر الانحطاط تسمية فيها قليل من الصواب والحق وكثير من الخطأ والباطل " (٢)

فهو يرى أن هذا العصر لم يكن عصر انحطاط في الأدب ولكنه لم يأخذ حقه من الدراسه وإبرازجودة نتاجه الأدبي مع أنه يذكر في نفس الصفحة أن

(١) تاريخ الأدب العربى ، د . عمر فروخ ، ج٣ ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٥ .
(٢) المصدر السابق . (ص ٥) .

الأسلوب قد عانى مقادير متفاوتة من الركاكة . . ولا يذكر أسباباً ترفع من هذا العصر ـ الذى قسمه إلى فترات تبدأ من سنة ٤٠٠هـ وتنتهى بسنة ٩٢٣هـ ـ عن مرتبة الانحطاط مع أن أسباب الإجادة والبراعة والابتكار كانت متوفرة ، فالحروب والفتوحات التى تمت في تلك الفترة والتغيرات الاجتماعية والسياسية الكثيرة كانت قمينة بأن تفجر القرائح الابداعية في نفوس الشعراء والأدباء إلا أننا نجدهم لا يجارون هذه الأحداث من خلال نتاجهم الأدبي شعراً أو نثراً فكان شعرهم غثاً في أكثره ونثرهم سطحياً فاتراً ، وذلك يرجع في رأيي إلى أسباب عدة منها : ـ

ـ عدم اهتمام الخلفاء والأمراء والوزراء بتشجيع الشعراء والكُتّاب . وعدم مجازاتهم بالعطايا مما حدّ من ازدهار المديح في هذه الفترة علاوة على القهر والظلم والكبت الذى لاقاه الشعراء والمبدعون خاصة في عصر المماليك مما عقد ألسنتهم وأدخل الخوف فى نفوسهم فلجئوا إلى الكتابة عن الحياة العادية أفرغوا فيها طاقاتهم الابداعية شعراً ونثراً .

ـ كما أن الخلفاء والأمراء والوزراء في هذه الفترة لم يكن لديهم التذوق الأدبي فمعظمهم ليسوا عرباً وعلاقتهم باللغة العربية علاقة سطحية ولم يحاولوا الوقوف على أسرارها ومعرفة مواضع جمالها وبلاغتها ليتنافس الشعراء والأدباء في إرضاء أذواقهم الراقية .

ـ والاجتياح التتري للأراضى العربية كان عاملاً مهماً جداً في ضياع اللغة العربية الفصحى ، فقد كان اجتياحاً غوغائياً هداماً مدمراً لم يقم على أساس

انشاء دولة وأنما كان غرضه التدمير والتخريب في الأراضي العربية الإسلامية فحاول القضاء على اللغة العربية بإحراق دور العلم والكتب وإشاعة الخوف والفزع في نفوس الناس مما عقد الألسنة وكبت المشاعر وكمم الأقلام

ومن أسباب تدهور الأدب في هذا العصر أيضا اللجوء إلى الكتابة بالعامية والبعد عن الفصحى في كثير من الأحيان ، وإدخال ألفاظ غير عربية على النص الأدبي فقد ظهر الشعر الملمع (١) الذى ساعد على ضعف وركاكة الأدب العربي ، ومع أن الدكتور فروخ يتحدث عن ظهور الشعر الملمع ولكن لا يذكر أنه كان سبباً في تدهور الأدب وانحطاطه وانحداره وكأنه يرى أن ذلك لايمكن أن يؤثر على مستوى الأدب ـ شعراً أو نثراً ـ في أساليبه أو معانيه .

ويذكر عوامل انحدار الشعر عن مكانته السياسية ويجملها فيما يلي :ـ

أ ـ إن سقوط بغداد وانقراض الخلافة العباسية غطيا على الزهو السياسي الذي كان الإسلام يتمتع به في مدى ستة قرون ونصف قرن .

ب ـ إن الاجتياح التتري ومجيء المماليك قد أخليا العالم الاسلامي في المشرق من كل أثر للحكم العربي .

---

(١) التلميع : هو ادخال الفاظ وتعابير على القصيدة بغير القصيدة كأن تكون فارسية وفيها بيت أو بيتين أو أكثر عربى اللغة أو تكون القصيدة أو المقطوعة عربية وجاءت مشطرة بعض شطورها فارسى فإنها حينئذ تكون ملمعة . ـ راجع ـ تاريخ الدب العربى د . عمر فروخ ، ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٢ .

ج ـ إن قيام الخانات (الامارات) التترية في مشرق العالم الإسلامي ثم قيام المماليك في وسط العالم الإسلامي قد جاء بإمارات عسكرية وغير عربية لا تفهم الشعر العربي ثم لاتهتم به إذا هي فهمته ، وإذا لم تجد شعراء المديح أيدياً تدفع المال على المديح بسخاء فإن ألسنتهم لا تتحرك بشيء من الشعر ، فضلاً على أن يكون ذلك الشعر جيداً " (١)

أما عن الأدب قبل هذه الفترة ـ أي قبل سقوط بغداد في يد التتر سنة ٦٥٦هـ ـ فيقول الدكتور فروخ : " بلغ الشعر خاصة منتهى قوته قبل أن يطل القرن الخامس للهجرة " (٢) فمنذ قيام الدويلات وسيطرة البويهين على مجريات الحكم في بغداد ومن ثم سيطرة السلاجقة والأدب العربي الذى بلغ ذروة مجده في العصر العباسي يبدأ في الانحدار رويداً رويداً وما ذلك إلا بسبب امتزاج اللسان العربي بألسنة العجم وبعده عن الأساليب العربية الأصيلة والمعاني المبتكرة ، فأخذ الأدب ينحدر إلى أن وصل درجة الانحطاط فأصبح ذلك العصر يسمى " عصر الانحطاط في الأدب " ومع أني حاولت دفع هذه التسمية عن هذا العصر فإني لم استطع ذلك فكل الكتب التي أرخت للأدب ذكرت أنه في تلك الفترة ـ من بدء ظهور الدويلات إلى انتهاء الحكم العثماني ـ كان الأدب يأخذ طريقه إلى الانحطاط " فأنت ترى أن العالم الإسلامي أتى عليه ستون وخمسمائة عام لم يكن للعرب فيها لواء معقود ولا

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٠ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦٢٠ .

ظل ممدود ، بل أصبحت ديارهم وآثارهم نهباً مقسماً بين المغول والترك والجركس ثم الأسبان بعد قليل وضع هؤلاء العجم وهم وحشيون أميون أيديهم على تراث العرب ، فخربوا الدور وهتكوا الخدور وفجعوا اللغة وآدابها وعلومها بتحريق المكاتب ، وتعطيل المدارس وتقويض المراصد وتقتيل العلماء ، ناهيك بما فعله التتار ببخارى وبغداد والصليبيون بالشام والفرنج بالاندلس ! فلو أن الزمان عفى على اللغة العربية وألحقها بأخواتها السامية لما كان ذلك بدعاً من القول ولا حدثاً في التاريخ ولكنها بقيت على مرغمة الحوادث لساناً للدين والعلم ، ولغة للحكومة والأمة في بلاد المغرب ومصر والشام وبلاد العرب والجزيرة ولولا نعرة الترك وعصبية الفرس لكانت لغة المسلمين كافة " (١) فلكل هذه التغيرات الاجتماعية والاحداث السياسية الكثيرة السريعة ساعدت على انحدار الأدب العربي وانحطاطه ، وإن كنا نجد أن بعض الحكام قد شجعوا الشعراء والأدباء وأجازوهم سواء في العهد الفاطمي أو الأيوبي أو المملوكي ، ولكن هؤلاء الحكام القلة الذين شجعوا الأدب لايمكن أن يكونوا وحدهم سبباً في رقي الأدب كما أن تشجيعهم لم يكن على غرار تشجيع حكام الدولة العباسية الأصلية ، وقد تطرق شعراء هذا العصر لأغراض الشعر القديمة من مدح وفخر ورثاء وهجاء . . . وحاولوا تقليد بعض الشعراء المجيدين أمثال المتنبي ، إلا أن شعرهم أتى غثا مهلهلاً

---

(١) تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ص ٤٠٠ .

خالياً من العاطفية الجياشة والخيال الخصب والمعاني والأساليب الجزلة .

هذا إلى جانب أنهم أخذوا ينقدون المجتمع من خلال الأدب التمثيلي وخيال الظل (١) الذى انتشر كثيراً في تلك الفترة بسبب اتساع الحروب الصليبية وحاجة الجيوش إلى شحذ الهمم للجهاد ضد الصليبين والتتر ، يقول الدكتور فروخ في سبب ظهور هذا الفن : " اتسع فن القصص في عصر المماليك بعوامل منها : اتساع الحروب الصليبية وغزوة التتر فإن الشعوب في مثل هذه الحال تحتاج إلى شحذ الهمم للجهاد في سبيل البقاء إلى جانب أن الحروب نفسها مناسبات صالحة لنشوء قصص البطولة ولرواية أخبار المغامرات وتَبدّى هذا القصص في هذا العصرفي المقامات وفي الحكايات ، وفي التمثيل البدائي المبتدي في خيال الظل " (٢) ومن قصص البطولة التي ظهرت قصة عنترة التى امتزج فيها الخيال بالحقيقة ، وقصص ألف ليلة وليلة . كما أفرغ الأدباء والشعراء طاقاتهم الابداعية في فن جديد إلى حد ما وهو المفاخرة " واتسعت في هذا العصر المفاخرات وهي مناظرات أو موازنات قائمة على الحوار بين أمرين يحاول كل أمر أن يفضل نفسه على نظيره أو مفاخره ، ومن أشهر هذه المفاخرات : مفاخرة السيف والقلم ، مفاخرة الورد

---

(١) هو أدب تمثيلى يقوم به شخصان يقومان بحركات مضحكة من وراء ستارة مضاءة وتكون القاعة التى يجلس فيها النظارة مظلمة فيظهر أمامهم خيال الشخصين وما يقومان به أشباحا تتحرك على الستارة ـ راجع تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٨ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٨ .

والنرجس " (١)

فالمفاخرات تتسع للخيال وللبراعة في العبير الأنيق لذلك حاول بعض الشعراء والأدباء إفراغ طاقاتهم الابداعية في هذا الفن فنجد على سبيل المثال مناظرة بين الليل والنهار وأخرى بين الأرض والسماء لمحمد أفندي الجزائري ، ومناظرة بين الجمل والحصان للمقدسي .

ولكن هذه الفنون لم ترق إلى درجة الإبداع والابتكار ، وإنما كانت تميل إلى الركاكة والضعف سواء من حيث الخصائص المعنوية أو الأسلوبية ، ومجمل القول حول هذا الموضوع : إن الدكتور فروخ حاول كثيراً ـ كما حاولت معه ـ أن يدفع عن هذا العصر هذه التسمية ـ الانحطاط ، ولكن الحقيقة تبقى كما هي فنراه هو نفسه عند حديثه عن خصائص الأدب في عصر المماليك يقول : " وأما من الناحية اللفظية فإن الأسلوب قد ضعف كثيراً ورك التركيب في بعض الأحيان ودخل فيه ألفاظ وتعابير قريبة من العامية " (٢)

فنرى أن السمة الغالبة للأدب في هذه الفترة سواء كان شعراً أو نثراً هي الضعف والركاكة وعدم القدرة على الابتكار والابداع ، كما اتسعت السرقات الشعرية عند معظم شعراء هذه الفترة ، وقد ذكر الدكتور فروخ كثرة السرقات الشعرية في عصر المماليك خاصة .

وكثرت في النثر والشعر المراسلات الاخوانية والمعارضات والمناقضات

(١، ٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٤ ، ٦١٥ .

والألفاظ والمحاورات والإطناب في ألقاب المديح والإطالة في الرسـائل والقصائد مع بروز عنصر الوصف بروزاً شديداً ، وكثرت أيضا السرقات الشعرية خاصة والاستهتار بها " (١) والوصف الذى برز هو وصف الطبيعة أحياناً ووصف الأشياء العادية والأدوات التى يستخدمها الانسان كثيراً فكان هذا الوصف سطحياً بعيداً عن عمق المعنى أو قوة الأسلوب .

وكثر وضع الشروح على الكتب والقصائد لعدم مقدرة الأدباء على الابتكار كما كانت التورية من أبرز ما مال إليه شعراء هذه الفترة ، وكثر أيضا الاقتباس من القرآن الكريم والحديث الشريف والشعر القديم سواء في الشعر أو النثر .

فهذا كله يدل على أن العصر كان عصر انحطاط وضعف وتخلف في الأدب ، يقول الدكتور زغلول سلام في ذلك : " انعكست على شعر العصر ملامح الحياة ، وأصداء أحداثها السياسية والاجتماعية وتياراته الفكرية والعقدية ، وربما كان أول أثر يواجهه القارىء لشعر العصر : الإحساس بالضعف الموضوعي ، وهلهلة البناء والصياغة وقلة الابتكار والإسراف في الاهتمام بالشكل والمظهر ، والإيغال شيئاً فشيئاً في العامية " (٢)

ومع أن السمة الغالبة للأدب في هذا العصر الضعف والركاكة والانحطاط فإنني أرى أن هناك قلة من الشعراء والأباء كانو مجيدين ، ولكنهم لم ينالوا

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ٦١٤ .

(٢) الأدب فى العصر المملوكى د . محمد زغلول سلام ط بدون دار المعارف بمصر ص ١٠٥ .

حظهم من الدراسة والبحث أمثال : الطغرائى صاحب " لامية العجم " الذى كان شاعراً مجيداً بليغاً سار على نهج القدماء في شعره ، فتميز شعره بمتانة الأسلوب وحسن السبك ووضوح المعاني والأفكار وتنوعها .

كذلك الشريف المرتضى الذى تميز شعره بالجزالة والمتانة والفخامة أيضا في أواخر هذا العصر نجد : ابن النبيه ، وابن نباته المصري ، وابن سناء الملك . . . . وغيرهم ممن كان لهم أثر جيد في أدب هذه الفترة ، ولكننا لا نحكم على العصر بالومضات الخاطفة التى تظهر في ثنايا مسيرته ولكن الحكم يأتي دائماً على أساس السمات العامة والظواهر البارزة التي توجه فترة ما من الفترات وتكون بمثابة صفات مشتركة توجه الأدب وتلتقي فيها روافده .

* * * * * *

كثرة التأليف في عصر الانحطاط

ذكر الدكتور فروخ أن التأليف كَثُر وازدهر في هذا العصر فقال : " كثر التأليف في هذا العصرفي اللغة والنحووفي الجغرافياوالرحلات والتاريخ. " (١)

فنظراً لتوفر المادة العلمية التى يستطيع المؤلفون الانطلاق منها كثر التأليف منذ القرن الأول من هذا العصر فنجد أن التأليف ووضع الكتب التامة في مختلف العلوم كان يتجه إلى الرقي والازدهار على عكس الأدب الذي كان يميل إلى الانحطاط ، وماكان ذلك إلا لعاملين ذكرهما الدكتور فروخ : (٢)

١ ـ بعامل الحاجة إلى كتب تسد مكان الكتب التي تلفت .

٢ ـ بعامل هو أن العلم كان لايزال ـ برغم كثرة الكتب التي ألفت في الأعصر السابقة ـ يقوم على الرواية فأراد حفاظ العلم بعد الاستعانة بما كانت ذاكرتهم لاتزال تعي وبعدالاستعانة بالكتب التى نجت من الدمار ، أن يضعوا كتباً في الموضوعات المختلفة .

فالدمار وإحراق المكتبات العامة وإلقاء الكتب في الأنهر وغير ذلك مما ألحقه التتر بالأراضي العربية في بغداد وغيرها كان من نتائجه تلف الكثير من الكتب والمؤلفات الثمينة فضاع الكثير من علوم المسلمين لذلك كانت هناك حاجة ماسة إلى تأليف كتب أخرى تسد مكان تلك الكتب التي أُتلفت .

كما أن المادة العلمية في هذا العصر كانت واسعة وتقوم على الرواية كمـــا

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٣ ، ط٣ ، دار العلم للملايين ص ١٥٠ .

(٢) السابق نفسه ص ٦١٣ .

ذكر الدكتور فروخ ، وبما أن العلم عن طريق الرواية قد يضيع بوفاة صاحب الرواية كان من واجب المؤلفين وضع الكتب المختلفة ، ومن أسباب كثرة التأليف في هذه الفترة هو أن أصول هذه العلوم ـ الحديث ، الفقه ، الجغرافيا ، التاريخ ، اللغة ، النحو ، التراجم ، الرحلات ، العلوم الرياضية والطبيعية .. التى ألف فيها المؤلفون كانت قد وُضعت سابقاً فأصبح لدى المؤلفين القواعد الأساسية التي ينطلقون منها في التوسع والتبحر حول هذه العلـــوم ، والاجتهاد والقياس في تطويرها ، فاخرجوا إلينا المجاميع الضخمة التى كل مجموع منها عدة مجلدات ، تدور حول علم واحد أو علوم مختلفة مثل : " نهاية الأدب في فنون العرب " لشهاب الدين النويري ، ت ٧٣٢هـ وكتاب : " مسالك الأبصار في ممالك الأمصار " لابن فضل العمري ت سنة ٧٤٨هـ وكتاب " الوافي بالوفيات " لصلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي ت سنة ٧٦٤هـ وكتابي " عجائب المخلوقات " و " آثار البلاد " لزكريا بن محمد القزويني . ت سنة ٦٨٢هـ . وكتاب " طبقات الشافعية الكبرى " لتاج الدين السبكي ت سنة ٧٧١هـ فهذه الكتب وغيرها الكثير والكثير كانت سبباً في إثراء المكتبة العربية الإسلامية بالكتب القيمة الثمينة العلمية التى ظلت زمناً طويلاً مرجعاً أساسياً في مجال البحث والدراسة والتأليف ممانحمده لتلك الفترة ويسجله التاريخ لها . . ومع هذا كله تبقى الحقيقة التى ألمحت إليها سابقاً وهي : أن الأدب الإبداعى من شعر ونثر في فترة عصرالانحطاط كان متدهوراً ركيكاً غثاً ، أما التأليف العلمي فقد ازدهر وخرجت لنا المؤلفات والمجاميع الضخمة التى لاتزال إلى وقتنا الحاضر مفخرة للتراث العربي الإسلامي .

٧ ـ الأدب العربي في الأندلس والمغرب

أخذت الفتوحات الإسلامية تتسع وتمتد إلى أن وصلت المغرب ، فقد استطاع عقبة بن نافع أن يصل إلى المغرب الأدنى سنة ٤٦هـ ويفتحه ، ثم يبني قيرواناً (معسكراً) للجند فيه ، وقد تابع عقبة الفتح في المغرب إلى أن وصل إلى ساحل البحر (المغرب الأقصى) فأخذ الإسلام ينتشر في المغرب ويقوى نفوذ العرب إلى أن دانت المغرب كلها للحكم العربي .

أما الأندلس : فقد تم فتحها سنة ٩٢هـ عندما أرسل موسى بن نصير حملة بقيادة طارق بن زياد ، الذى استبسل في اجتياز المضيق الجبلي الذى كان يربط المغرب بالأندلس وبعد أن أجتاز المضيق قام بحرق السفن التي حملته وجنده ثم أخذ يستحث الجند ويبث فيهم روح الجهاد والقتال بهذه الخطبة الشهيرة :

" أيها الناس أين المفر ؟ البحر وراءكم والعدو أمامكم ، فليس لكم ـ والله ـ إلا الصدق والصبر ، وأعلموا أنكم في هذه الجزيرة أضيع من الأيتام في مأدبة اللئام ولا أقوات لكم إلا ما تستخلصون من أيدي عدوكم ، وإن امتدت بكم الأيام على افتقاركم ولم تنجزوا لكم أمراً ، ذهب ريحكم ، وتعوضت القلوب من رعبها منكم الجرأة عليكم فادفعوا عن أنفسكم خذلان هذه العاقبة من أمركم بمناجزة هذا الطاغية ، فقد ألقت به إليكم مدينته الحصينة ، وإن انتهاز الفرصة فيه لممكن إن سمحتم لأنفسكم بالموت وإني لم أحذركم أمراً أنا عنه بنجوة ، ولا حملتكم على خطة ـ أرخص متاع فيها

النفوس ـ أبرأ منها نفسي ، واعلموا أنكم إن صبرتم على الأشق قليلاً . استمتعتم بالألذ الأرفه طويلاً . فلا ترغبوا بأنفسكم عن نفسي فما حظكم فيه بأوفر من حظي وقد بلغكم ما أنشأت هذه الجزيرة من الحور الحسان ، من بنات اليونان ، الرافلات في الدر والمرجان ، والحلل المنسوجة بالعقيان ، المقصورات في قصور الملوك ذوي التيجان وقد انتخبكم الوليد بن عبدالعزيز أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، ورضيكم لملوك هذه الجزيرة أصهاراً وأختاناً ، ثقة منه بارتياحكم للطعان ، واستماحكم ، بمجالدة الأبطال الفرسان ، ليكون حظه منكم ثواب الله على إعلاء كلمته وإظهار دينه بهذه الجزيرة ، وليكون فتحها خالصاً لكم من دونه ومن دون المؤمنين سواكم . والله تعالى ولى إنجادكم على ما يكون لكم ذخراً في الدارين . واعلموا أني أول مجيب لما دعوتكم إليه ، وأني عند ملتقى الجمعين حامل بنفسي على طاغية القوم لذريق فقاتله إن شاء الله تعالى . فاحملوات معي فإن هلكت بعده ، فقد كفيتكم أمره ولم يعوزكم بطل عاقل تسندون أموركم إليه ، وإن هلكت قبل وصولي إليه فاخلفوني في عزيمتي هذه واحملوا بأنفسكم عليه ، واكتفوا إليهم من فتح هذه الجزيرة بقتله ، فإنهم بعده يخذلون " (١)

ويذكر الدكتور عمر فروخ أن في هذه الخطبة موقفين : موقف راجح : هو أن خطبة طارق والأبيات المنسوبة إليه منحولة كلها ، وهنالك موقف

(١) لم أجد نفح الطيب للمقرى فنقلت الخطبة من كتاب الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة لدكتور أحمد هيكل ط٧ ١٩٧٩م دار المعارف بمصر ص ٦٧ ـ ٧٨ .

مرجوح (ضعيف) هو أن النثر والشعر لطارق بن زياد نفسه " (١)

ثم يأخذ في هامش الصفحة نفسها يوضح الأسباب التي جعلته ينفي أن تكون هذه الخطبة لطارق فيقول : " طارق بن زياد بربري الأصل دخل في الإسلام وفي ولاء موسى بن نصير ، ولما حاز طارق برجاله إلى الأندلس للفتح لم يكن قد مر على إسلامه وتعلمه اللغة العربية إلا سنوات لا يزدن على خمس فليس من المعقول أن تكون تلك الخطبة من قوله . ثم إن في هذه الخطبة صناعة هى أقرب إلى ماعرف في العصر العباسي ولم ترد هذه الخطبة في مصدر نعرفه قبل نفح الطيب للمقري ، وكماذكر الدكتور فروخ سابقاً فإن دارسي الأدب العربي في الأندلس انقسموا إلى فريقين تجاه هذه الخطبة : ـــ

الفريق الأول : يثبتها لطارق بن زياد أمثال : الدكتور باقر سمالة الذى يقول : " وطارق هو صاحب الخطبة الشهيرة التى خطبها بعد عبوره مضيق الجبل الذى سُمى فيما بعد باسمه وهذه الخطبة من أهم الخطب التى سجلها تاريخ الفتوحات الإسلامية " (٢) والدكتور عبدالعزيز عتيق الذى يقول أيضا : " ورأى طارق مظاهر الخوف والتردد تبدو على وجوه بعض أصحابه حين علموا بزحف لذريق إليهم في جيش يفوقهم عدداً وعدة ولكى يزيل من النفوس كل مشاعر الخوف والتردد هب من فوره والقى على جنده خطبته الخالدة تلك التى حثهم فيها على الجهاد والصبر ومنّاهم فيها الأمانى الطيبة

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٤٠ .

(٢) التجديد فى الأدب الأندلسى د . باقر سمالة ، ط بدون ، مطبعة الايمان بغداد ص (٦) .

" وبشرهم بما سيفتحون من بلاد ، ويصيبون من غنائم وينعمون به في دنياهم وآخرتهم " (١)

والفريق الآخر ينفي أن تكون هذه الخطبة لطارق بن زياد أمثال الدكتور عمر فروخ وحكمة علي الأوسي ، والدكتور أحمد هيكل الذى أضاف على الأسباب التى ذكرها الدكتور فروخ فى نفي الخطبة عن أن تكون لطارق سبباً آخراً وهو أن جند طارق بن زياد كانوا من البربر وهو يقول لهم : اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً إذ يقول حول ذلك الدكتور هيكل : وشىء آخر جاء فى نص الخطبة يبعد أن يقوله طارق وهو قوله لجنده ـ وكانوا كما نعرف من البربر ـ وقد اختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً ، فطارق كان يعرف أن جنوده من البربر وجنوده كانوا يعرفون أنهم ليسوا عرباناً ومن هذا يبعد أن يكون قد خطبهم بهذا الكلام الذى لا يقوله إلا غير عالم بحقيقة جيش طارق " (٢)

ولنناقش الأسباب التى اشترك فيها الدكتور فروخ والدكتور هيكل فى نفى هذه الخطبة عن أن تكون لطارق بن زياد حقيقة ، إن طارق بن زياد حديث العهد بالإسلام والعربية عندما فتح الأندلس هذا أمر مسلم به لأن كل المصادر التاريخية تشير إلى ذلك وتثبته ، ولكن ذلك لا ينفي من أن تكون الخطبة لطارق فعلاً لأنه كما نعلم دخل في ولاء موسى بن نصير ـ وهذا ما

(١) الأدب العربى فى الأندلس لابراهيم أبوخشب ، دار الفكر العربى ص ٣٥ .

(٢) الأدب الأندلسى من الفتح الى سقوط الخلافة د . أحمد هيكل ط٧ دار المعارف بمصر ص ٧٠ .

ذكره الدكتور عمر فروخ ـ وموسى بن نصير كان عربياً قحاً وشاعراً أيضا فاتصال طارق بن زياد الوثيق به جعل طارق يحب اللغة العربية والإسلام لأنه أحب موسى بن نصير وإلا لما دخل في ولائه فيكون هذا الحب وهذا الولاء سبباً رئيسا في تعلقه باللغة العربية وحبة لتعلمها وهذا أمر طبيعى فهو تعلم من موسى بن نصير إلى جانب تعلم اللغة فنون الفروسية والحرب وتأثر بشجاعته وإقدامه .

لذلك لا يصح أن نحكم بنفي الخطبة عن كونها لطارق بن زياد استناداً للفترة الزمنية التى تعلم فيها اللغة العربية فالمقدرة على التعلم أمر نسبي فهناك أناس يتعلمون في سنة ما يتعلمه غيرهم في ثلاث أو أربع سنوات فلا يمكن لنا أن نشكك في نسبة الخطبة لطارق لأنه حديث العهد بالإسلام ، إلى جانب أن الخطبة ليس فيها من الابتكار والإبداع والبيان مايصعب أن يقوله رجل حديث العهدبالعربية محبالًها ولأهلها كماأنهامنتزعة من الموقف نفسه ، والظروف المحيطة بالجند والقائد ، فهي تعد نموذجاً رائعاً لخطب قواد الفتوحات ، تلك التى كانوا يلقونها على جنودهم قبل الزحف والقتال ، حتى يقبلوا على الجهاد والاستشهاد في سبيل الله ، بإيمان ثابت وعزائم قوية ، راضية مطمئنة " (١)

فلم يكن طارق بن زياد يقصد بهذه الخطبة الامتاع أو الترويح عن النفس أو اظهار مدى فصاحته وبلاغته ، وإنما يهدف إلى بث روح الحماسة والقتال

(١) الأدب العربى فى الأندلس لعبدالعزيز عتيق ط٢ دار النهضة العربية ـ بيروت ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م ص ٣٥ .

في نفوس جنده ، وقد استطاع من خلالها أن يصل إلى مايريد فأصبح لدى الجنود رغبة جامحة في النزال ومحاربة لذريق " فلما فرغ طارق من استثارة حماس أصحابه وتحريضهم على الصبر في قتال لذريق وما وعدهم من الخير الجزيل ، انبسطت نفوسهم وقالوا له : قد قطعنا الآمال مما يخالف ما عزمت عليه ، فاحضر إليه فإنا معك وبين يديك " (١)

أما قول الدكتور أحمد هيكل بأن الجند كانوا من البربر وطارق يقول لهم : " لقداختاركم أمير المؤمنين من الأبطال عرباناً " ويقصد أن في ذلك تناقضاً إذ كيف يقول لهم عرباناً وهم من البربر ، فنحن نتسائل على أي أساس يؤكد الدكتور هيكل بأن جميع جند طارق كانوا من البربر ، فما يرفضه العقل أن يترك موسى بن نصير المغرب ويأخذ معه جميع جنده العرب الذين قدم بهم من المشرق ولكن الذي حدث أنه عندما أراد العودة إلى دمشق ترك معظم الجند العرب في المغرب وجعل طارق بن زياد قائداً عليهم وعلى الجند البربر أيضا ومما يؤكد وجود الجند العرب في جيش طارق قول الدكتور حكمة الأوسي : " ومهما يكن من أمر فإن الظروف التى كانت سائدة في داخل أسبانيا وفي شمال أفريقيا كانت تسمح لهذا الفتح وتحث عليه ، فقد كان طارق يقيم على المضيق ومعه عدد يتعاظم كل يوم من الجند العربي والبربري المتحفز للقتال " (٢) كما أنه ليس من المعقول أن يكون طارق

(١) السابق ص (٣٧) .

(٢) فصول فى الأدب الأندلسى فى القرنين الثاني والثالث للهجرة . حكمه الأوسي ص ٢٦ .

قد ترك الجند العرب جانباً وأخذ معه لفتح الأندلس الجند البربر فقط فهذا مايرفضه العقل رفضاً أكيداً ، فلولا أن أطمأن موسى بن نصير لطارق ولأخلاقه وسلوكه مع الجند سواء كانوا عرباً أو بربراً لما جعله قائداً وأميراً عليهم .

وإذا تبين لنا أن في جيش طارق بن زياد جنداً من العرب فإن ذلك يؤكد بأن طارق كان عالماً باللغة العربية مجيداً لها وإلا لما أمره موسى بن نصير على الجند العرب الذين لابد وأنهم يحتاجون لقائد يتحدث العربية يوضح لهم طريقة دخول المعركة والخطط المطلوب تنفيذها ويقنعهم بأهمية الالتزام بها . . . .

أما القول بأن خصائص الخطبة أميل إلى خصائص الخطبة في العصر العباسى منها إلى خصائص العصر الأموي ، فكما علمنا أن طارقاً تعلم اللغة العربية في فترة لا تسمح له بالوقوف على نتاج أدباء العصر الأموي ليتأثر بأساليبهم وخصائصهم فقد قال الخطبة دون تأثر بخصائص معينة لأنه كما ذكرنا سابقاً يهدف إلى بث روح الحماس والقتال والصبر في نفوس الجند أما أن يسكت المؤرخون والأدباء عن ذكر هذه الخطبة في مؤلفاتهم إلى عهد المقري فهذا ليس سبباً كافياً لنفي الخطبة من أن تكون لطارق بن زياد فربما كان المؤرخون قد انشغلوا بالاحداث التاريخية الجليلة المتعاقبة التي أحدثها العرب في الأندلس مما استنفذ كل طاقاتهم سواء في البحث أو الكتابة حول هذه الأحداث فانشغلوا بها عن ذكر هذه الخطبة التي قالها طارق بن زياد .

ولذا فإنني لا أستبعد نسبة هذه الخطبة إلى طارق بن زياد وأن تكون

هذه هى أول نتاج أدبي يأتينا من الأندلس . أما عن نتاج هذه الفترة من فتح الأندلس سنة ٩٢هـ إلى سقوط الدولة الأموية في المشرق سنة ١٣٢ فقد كان من نتاج المشارقة الذين طرءوا على المغرب والأندلس ، يقول الدكتور فروخ في ذلك : " أما النزر اليسير الذى وصل إلينا من النثر والشعر في عصر الولاة (٩٣هـ ـ ١٣٨هـ)فقد قاله مشارقة من الطارئين على المغرب والأندلس " (١)

وهذا هو العهد الأول للأدب العربي في الأندلس والذى استمر إلى سقوط آخر مدن الأندلس (غرناطه) في يد الأسبان سنة ٨٩٨هـ ، وخلال هذه الحقبة الطويلة من الزمان تفاوت الأدب من شعر ونثر بين القوة والأصالة والتجديد إلا أن السمة الغالبة للأدب الأندلسي تأثره بالأدب المشرقي فقد كان نتاج أدباء الأندلس تقليداً لأدباء المشرق خاصة في القرنين الثاني والثالث إلا أننا نرى في القرن الثالث بوادر التجديد بدأت تظهر ، فقد ظهر الشعراء الاندلسيين سواء كانوا من أصل مشرقي كأمراء بني أمية أو كانوا من المغرب .

وبذلك خرجت لنا البذرة الأولى لخصائص الأدب الأندلسي الذي لا يختلف كثيراً عن خصائص الأدب المشرقي من حيث الفنون والأغراض التي ظلت مشرقية اللهم إلا التوسع في بعض الفنون كفن الوصف فاكثر أدباء الأندلس من وصف الطبيعة ووصف المدن والممالك التي بناها العرب في الأندلس ، وفن الرثاء فبكوا كثيراً المدن الأندلسية التى أخذت تسقط

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٤٦ .

الواحدة تلو الأخرى في يد الأسبان ، إذن قد كانت دواع متعددة لاتساع هذين الفنين ، فطبيعة الأندلس والحياة فيها وما اشتملت عليه من ترف ونعيم كانت قمينة بأن تجعل هذا الفن يتسع ويزدهر ، كذلك فن الرثاء ، فسقوط المدن الأندلسية في يد الأسبان على مرأى حكام وأمراء الأندلس الذين لم يستطيعوا المقاومة نتيجة ضعفهم وإهمالهم أثار ذلك في نفوس الشعراء مشاعر الحزن والألم على هذه المدن . فما كان أمامهم إلا أن يبكونها ويرثونها

وبذلك يمكن لي القول بأن شعراء الأندلس قد تناولوا فنون الشعر المشرقي دون تجديد إلا أنهم توسعوا في بعض الفنون كالوصف والرثاء .
ومن الوصف قول ابن خفاجه يصف نهراً : ـ

لله نهرٌ سالَ فى بطحـــــاء ... اشهى وروداً من لمى الحسناء
متعطفٌ مثل السوار كأنـــــه ... والزهرُ يكنفه مجرٌ سمــــاءِ
قد رقّ حتى ظُنّ قرصاً مفرغاً ... من فضةٍ فى بردةٍ خضــــراءِ
وغدتْ تحفُ الغصونُ كأنهـــا ... هدبٌ يحفُ بمقلةٍ زرقـــــاءِ

ومن الرثاء رائية الوزير الكاتب أبي محمد بن عبدون في رثاء قتلى (بن الأفطس) والتى يقول في مطلعها : ـ

الدهرُ يفجع بعد العين بالأثـــرِ
فما البكاء على الأشباح والصورِ
أنهاك أنهاك لا آلوكَ موعظـــــةً
عن نومةٍ بين نابِ الليثِ والظفـرِ

فلا يغرنك من دنياك نومتهـــا
فما صناعة عينيها سوى السهر
إلى أن يقول : ـ والدهر حرب وإن أبدى مسالمـــــة
والسود والبيض مثل البيض والسمر

كما بقيت الفنون المشرقية : المدح والفخر والحماسة والرثاء والهجاء وألوصف والغزل والنسيب والعتاب والأدب (الحكمة) غير أن الأغـــراض (الموضوعات الجزئية) في عدد من هذه الفنون قد عرفت أشياء جديدة ، وخصوصاً في الوصف الذى اتسع في الأندلس خاصة اتساعاً عظيماً وعلى الأخص وصف المعارك البحرية ثم وصف الرياض من عالم الطبيعة ووصف المنشأت من عالم العمران (كوصف المدن ورثائها مثلاً) ولقد رقت في هذه الفنون كلها عاطفة الشاعر واتسع خياله ، ولكن الشعر عامة ظل من حيث المعاني المبتكره والمدارك البعيدة الغور ـ أدنى طبقة من الشعرالمشرقي. (١)

ومما لاشك فيه أن وصف الطبيعة في الأدب الأندلسي كان مميزاً ولا غرابة في ذلك فطبيعة الأندلس جديرة بأن توقظ الاحساس والخيال في نفوس الأدباء والشعراء فتتفجر قرائحهم وتنساب أقلامهم عندما ينهلون من هذه الطبيعة الخلابة ويصبون ذلك في قالب من الوصف الوجداني والمادي أمثال ابن خفاجة ، وابن زيدون ، وما يكاد ينقضي القرن الرابع الهجري ويطل القرن الخامس حتى نجد الدولة العظيمة التي أقام صرحها عبدالرحمن الداخل بدأت

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٤ ، ط١ دار العلم للملايين ص ١٩٥ .

تنهار وتتحطم ويقوم مكانها نظام جديد ، وهو أن تحكم كل مدينة كبيرة نفسها ، فنشأ عصر ملوك الطوائف من سنة ٤٢٢هـ إلى سنة ٤٨٣هـ وقد تنافس هؤلاء الملوك في تشجيع الفكروالأدب،يقول الدكتورفروخ في ذلك : " ولقد اتخذ ملوك الطوائف جميع مظاهر الدول من التلقب بألقاب الخلافة ومن الحجابة (رئاسة الوزارة والوزارة من أسيباب الترف ، كما كانوا يجمعون في بلاطاتهم الآدباء والشعراء فيغدقون عليهم الأموال " (١) فقد كان النتاج الأدبي بارعاً جيداً سواء في الشعر أو النثر " وهكذا نرى الأندلس بفضلهم تنهض في القرن الخامس وأوائل السادس نهضة واسعة في أدبها من شعر ونثر حتى ليُعد عصرهم من أزهى عصور الأندلس الأدبية " (٢) مع العلم بأن الفنون الأندلسية هي نفسها الفنون العباسية إلا أن الأندلسيين عالجوا هذه الفنون معالجة جديدة فأكثروا من الوصف وسعة الخيال " وقد اشتد التنافس بين هذه المدن واستطاعت الأندلس عن طريق هذا التنافس أن تظفر بأكبر حظ من النشاط العلمي والأدبي إذ كان كل أمير أو ملك ـ كما كانوا يسمونه ـ يريد أن يبذ من حوله في القوة والسلطان والثروة المادية والعقلية والفنية " (٣) ثم تلا عصر ملوك الطوائف عصر المرابطين الذين لم يكونوا ذوي دراية وافية باللغة العربية وكانوا يميلون إلى السيف أكثر من ميلهم إلى

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٣٨٦ .

(٢) الأدب العربى فى الأندلس لعبدالعزيز عتيق ط٢ دار النهضة العربية ـ بيروت ص ١٠٠ .

(٣) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى د . شوقى ضيف ط٨ ، دار المعارف بمصر ، ص ٤٣١ .

القلم " (١) فبار الشعر في بلاطاتهم وانحط الأدب في عهدهم إلا أن الدكتور فروخ يرى أن شعر التكسب هو الذى كسد في هذا العهد لأنه كان عهد كفاح وجهاد وليس عهد ترف وإقبال على الملذات ويقصد بذلك عهد " يوسف بن ناشفين " يقول : " إن الدول في أيام قيامها قلما تحفل بالشعر وبسائر الفنون ، إذ نراها مهتمة بالفكر والعلم ـ رأينا ذلك في عهد الخلفاء الراشدين وفي مطلع الدولة الأموية وفي مطلع الدولة العباسية أيضا ـ ثم إذا نحن استعرضنا العلم والثقافة والشعر نفسه أيضاً في عصر المرابطين لم نجدها أدنى مما كانت من قبل ، وكان بعضها أحسن حالاً إلا شعر التكسب " فالدكتور عمر فروخ يرى أن شعر التكسب هو الذى كسد في عصر المرابطين لعدم اهتمام الخلفاء بالشعر والإجازة عليه .

وقد تلا هذا العصر عصر الموحدين الذين اهتموا بالشعر والأدب فأجازوا الأدباء والشعراء ولذلك كان الأدب مزدهراً في عهدهم ، ويذكر ذلك الدكتور عمر فروخ بقوله : " في عهد الموحدين ازدهر الشعر وكثر الشعراء لاحتفال الموحدين ـ خلافاً للمرابطين ـ بشعر المديح والإجازة عليه " (٣) فقد كان اهتمام الموحدين بالشعر سبباً رئيساً في ازدهاره " لم يكن خلفاء الموحدين من المشجعين على الأدب ، والمتذوقين له والمقربين لرجاله

---

(١) التجديد فى الأدب الأندلسى لباقر سمالة مطبعة الايمان ـ بغداد ص ٣١ .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج ط١ دار العلم للملايين ص ٦٨ .

(٣) المصدر السابق ص (٣٧٨) .

فحسب ، بل كانوا كذلك مشاركين فيه منتجين له ، ناقدين للشعر في بعض الأحيان ، لهذا كله لم يكن إلا طبيعياً ازدهار الأدب في هذه الفترة وكثرة الشعراء والكتاب حتى إن هؤلاء وأولئك قد نسوا في ظل الموحدين أو كادوا ، تلك العواصف القوية اللافحة التي كان يسلطها عليهم الفقهاء المتعنتون في العصر المرابطي " (١)

فهذا تأكيد على تدهور الأدب في عصر المرابطين ، وازدهاره في عصر الموحدين .

واخيراً يتحدث الدكتور عمر فروخ عن آخر الدول التى قامت في الأندلس والمغرب وهي دولة بني الأحمر الجزء السادس من موسوعته : تاريخ الأدب العربى للحديث عن الأدب في المغرب والاندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة .

فقد كان الأدب في هذه الفترة شعراً ونثراً تهيمن عليه لهجة الاستغاثة والبكاء واستنهاض الهمم : يقول الدكتور عمر فروخ : " وكثر رثاء المدن والدول في الأندلس ومن أشهر ماقيل في ذلك قصيدة بن عبدون " الدهر يُفجع بعد العين بالأثر " وجرت بين ملوك المغرب وملوك الاندلس مكاتبات فكانت رسائلهم في ذلك ـ في البكاء على أحوال المسلمين في الأندلس وفي

---

(١) الأدب الأندلسى في عصر الموحدين ، حكمة على الاوسي ، ط بدون ، مكتبة الخانجى القاهرة ص ٤٦ .

استنهاض بعض أولئك الملوك همم بعضهم الآخر " (١) فنظراً لسقوط المدن الأندلسية في يد الأسبان الواحدة تلو الأخرى كثر رثاء المدن والبلدان ، والذى أفرد له الدكتور عمر فروخ عنواناً خاصاً وجعل الحديث عن الأدب في هذه الفترة بهذا العنوان : رثاء البلدان (٢)

كما يقول الدكتور عبدالعزيز عتيق عن الأدب في هذه الفترة : " وكان تأثر الأدب الأندلسي بأحداث هذا العصر السياسية أكثر من تأثرها فيه ، فالأدب في دولة بني الأحمر ، والشعر فيه خاصة ، يغلب عليه طابع الاستغاثة واستنهاض همم ملوك المغرب وتونس للمؤازرة في الدفاع عن مجد العرب المهدد بالضياع في الأندلس فيستجاب لصريخ هذا الشعر حيناً ، وتصم الآذان عنه أحياناً " (٣) . فالغرض الذى كان يغلب على شعراء الأندلس هو الرثاء واستنهاض الهمم ، ومن رثاء الأندلس قصيدة ، أبي البقاء الرندى المشهوره : ـ (٤)

لكل شىء إذا ماتم نقصـــــان ... فلا يُغر بطيب العيش انسانُ
هي الأمور كما شاهدتها دولُ ... من سرّه زمنٌ ساءته أزمــانُ
وهذه الدار لاتبقى على أحــد ... ولايدومُ على حالٍ لها شــانُ

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٦ ص ٩٦ .
(٢) السابق ص ٦٣ .
(٣) الأدب العربي في الأندلس د . عبدالعزيز عتيق (مصدر سابق) ص ١٢٩ .
(٤) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٦ ص ٢٨٧ ـ ٢٨٨ .

إلى أن يقول : ـ

أينَ الملوكَ ذوو التيجانِ من يمنٍ وأين منهم أكاليلُ وتيجـــانُ
وأين ما شادَه شدادُ فـــي إرمٍ ؟ وأيـنَ ما ساسَه في الفرسِ ساسانُ
وأين ما حازه قارونُ من ذهـبٍ ؟ وأيـن عادُ وشدادُ وقحطـــانُ
أتى على الكلِ أمرُ لا مردَ لـــه حتى قضوا فكأن القومَ ما كانـــوا
وصار ما كان من مُلك ومن مَلـك كماحكى عن خيالِ الطيفِ وسنـانُ

وهكذا عرض الدكتور عمر فروخ للأدب العربي في المغرب والأندلس خلال ثمانية قرون حكم فيها العرب المسلمون هذه البلاد ونشروا فيها الدين الإسلامي والحضارة الإسلامية وأعطى صورة واضحة للأدب العربي شعراً ونثراً خلال هذه الفترة من تاريخ الأمة العربية والإسلامية .

** الموشحات **

تعتبر الموشحات فناً أندلسياً خالصاً إذ لم تكن معروفه لدى المشارقة من قبل " فقد تميز الأدب الأندلسي فيما تميز بظهور فنون شعرية عديدة مثل الدوبيت ، والقوما ، والكان كان ، والموال ، ولكن أكبر تلك الفنون وأهمها الموشحات والأزجال ويعتبران شقيقين تجمعهما صفات كثيرة منها أنهما فنان غنائيان ، ومن تلك الصفات الجامعة بينهما تشابه الموضوعات والأوزان والقوافي والمقاطع " (١) وقد ساعد على ظهوره البيئة التى تميزت بها الأندلس والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة من ترف ونعيم ولهو واهتمام بالغناء والموسيقى ، يقول في ذلك الأستاذ باقر سماكة : ـ انغمس المجتمع الأندلسي خلال فترات طويلة في بحبوحة من اللهو والترف وقد اقتضى هذا النمط من العيش اللاهي المترف إيجاد لون من الشعر ليكون مادة للغناء في ليالي الأنس ومجالس الطرب حول الموائد المثقلة بالشراب والطعام فاستحدث هذا الفن للغناء " (٢)

ولم يتحدث الدكتور فروخ عن سبب إنتشار الموشح في الأندلس أو دواعي ظهور هذا الفن وإنما ذكر أنه يعتبر فناً أندلسيا إذ قال : " يجمع مؤرخو الأدب على أن الموشح في شكله المخصوص وخصائصه المعروفة فن أندلسي " (٣) مع أنه أطال وفصل النظريات التى قيلت في نشوئه وبين

(١) التجديد فى الأدب الأندلسى باقر سمالة ، مطبعة الإيمان ـ بغداد ـ ص ٧١ .

(٢) المصدر السابق .

(٣) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٤ ، ط١ دار العلم للملايين ص ٤٢١ .

أجزاءه وأسماء هذه الأجزاء ، وأعطى الأمثلة الوافية عليها ، وذكر أوائل الوشاحين والخصائص الأدبية في الموشح وكان ذلك في ست وثلاثين صفحة من الجزء الرابع ، ولكن أغفل أسباب انتشار الموشح في الأندلس .

أما عن النظريات التى قيلت في نشوء الموشح فيذكر الدكتور فروخ أربع نظريات : ـ

أ ـ النظرية الأجنبية : ومضمونها أن هذا الفن إنما نشأ لأن العرب اختلطوا بالغرب وأهل الأدب ازدروا الفصيح ، فهذا الازدواج في اللغة كان سبباً في نشوء الموشح ويرفض الدكتور فروخ هذه النظرية بشدة فيقول :" ومع أن نفراً من هؤلاء المتعلقين بهذه النظرية كثيراً وقليلاً هم ممن أعرفهم وأجلهم فإنى لا أملك استغرابي من استمرارهم في موقفهم بعد أن صدر في النظرية العربية للشعر الأوروبي دراسات علمية متصلة باللغات الانجليزية والألمانية والأسبانية والفرنسية ، لا أريد أن أعتقد أنهم قرءوا هذه الدراسات ولكن أليس غريباً مستغرباً أن يقول الفرنسيون والإطاليون والألمان والأسبان ، إنهم أخذوا شعرهم من أزجالنا وموشحاتنا ثم يأتي نفر منا فيزعمون أن موشحاتنا وأزجالنا مأخوذة منهم ؟.

ب ـ النظرية الفنية : فقد ظهر الموشح نتيجة كثرة الشعر لدى الأندلسيين وتهذيب فنونه وبلوغ الغاية في تنسيقه .

ج ـ نظرية تطور الأنواع الأدبية : وهو أن يكون امتداداً أو تطويراً لفن التسميط الذى عرف منذ الجاهلية .

د ـ النظرية الموسيقية : فنظراً لحاجة المغنيين إلى الكلام يسايرون به الألحان نشأ الموشح (١)

فهذه أربع نظريات ذكرها الدكتور عمر فروخ في أسباب ظهور فن التوشيح في الأندلس وإننى أرى أن الأسباب الثلاثة الأخيرة يمكن أن تكون جميعها سبباً في ظهور الموشح في الأندلس ، ففن التوشيح ما هو إلا تطوير لفن التسميط الذى ظهر منذ الجاهلية كما أنه كان بسبب تطور الحياة الاجتماعية في الأندلس واهتمام الأدباء فيها بالشعر والتجديد فيه إلى جانب حياة الترف والنعيم واللهو والانصراف للغناء كثيراً ، فأصبح هناك حاجة ماسة لنوع من الكلام يوافق الحان المغنين يخدمهافظهرالموشح: " والتوشيح الصحيح فن صعب فإن على الوْشّاح أن يكون موسيقياًقبل أن يكون شاعراًوالعزف على الآلة الموسيقية هوالميزان الصحيح لبراعة الوْشّاح"(٢)

فهو امتداد لفن التسميط الذى عرف منذ الجاهلية وتطوير له ، وقد ظهر أيضا لدى شعراء العِصر العباسي الخروج عن الأوزان الخليلية كأبي العتاهية وأبي نواس . . وبذلك يمكن لنا القول بأن الموشح ماهو إلا تطوير للشعر العربيِ المشرقي وننفي بشدة مع الدكتورفروخ أن يكون الموشح قد تأثر بالأدب الأسباني الأوروبي وإن استند أصحاب نظرية تأثر الموشح بالأدب

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ . ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٤٢٤ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

الأوروبي على وجود ألفاظ أعجمية في الخرجات ، ونرجع ذلك إلى اختلاط العرب بالأعجميات اللاتي كن يستخدمن لغتهن في التحدث والتغزل " وإنه كان العربي يمثل العنصر الارستقراطي المسيطر في الأندلس فكان من الطبيعي أن تحاول الغانيات الأسبانيات التقرب منه بالود وإظهار الحب لترجو منزلة أفضل من صاحباته أو حواريه . ويبدو أن تغزل المرأة بالرجل كان ظاهرة شائعة بين الأسبانيات المستعربات ، أي اللاتي كن يعشن بين العرب الأندلسيين ، فأتى الوشاحون وعبروا في موشحاتهم عن هذه الظاهرة بأن نقلوا كلام الفتاة المتغزل بها وبألفاظها الأعجمية لأن ذلك أقرب إلى الحقيقة وأشد تأثيراً في نفوس السامعين أو على الأصح لم ينقلوا كلام الفتاة وإنما تصوروا أن فتاة من الأعاجم في مثل هذا الموقف الذى يصفونه يمكن أن تقول هذا القول الذي يقولونه على لسانها ويستعيرون لأدائه ألفاظها ولغتها الأعجمية ليكون النظم أدخل في باب الظرف وأفعل في النفس " (١) وإلا لما سكت على ذلك المحافظون على اللغة العربية الفصحى ، أمثال ابن عبدربه وغيره ممن اهتم باللغة الفصحى وسيادتها في الأندلس ، وبذلك يكون الموشح تطويراً للشعر المشرقي الذى لوحظ فيه الخروج عن الوزن والتخلص من القافية أحيانا ، ولأن الحياة الاجتماعية في الأندلس اختلفت كثيراً حيث ساد الترف والنعيم ، وانتشر اللهو ومجالس الطرب بالاضافة إلى

(١) فصول فى الأدب الأندلسى / د . حكمة على الأوسى ، ط٣ مكتبة الخانجى بالقاهرة ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

حاجة المغنيين في الأندلس إلى مقطوعات شعرية جاهزة للغناء ، لهذه الأسباب جميعها ظهر الموشح في الأندلس .

أما عن أوائل الوشاحين أو مخترع الموشح فقد أُخْتُلِفَ في ذلك ، فقيل : إن أول الوشاحين الشاعر العباسي " عبدالله بن المعتز " ونسبوا إليه الموشحة التي مطلعها : ـ

أيها الساقي إليك المشتكى قد دعوناك وإن لم تسمع

ويقول الدكتور أحمد هيكل في ذلك : " ولعل من تمام الحديث عن مخترع الموشحات أن نشير إلى أن بعض الباحثين قد فهم أن مخترع الموشحات هو الشاعر العباسي عبدالله بن المعتز والسبب في هذه الفهم أن موشحة قد وردت في الديوان المطبوع لهذا الشاعر العباسي ، وقد كان بن المعتز معاصراً لمقدم بن معافي ، وليس بين أيدينا شيء من موشحات هذا الأندلسي على حين يحتوى ديوان بن المعتز على موشحة فكل هذا قد أوهم أن بن المعتز هو صاحب أول موشحة ، وأن المشرق هو مصدر هذا النوع الشعري ، والحق أن بن المعتز لم يقل بتلك الموشحة الواردة في ديوانه وإنما هي لشاعر أندلسي وشاح ، هو ابن زهر الحفيد " (١) وقد ذكرت بعض كتب تاريخ الأدب أن مقدم بن معافي القبري هو أول من نظم الموشح " والمرجح أن مخترع هذا النوع الشعري هو مقدم بن معافي القبري " (٢) كما ذكرت

(١) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافه ط٧ دار المعارف بمصر أحمد هيكل ص ١٤٥ .
(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

كما ذكرت بعض الكتب أيضا ابن عبدربه على أنه أول الوشاحين ، ولكن الدكتور فروخ ينفي أن يكون ابن عبدربه نظم موشحات لسببين رئيسين: ـ

١ ـ لم يصل إلينا موشحات تنسب له .

٢ ـ كان ابن عبدربه صاحب العقد مولعاً بإيراد أشياء من شعره في كتابه " العقد " عند كل مناسبة ولم نر أنه أورد شيئا من التوشيح من نظمه ، ولو أنه نظم من هذا الفن الجديد الجميل شيئاً لأورد منه عدداً من مقاطع شعره الموشح كما أورد من شعره المقصد ، إلا أن ابن عبدربه يعتقد أن ذلك الشعر الجديد كان ضرباً من العبث لا يليق إيراده في كتاب بُنى على الجد " (١)

هذا قول راجح فلو أن ابن عبدربه نظم شيئاً من الموشحات لوصل إلينا ولو بعض تلك الموشحات فابن عبدربه من الأدباء الذين اهتم بهم دارسو الأدب ومؤرخوه منذ عصره ، ولو أنه نظم شيئاً من الموشحات لذكروا لنا ولو بعضاً منها وقيل أيضا في مخترع الموشحات أنه " محمد بن محمود القبري القرير " ومع أن الكثير من الأدباء والباحثين أجمع على أن " مقدم ابن معافي القبري " هو مخترع فن التوشيح كما ذكر الدكتور هيكل (٢)

فإنه لا يوجد فن يقوم فجأة ويأتي متكاملاً على يد شخص بمفرده بل لابد أن يسهم أكثر من شخص في تكوينه وتنسيقه وتهذيبه خاصة الموشح فهو فن متعدد العناصر متشعب الفروع ولابد أن يكون ساعد على أخراجه

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٤ ط١ ، دار العلم للملايين ص ٤٣٩ .

(٢) الأدب الأندلسى من الفتح إلى سقوط الخلافة ، د . أحمد هيكل ط٧ / ١٩٧١ دار المعارف بمصر ـ ص ١٤٥

بالصورة التي نراه عليها عندما وصل إلينا أكثر من وشاح والاختلاف في حقيقة مخترع الموشح لا ينفي حقيقة نشأته ووجوده إذ ليس لزاماً في فن متعدد العناصر متشعب الفروع كالموشحات أن يكون له مخترع واحد فمن الجائز أن تكون الفكرة قد سنحت لخاطر شاعر فأبرزها في صورة ما ثم التقطها منه بعض معاصريه واسهموا معه في نشأتها أو في المرحلة الأولى من نشأتها كما هو الشأن في نشأة كثير من الفنون والعلوم " (١)

وذلك ما يقوله الدكتور الركابي في كتابه الأدب الأندلسي : " وإننا لنجد طبيعيا ألا يكون ظهوره قد بدأ فجأة بل لابد ، في بادىء الأمر ، من محاولات مختلفة تظهر على ألسنة عدد من الشعراء ، شأنه في ذلك شأن كثير من الفنون الجديدة التى تتعثر في فاتحة عهدها ثم لا تلبث أن تجد معالمها الواضحة وأسسها الجليلة على يد من مارسها واهتم بها ووجد فيها هواه ومبتغاه " (٢)

وهذا ما نرتضيه إذ لابد أن يكون فن التوشيح قد مر بمراحل ساعدت على تطويره وتحسينه وكان ذلك من قبل عدد من الشعراء ، كما يذكر أيضا الكثير من الباحثين أن الموشحات صارت فناً قائماً بذاته على يد أبى عبادة ابن ماء السماء " وهو أول من وصلت إلينا موشحاته " أما أول من وصلت

---

(١) الادب العربى فى الأندلس د عبدالعزيز عتيق ط٢ دار النهضة العربية ـ بيروت ص ٣٤٣ .

(٢) فى الأدب الأندلسى د / جودت الركابى ، ط بدون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠ ص ٢٨٩ .

إلينا موشحاته فهو أبوبكر عبادة بن ماء السماء " (١) ويذكر الدكتور عبدالعزيز عتيق فضل أبي بكر عبادة بن ماء السماء في تطوير الموشح إذ يقول : " صارت الموشحات فناً قائماً بذاته على يد أبي بكر عبادة بن ماء السماء المتوفي سنة ٤٢٢هـ " (٢)

ويضيف الدكتور فروخ : " إليه يرجع الفضل في توسيع فن الموشح والرقي به ، ثم جاء أبو عبادة القزاز ففاق أهل عصره في فن التوشيح " (٣)

أما عن الخصائص الأدبية في الموشح فيذكر هنا الدكتور فروخ عدة خصائص منها"عذوبة الألفاظ واستعمال بعض الألفاظ الشهيرة في المشرق نحو أكحل بمعنى الأسمر ، وهناك بعض الضعف في التركيب وفي الألفاظ نحو أنا فيه أهيم (في موشحة الأعمى التطليلى) مكان " به " غير أن الوشاحين لم يستعملوا كلمات عامية ولا تركوا الإعراب ، وقد احتفظ نفر منهم بأسلوب شرقي متين . وتكثر في الموشحات الصور الشعرية في التشابيه والاستعاراتِ البارعة إلى حد الرمز اللطيف نحو : ـ

وسلت على الأفق   يد الغرب والشرق   سيوفاً من البرق

وقد أضحك الزهرً   بكاءُ الغيوم .

أما الصناعة اللفظية فقليلة جداً في الموشح " (٤) ثم يقول بعد صفحات

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط١ دار العلم للملايين ج٤ ص ٤٣٩ .

(٢) الأدب العربى فى الأندلس د . عبدالعزيز عتيق ط٢ دار النهضة العربية ـ بيروت ص ٣٤٣ .

(٣) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٤٤٠ .

(٤) السابق نفسه ص ٤٣٨ .

قليلة " وإذا كان الموشح قد خبر شيئاً من الفتور لدى نفر من النقاد ومؤرخي الأدب فللأسباب التالية : ـ

ـ انطواؤه عامة على كثير من الهزل من حيث الأغراض وعلى شيء من التساهل من حيث الأسلوب .

ـ الضعف في التركيب اللغوي والنحوي .

ـ اللجوء في الخرجة أحياناً إلى جمل وتراكيب عامية أو عجمية (أفرنجية) .

ـ قلة البراعة في كثير من الموشحات بحيث أصبح مجموع الموشحات نازلاً في المرتبة والإجادة عن مجموع القصائد .

أما الضعف في التركيب وفي الألفاظ فقد كان ظاهراً في الموشحات كما ذكر الدكتور فروخ وبذلك كان للموشح دور في إنحدار الشعر إذ أخذ يميل إلى الضعف والركاكة من حيث المعنى والأسلوب وكثر إستعمال الألفاظ العامية أو الأعجمية في نظمه حتى كان سبباً في ظهور الزجل (الشعر الشعبي) . يقول الركابي وهكذا فأننا لا نجد في معاني الموشحات جد؛ وعمقاً . وإنما هي لطيفة حلوة على إبتذالها يستسيغها الذوق لنعومة خيالها وبريق صورها . . . وهذه المعاني التافهة يسترها طلاء خارجي مستمد مز ضروب البيان والبديع " (١) وعن لغة الموشحات يقول الركابي أيضا : "فلغ الموشحات يغلب عليها الضعف والركاكة وهي في لينها وحريتها وائتلافها د

(١) فى الأدب الأندلسى د . جودت الركابى ط بدون دارالمعارف ١٩٦٠م ص ٣٠٥ .

روح العامة قادت اللغة الشعرية إلى الركاكة وأساءت من هذه الناحية إلى اللغة العربية فأصبح الشاعر والوشاح لا يجد حرجاً في التساهل اللغوي طالما يبغي إرضاء الأذواق العامة كما يُرضي الأغاني الشعبية هذه الأذواق ، وكانت الموشحات قفزة من القفزات التى أدت إلى الشعر الشعبي العامي المسمى بالزجل " (١)

أما قوله : أما الصناعة اللفظية فقليلة جداً في الموشح " (٢) فإنني أرى إنه لم يحالفه الصواب في هذه المقولة إذ نجد أن الموشح أثقل بالصناعة اللفظية وأغرق الوشاحون فيها فأكثروا من السجع والطباق والجناس والرمز . . . وماذلك إلا ليستروا المعنى الغث الذى تنطوي عليه هذه الموشحات " وهذه المعاني التافهة يسترها طلاء خارجي مستمد من ضروب البيان والبديع إلاأن الشاعركثيراًمايغرق في استعمال هذاالطلاءفتبدو موشحته كغادة بالغت في الزينة واستعمال المساحيق فخسرت الكثير من جمالها ولكنها على الرغم من ذلك قد استطاعت أن تحافظ على رشاقتها ومشيتها المرقصه فألهتنا بهذا الفنج الذى تبديه عن البحث عن معانيها والغوص على أسرارها " (٣) فعدم احتواء الموشحات على معان جيدة كان سبباً في إغراق الوشاحين في الصناعة اللفظية لستر هذا العيب ، فعندما ركن الوشاحون إلى المعاني الضعيفة المهلهلة

---

(١) المصدر السابق (٣٠٦) .

(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ، ج٤ ط١ ، دار العلم للملايين ص ٤٣٨ .

(٣) فى الأدب الأندلسى د . جودت الركابى ص ٣٠٥ .

أرادوا شغل المتلقي عن البحث والأفكار والوقوف على أسرارها فلجئوا إلى هذه الصناعة التي كانت سببا من الآسباب التي نعزو إليها ضعف الموشح وعدم تطويره للشعر العربي إذ كنا ننتظر من الموشح هذا الفن الجديد الأندلسي الخالص أن يرقى بالشعر ويحلق به في سماء الإبداع والتألق إلا أننا نجده لم يؤد دوره في تطوير الشعر العربي كما كان منتظراً منه ـ كفن المقامات الذي تكامل على يد " بديع الزمان الهمذاني " وساعدت المقامات على تطوير الأدب العربي خاصة النثر الذى ازدهر في العصر العباسي نتيجة ظهور هذا الفن خاصة في عصور الانحطاط التى كان فيها الموشح غثاً مهلهلاً لايشتمل على معنى جيد يرمي إليه وإنما أصبح مجرد ألفاظ مرصوفه تسير جنباً إلى جنب يربط بينها إما الجناس أو الطباق أو السجع . .الذى راج سوقه لدى الوشاحين علاوة على إلزام الوشاح أن يضمن خرجته ألفاظ عامية أوأعجمية مما ساعد على ركاكة الأسلوب وضعف المعنى وتدهور هذا الفن بصفة عامة،فهو بحق لم يخدم الشعر العربي ، مع أنه كان في وسعه أن يخدمه ويساعدعلى تطويره إذا سارعلى قواعدونظم معينة أعتبر فيهاأهمية صحة المعنى وجودة الأسلوب والالتزام بطريقة النظم السليمة بالعودة إلى الأوزان العربية الأصيلة وتفهمها،ومن ثم يتم التجديدفيهابما يتناسب وطبيعـــة الموشح مع ملاحظة التجديد والتطوير إلى الأفضل والأحسن ولكن الموشح بصورته هذه انحدر بالأدب العربي في فترة كان يجب عليه فيها أن يرقى به حتى أصبح بعضه يُعتبر وصمة عار في جبين هذا الأدب خاصة عندما تولّد عنه الزجل الذى هو الشعرالعامي .

٩ ـ معالم الأدب العربي في العصر الحديث

لم يتناول الدكتور فروخ قضايا أدبية جديرة بالذكر في هذين الجزأين ما عدا وصفه لهذا العصر بالركود والجمود وهو بذلك لم يضف جديداً فالعصر العثماني كان عصر إنحطاط في الأدب ، يقول في ذلك الدكتور عمر الدسوقي : "ومن البديهي أن اللغة العربية لم تجد في هذا العصر المظلم من يشد أزرها ، ويثيب الشعراء والكتاب المحتفين بها ، لأن اللغة التركية طغت وصارت اللغة الرسمية في الدواوين وفشت على ألسنة الناس ، ولأن الحكام لا يفهمون العربية ولا يقدرونها قدرها ولا يميزون بين الجيد والغث من الكلام حتى يلجأ إليهم الشعراء مادحين " (١)

لذلك نجد أن الأدب في هذه الفترة لم يتطور أبداً بل على العكس أخذ يتقهقر ويرك في كثير من الأحيان نظراً لعدم الاهتمام بالشعراء والأدباء ولعدم سيادة اللغة العربية في هذا العصر ، فالحكام كما تعلم أتراك يتحدثون اللغة التركية فلم يهتموا أبداًباللغة العربية مما قهقرالأدب العربي في هذه الفترة

ويذكر الدكتور فروخ في حديثه عن الخصائص الأدبية لهذا العصر " أما في العصر الذى نعالجه فإن النتاج الأدبي نفسه كان قد تقهقر كثيراً أو قليلاً فأصبحت الصناعة اللفظية فيه مقصودة لنفسها من غير أن يكون في التعبير الأدبى براعة تذكر ، لقد أصبح النتاج الأدبي نفسه تكلفاً في سبيل الوقوع

(١) فى الأدب الحديث ، عمر الدسوقى ط٦ دار الفكر العربي ١٩٦٤م ص ١٣ .

على تركيب من الجناس أو على لفظ يصلح للتورية ، وكثيراً ما كان ذلك التركيب نفسه عاديا أو باردا أو نافرا أو تافها " (١) . مما لا نراه يضيف جديداً على ما قال به غيره من أمثال الأستاذ عمر الدسوقى .

فهذه محصلة طبيعية لعصرسادت فيه لغة غيرعربية،وأناس لا يقدرون العربية أو يفهمونها : " ولم يعد في إستطاعة كثير من الكتاب أن يسلموا من اللحن الفاحش ، أو يأتوا بالمفهوم المقبول ، بل عز عليهم اللفظ الجزل والأسلوب القوي فلجئوا إلى الزخرف والمحسنات يخفون بها عوار كلامهم وقد اكثروا من هذه الحلي اللفظية حتى استغلق الكلام ، وأتو بالغث السجع الذى إن حسن فيه شيء كان سرقة واغتصابا من آثار من سبقوهم من الكتاب " (٢)

فالعصر العثماني ما هو إلا امتداد لعصر المماليك الذي انحط فيه الأدب فكان ركيكاً غثاً ضعيفاً لأن الظروف التي كانت تهيمن على الحياة الأدبية في كلا العصرين متقاربة متشابهة لذلك استمر الأدب يميل إلى الركاكة والضعف إلى نهاية العصر العثماني أيضا . هذا ما ذكره في الجزء الأول . أما الجزء الثاني فلم يتطرق فيه للأدب إلا في القليل النادر ، فذكر لنا المعاني العامة التي كان يشتمل عليها أدب هذه الفترة نقلاً عن كتاب تاريخ آداب اللغة العربية لجرحي زيدان حيث قال : ومن عواقب المظالم انحطاط الآداب العامة بفساد

---

(١) معالم الأدب العربى الحديث ، وعمر فروخ ج١ ط١ دار العلم للملايين ص ٧٨ .

(٢) فى الأدب الحديث عمر الدسوقى ط٦ دار الفكر العربى ١٩٦٤م ص ١٤ .

الأخلاق ، فشاعت قلة الحياء وظهرت آثار ذلك في آداب اللغة ، فزاد الكتاب جرأة على التعابير البذيئة حتى في كتب التاريخ ، كما فعل الاسحاقى في كتابه " أخبار الأول " وظهرت كتب خاصة في الخلاعة والفحشاء وعشرة النساء وغيرها ، وكثر السفه في المجون في الكتب وفي الشعر ، وصار للحماض (الكلام الخفيف الذى فيه اشارات جنسية) باب خاص ظهر ذلك في العصر الماضي واتسع في هذا العصر ، وكسدت بضاعة الأدب على الإجمال " (١)

ولم يعقب بكلمة واحدة على ما نقله عن جرحي زيدان ولم يضف شيئاً يذكر عن الأدب في هذه الفترة ـ القرن الحادى عشر الهجري ـ وإنما أخذ يترجم لبعض الشخصيات الأدبية تحت عنوان " في اللغة والأدب " فيكون الجزء الثاني بذلك خاليا من مجهود الدكتور فروخ في إبراز معالم الأدب العربي في القرن الحادى عشر ـ ما عدا الترجمات . (٢)

---

(١) معالم الأدب فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج٢ ط١ دار العلم للملايين ص ١٥ ، ١٦ .

(٢) انظر الفصل الأول من هذا الباب ص ٢٠ ، ٢٥ .

الفصل الثالث
مقارنة بين دراسته في تاريخ الأدب وبعض الدراسات المناظرة والرأي فيها

أ ــ توطئة

ب ـ الإطار العام لهذه الدراسات

ج ـ الغرض من التأليف

د ـ خطة التأليف

هـ ــ تقسيم العصور الأدبية

و ــ التراجم

ز ـ التأريخ للأدب العربي في المغرب والأندلس

الفصل الثالث

مقارنة بين دراسته لتاريخ الأدب العربى وبعض الدراسات المناظرة والرأي فيها

أ ـــ توطئة :

لقد حظي الأدب العربي باهتمام الكثير من الأدباء والباحثين عرباً ومستشرقين فألّفوا فيه الكتب وأرخو له ودرسوه مع اختلاف وتفاوت في حجم هذه الدراسات وقد كان الدكتور عمر فروخ أحد هؤلاء الذين أهتموا بالأدب العربي وتاريخه ، وبما أني قدمت فصلين سابقين في تاريخ الأدب العربي ودراسة الدكتور عمر فروخ له أود أن أختم حديثي هذا بفصل أقارن فيه بين دراسة الدكتور عمر فروخ للأدب العربي وتاريخه وبعض الدراسات المناظرة ، وقد اخترت من الدراسات التي أرخت للأدب العربي ثلاث دراسات تعتبر شامله إذ أنها تتحدث عن تاريخ الأدب العربي من جاهليته إلى العصر الحديث مع تفاوت في الحجم فقط وهي : ـ

١ ـ تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان . +

٢ ـ تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف . *

٣ ـ تاريخ الأدب العربي أحمد حسن الزيات . **

+ ـ جرجي زيدان هو باحث ومؤرخ وأديب من أدباء العصر الحديث كان يتمتع بموهبة أدبية جمالية وخيال خصب إلى جانب جلده وصبره على تقصي وقائع التاريخ ، راجع كتابه آداب اللغة العربية .

* ـ الدكتور شوقي ضيف هو أحد الأدباء المرموقين ، ويشغل حالياً منصب أمين عام مجمع اللغة العربية ، ألف العديد من الكتب حول الأدب وتاريخه منها : سلسلة تاريخ الأدب العربي ، والفن ومذاهبه في الشعر العربي ، والفن ومذاهبه في النثر العربي والتطور والتجديد في الشعر الأوروبي ، فصول في الشعر ونقده .. راجع المجمعيون في خمسين عاماً للدكتور : محمد مهدى علام .

**أحمد حسن الزيات هو أحد الأدباء المعاصرين المرموقين الذين يعتز بهم العالم العربي وكان عضوا في مجمع اللغة العربية بالقاهرة من مؤلفاته : دفاع عن البلاغة ، وفي الرسالة في أصول الأدب ، تاريخ الأدب العربي /راجع المجمعيون في خمسين عاماً للدكتور محمد مهدي علام .

مع العلم بأن الدراسات الأخرى الكثيرة لا تخرج عن هذه الدراسات في مضمونها وتناولها أما تاريخ الأدب العربي لكارل بروكلمان فهو مختلف عن الدراسات الأخرى لأنه كما قال الدكتور عمر فروخ " جريدة احصاء لكل من كتب ولجميع ما كتب باللغة العربية "(١) وكما قال الدكتور شوقي ضيف : " ولعل أهم من أرخوا لأدبنا بالمعنى الأول (العام) بروكلمان في كتابه تاريخ الأدب العربي " ونسج على منواله جرحي زيدان في كتابه المسمى تاريخ آداب اللغة العربية ونراهما يعرضان لتاريخ الحياة الأدبية والعقلية عند العرب في نشأتها وتطورها مع الترجمة للفلاسفة والعلماء من كل صنف والشعراء والكتاب من كل نوع ، ومن غير شك يتقدم بروكلمان جرحي زيدان في هذا الصدد بسبب المادة الغنية التي يحتويها كتابه ، فقد أحصى احصاء دقيقاً أدباء العرب وعلمائهم وفلاسفتهم مع ذكر آثارهم المطبوعة والمخطوطة وما كتب عنهم قديماً وحديثاً مبيناً مناهجهم ومكانتهم في الفن أو العلم الذي حذقوه مع نبذة عن كل فن وعلم ومدى ما حدث له من تطور ورقي " (٢)

فدراسة بروكلمان نظراً لغزارة مادتها العلمية وكثرة الشخصيات التي ترجم لها لا تعتبر ضمن الدراسات التي أقصدها بالمقارنة ، فأنا أقصد تلك الكتب التي أرخت للأدب في كل عصر من العصور الأدبية ، فأعطت صورة للعصر سواء كانت هذه الصورة مفصلة مسهبة كما فعل الدكتور شوقـــي

---

(١) تاريخ الأدب العربي د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ١٨ .

(٢) العصر الجاهلى للدكتور شوقى ضيف ط٧ دار المعارف بمصر ، ص ١١ .

ضيف أو كانت مختصرة مركزة كما فعل أحمد حسن الزيات ، المهم إعطاء الصورة الواضحة للعصر ومن ثم الترجمة للشخصيات الأدبية التي كان لها نتاج أدبي سواء كان شعراً أو نثراً ، أما دراسة بروكلمان للأدب العربي فتخرج عن هذا النطاق فهو يحصي كل ما كتب باللغة العربية سواء كان ذلك أدباً أو غيره لذلك لا يمكن لي أن أدخله ضمن المقارنة التي يختص بها هذا الفصل . وسأكتفى بالمؤلفات الثلاثة الآنفة الذكر لتقارب منهجهم مع منهج الدكتور عمر فروخ ولأنها من الدراسات الكثيرة الشاملة المختصة بالتأريخ للأدب العربي .

ب ـ الإطار العام لهذه الدراسات :

إن أول ما تحتم عليّ توضيحه في مقارنتي هذه هو الشكل أو الاطار العام لهذه الدراسات ، فموسوعة الدكتور عمر فروخ مكونة من ستة أجزاء مردفة بجزأين آخرين تحت عنوان معالم الأدب العربي في العصرالحديث"أما جرجي زيدان فدراسته مكونه من أربعة أجزاء كل جزأين في مجلد واحد " (١) يؤرخ فيها للأدب العربي من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث ، ودراسة د . شوقي ضيف سلسلة مكونة من سبعة أجزاء كل جزء في كتاب على حدة بدءا بالعصر الجاهلي إلى الفتح العثماني سنة ٩٢٣هـ ، وقد كانت الأجزاء الثلاثة الأخيرة بعنوان : عصر الدول والإمارات ، الجزء الأول منها خص فيه بالدراسة الأدبية (الجزيرة العربية وإيران والعراق) والجزء الثاني (مصر والشام) ، والجزء الثالث (المغرب والأندلس) (٢)

وأخيرا كتاب أحمد حسن الزيات الذي يختلف عن الدراسات السابقة باختصاره فهو يؤرخ للأدب العربي في مجلد واحد من العصر الجاهلي إلى العصر الحديث .

* * * * * *

(١) تاريخ آداب اللغة العربية / تأليف جرجي زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان سنة ١٩٨٣م

(٢) سلسلة تاريخ الأدب العربى " عصر الدول والامارات " تأليف الدكتور : شوقى ضيف دار المعارف بمصر .

ج ــ الغرض من التأليف :

يذكر الدكتور عمر فروخ الغرض من تأليف موسوعته في تاريخ الأدب العربي حيث يقول : " هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي يقرب الموضوع للدراسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين " (١)

فالأدب العربي كما يعرف الجميع أدب ثري رفيع يعتمد على الجانب الوجداني في أكثره فأراد الدكتور عمر فروخ أن يبسط هذا الأدب عن طريق التأريخ له ، كما إنه يذكر حافزين اثنين شجعاه على إخراج هذا الكتاب " لقد حفزني إلى وضع هذا الكتاب حافزان أساسيان أولهما وأهمهما أن يكون فيه منهاج عربي خالص لا يأخذ من المنهاج الفرنجي إلا ما نقص من المنهاج العربي . . . وثاني الحافزين أني تعمدت الإبحار في استنطاق المصادر : يضم هذا الجزء الأول أكثر من مائة وسبعين ترجمة للشعراء والأدباء سوى المقدمات للأعصر وللفنون ، فلو أنني أطلقت لقلمي العنان في تقليب الألفاظ على وجوهها المختلفة لوصلت إلى الصفحة الأولى بعد الألف قبل أن أغادر الشعراء الأوائل في الجاهلية " (٢)

فكأنما أراد الدكتور عمر فروخ أن يعطي مسحاً شاملاً لشعراء وأدباء كل عصر من العصور الأدبية تفصيل أو إسهاب مع إيضاح للحياة الاجتماعية

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ص ١٧ .
(٢) السابق نفسه ص ١٧ ، ١٨ .

والسياسية السائدة في كل عصر أدبي مع الإحالة إلى المصادر والمراجع اللازمة لمن يريد الاستزادة حول أي شخصية أدبية ، فكأنما موسوعته فهرساً يوضح الشخصيات الأدبية والتي كان لها نتاج أدبي ، وهذا ما لمسته عندما رأيت أعداد الترجمات التى خصها الدكتور عمر فروخ في موسوعته هذه ، فكما ذكرت في الفصل الأول أن عدد الترجمات تبلغ (١٤٦٦) ستاً وستين وأربعمائة وألف ترجمة ، والجزء الأول وحده يشتمل على مائة وثلاث وتسعين ترجمة فهذا ما يؤكد بأن الدكتور عمر فروخ كان موجزاً في ترجماته .

أما الغرض من التأليف في تاريخ الأدب العربي عند جرجي زيدان فيقول في ذلك : نعني بتاريخ آداب اللغة العربية تاريخ ما تحويه من العلوم والآداب ، وما تقلبت عليه في العصور المختلفه أو هو تاريخ ثمار عقول أبنائها ونتائج قرائحهم وهاك أهم أغراضنا فيه : ـ

١ ـ بيان منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية من حيث الرقي الاجتماعي والعقلي .

٢ ـ تاريخ ما تقلبت عليه عقولهم وقرائحهم ، وما كان من تأثير الانقلابات السياسية على آدابهم باختلاف الدول والعصور .

٣ ـ تاريخ كل علم من علومهم على اختلاف ادواره من تكونه ونشوئه ، إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار .

٤ ـ تراجم رجال العلم والأدب مع الإشارة إلى المآخذ التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد التوسع في تلك التراجم .

٥ ـ وصف الكتب التي ظهرت في العربية باعتبار موضوعاتها ، وكيف تسلسلت بعضها من بعض وبيان مميزاتها من حيث حاجة القراء إليها ووجه الاستفادة منها .

٦ ـ لا نهتم من هذه الكتب إلا بما لا يزال باقياً منها ، ويمكن الحصول عليه ، فإذا كان مطبوعاً ذكرنا محل طبعه وسنته ، وإذا كان لم يُطبع أشرنا إلى المكاتب الكبرى التى يوجد فيها .

وبالجملة فإن غرضنا الرئيسي أن يكون لهذا الكتاب فائدة علميه فضلا عن الفائدة النظرية ، بحيث سهّل على طلاب المطالعة معرفة الكتب الموجوده ومحل وجودها وموضوع كل منها وقيمته بالنسبة إلى سواه من نوعه ، فهو أشبه بدائرة معارف تشتمل تاريخ قرائح الأمة العربية وعقولها وتراجم علمائها وأدبائها وشعرائها ومن عاصرهم من كبار الرجال ، ووصف المؤلفات العربية على اختلاف موضوعاتها " (١)

ومن خلال قراءاتي لغرض المؤلفين ـ عمر فروخ وجرجي زيدان ـ من تأليف كتابيهما وجدت أن لكل منهما غرضه السامي وإن اختلفا في الطريقة ولكن الفائدة واحدة ، فالدكتور عمر فروخ أراد أن يستغني الدارس والباحث

(١) تاريخ آداب اللغة العربية/جرجى زيان منشورات دار مكتبة الحياة ، بيروت ـ لبنان سنة ١٩٨٣م ص ٨ ـ ٩

العربي عن المنهج الفرنجي إلى جانب عرض أكبر قدر ممكن من الشخصيات الأدبية على مر العصور وجرجي زيدان أراد أن يبين منزلة العرب بين سائر الأمم الراقية في النواحي العقلية والاجتماعية ويساعد الدارسين والباحثين أيضا لمعرفة كنوز العقلية العربية .

أما الدكتور شوقي ضيف وأحمد حسن الزيات لم يذكرا غرضاً من دراستهما لتاريخ الأدب العربي وإن كان الغرض موجوداً وهو إلقاء الضوء وبسط ذخائر اللغة العربية وإفادة النشىء والدارسين والباحثين في معرفة تراثهم الإسلامي والعربي ، وما أقصده بقولي لم يذكرا غرضاً أي لم يحددا الغرض الذي وضعا من أجله هذه الدراسة في مقدمة بحثيهما كما فعل الدكتور عمر فروخ وجرجي زيدان .

* * * * * *

د ـ خطة التأليف :

أما خطة كل منهما في التأليف فكما عرفنا أن الدكتور عمر فروخ كان يقدم لكل عصر من العصور الأدبية فيعطي صوره للحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية والأدبية ومن ثم يردف ذلك بأدباء وشعراء العصر منسقاً الترجمات بحسب سني الوفاة فيذكر ترجمة لحياة الأديب ومن ثم يذكر خصائصه الأدبيه فشيئاً من نتاجه وأخيراً يحيل إلى المراجع والمصادر التى يمكن العودة إليها للاستزادة .

أما جرجي زيدان فإنه يذكر تاريخ كل علم من علوم العرب منذ نشوئه إلى نموه ونضجه وتشعبه وانحلاله حسب العصور والأدوار ويعطي تراجماً لرجال العلم والأدب على حد سواء ومن ثم يذكر المراجع التي يمكن الرجوع إليها لمن يريد الاستزادة والتوسع ، وفي هذه الناحية يوافقه الدكتور عمر فروخ أي في الإحالة إلى المراجع ، ويزيد جرجي زيدان على الدكتور عمر فروخ في وصفه للكتب التى ظهرت في العربية بحسب موضوعاتها فهو يصف تلك الكتب وكيف ظهرت وكيف تسلسلت بعضها من بعض ومع ذكر مميزاتها وأوجه الاستفادة منها " (١)

أما الدكتور شوقي ضيف فقد كانت خطته أن يقدم عرضاً تاريخياً لأهم الأحداث والأحوال السياسية والاجتماعية والدينية والثقافية التى واكبت

---

(١) راجع مقدمة تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان ، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م .

الفترة التى يؤرخ لها أدبياً ثم بعد ذلك يترجم لأعلام الأدباء والشعراء بحيث لا يزيد عدد الذين يترجم لهم عن عشرة أو اثنتا عشرة شخصية (١) .

كذلك كان أحمد حسن الزيات في تأليفه ، فقد كان يلمح للحياة السياسية والاجتماعية والثقافية لكل عصر ثم يردف ذلك بالترجمات وكل ذلك بشىء من الاختصار . (٢)

---

(١) راجع سلسلة تاريخ الأدب العربى ، وعصر دول الامارات للدكتور شوقى ضيف .

(٢) راجع تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات .

هـ ـ تقسيم العصور الأدبية :

اتفق المؤلفون الذين تتم مقارنتي لأعمالهم في تاريخ الأدب العربي تقريباً على تحديد كل من العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام والعصر الأموي ، أما العصر العباسي فقد كان موضع اختلاف مثلهم في ذلك مثل معظم الدراسات التى أرخت للأدب العربي ، فقد اتفقوا على أن العصر الأموي ينتهى بنهاية الخلافة الأموية سنة ١٣٢هـ وقيام الدولة العباسية يعني بدءاً للعصر العباسي فالعصر العباسي لديهم جميعاً يبدأ سنة ١٣٢ لكن الفترات التى مر بها العصر العباسي هي التي كانت موضع الاختلاف ولكل منهم وجهة نظره التي يثبتها بالحجة والبرهان .

فالدكتور عمر فروخ يجعل العصر العباسي يمتد من سنة ١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ أي من سقوط الدولة الأموية إلى قيام الدولة العثمانية فهذه الحقبة الطويلة من الزمن يؤرخ لها تحت عنوان الأدب في العصر العباسي باعتبار أن الخليفة العباسي لازال يحتل منصباً وإن كان ذلك المنصب رمزياً،فهويقول : " أما في هذا الكتاب فسنجعل العصر العباسي يتصل إلى السنة التى فتح فيها السلطان سليم الأول العثماني مصر (٩٢٣هـ ـ ١٥١٧م) وقضى على المنصب الرمزي الذي كان العباسيون قد احتفظوا به في مصر بعد سقوط دولتهم في العراق " (١) ومن ثم يوضح كيف قسم هذه الفترة التاريخية الطويلة من الناحية السياسية والأدبية فقال : " هذه الحقبه الطويلة من سنة

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٢ ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٤ .

١٣٢ إلى سنة ٩٢٣ للهجرة تنقسم من الناحية السياسية والأدبية أيضا فترات متفاوتة في الطول وفي الأهمية ، فإذا نحن اعتبرنا تلك الفترات وما كان فيها من الدول التى اتسع نفوذها في أقسام مختلفة من بلاد الخلافة الاسلامية وجدناها التالية : ـ (١)

الفترة العباسية الأصلية (نفوذ فارسي ثم تركي)	١٣٢ ـ ٢٣٤هـ
عصر الدويلات ودولة بني بوبه (فارسية شعبيه)	٢٣٢ ـ ٤٤٠هـ
دولة السلاجقة (تركية سنية)	٤٢٩ ـ ٥٧٩هـ
الأتابكة آل زنكي (من السلاجقه)	٥١٦ ـ ٦٣٩هـ
الدولة الأيوبية	٥٥٥ ـ ٧٣٢هـ
دولتي المماليك : المماليك البحرية	٦٤٨ ـ ٧٨٤هـ
المماليك البرجيه	٧٨٤ ـ ٩٢٣هـ

أما جرجي زيدان فإنه يجعل العصر العباسي يمتد من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ ويجعل العصر العباسي هذا يمر بأربعة أدوار " ومدة العصر العباسي أو الدولة العباسية في بغداد خمسة قرون وبعض القرن من تأسيس الدولة العباسية سنة ١٣٢ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ وقد تقلبت آداب اللغة العربية في أثنائها بتقلب الدول وتغلب الأمم على ما اقتضته الانقلابات

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٢ ط٤ دار العلم للملايين ص ٣٤ .

السياسية أو الاجتماعية ، وقد تدبرنا ذلك باعتبار القرون أو العصور فوجدنا لكل قرن تقريباً من القرون الثلاثة الأولى خصائص تختلف عما لسواه باختلاف أحوال الاجتماع أو السياسة أو باختلاف الدول التى أفضت الأمور إليها ، أما الأخيران فيشتركان في أحوالهما فقسمنا العصر العباسي إلى أربعة أدوار أو عصور ، وهي : ـ

١ ـ الدور أو العصر الأول :

من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢هـ إلى أول خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ ونسميه العصر العباسي الأول .

٢ ـ العصر العباسي الثاني :

من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢هـ إلى استقرار الدولة البويهية في بغداد سنة ٣٣٤هـ

٣ ـ العصر العباسي الثالث :

من استقرار الدولة البويهية سنة ٣٣٤هـ إلى دخول السلاجقه بغداد سنة ٤٤٧هـ

٤ ـ العصر الرابع :

من دخول السلاجقه بغداد إلى سقوطها في أيدي التتر سنة ٦٥٦هـ .

أما الفترة التي تلي سقوط بغداد في يد التتر يؤرخ لها بعنوان " العصر المغولي " يبدأ هذا العصر بسقوط بغداد في قبضة المغول على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ وينتهي بدخول العثمانيين مصر على يد السلطان سليم الفاتح

سنة ٩٢٣هـ " (١)

فالفترة التي كانت من سقوط بغداد سنة ٦٥٦هـ إلى قيام الدولة العثمانية يؤرخ لها جرجي زيدان بعنوان العصر المغولي باعتبار أن المغول كانوا أكثر سيادة وإن كانت السلطة ليست لهم وحدهم بل نجدها للعرب والترك أيضا ، ولكن بما أن المساحة الأكبر من البلاد الإسلامية في يد المغول سمى جرجي زيدان هذا العصر بالعصر المغولي .

كما نجد أن الدكتور شوقي ضيف يجعل العصر العباسي يمتد من سقوط الدولة الأموية سنة ١٣٢هـ إلى سقوط بغداد على يد هولاكو سنة ٦٥٦هـ ويجعله يمر بفترتين أو عصرين العصر العباسي الأول ، ويمتد من سنة ١٣٢ إلى نهاية خلافة الواثق ابن المعتصم سنة٢٣٢والعصر الثاني يبدأ بخلافة : المتوكل وسيطرة العنصر التركي وينتهي بدخول البويهين الفرس بغداد وزوال تسلط الترك على مقاليد الحكم سنة ٣٣٤هـ .

ومن هذه الفترة يؤرخ للأدب العربي تحت عنوان : عصر الدول والامارات ويقسمه إلى ثلاثة أجزاء :

الجزء الأول : خصصه للجزيرة العربية والعراق وإيران .

الجزء الثاني : مصر والشام .

الجزء الثالث : للمغرب والأندلس .

---

(١) تاريخ آداب اللغة العربية لجرجى زيدان (مصدر سابق) ص ١١٦ .

أماأحمد حسن الزيات فيجعل العصر العباسي عصراً واحداً حيث يقول : " العصر العباسي ، ومبدؤه قيام دولتهم ومنتهاه سقوط بغداد في أيدي التتار سنة ٦٥٦هـ " (٢) ويسمي الفترة التي تلي سقوط بغداد في أيدي التتر العصر التركي فيقول : " العصر التركي يبتدىء بسقوط بغداد وينتهي عند النهضة الحديثة سنة ١٢٢٠هـ " (٣)

ومن التقسيمات السابقة للعصور الأدبيه وجدت أن هناك نقاط اختلاف كثيرة بين هؤلاء الدارسين في تحديد نهاية أو سقوط الدولة العباسية وتقسيم فترات العصر العباسي ولكل وجهة نظر في ذلك ، فالدكتور عمر فروخ يجعل العصر العباسي ممتداً إلى سنة ٩٢٣ أي إلى قيام الدولة العثمانية ، وحجته في ذلك بقاء الاسم أو المنصب الرمزى للخليفة ومن ثم يقسم العصر العباسي إلى فترات متعددة معتمداً في ذلك على تغير الظروف والأحوال السياسية . فالفترة الأولى كانت فيها الدولة العباسية تحت النفوذ الفارسي والتركي . أما الفترة الثانية فكان النفوذ فيها للفرس الشيعيين والفترة التي تليها بدأها بقيام دولة السلاجقة ثم الأتابكة . ثم فترة الدولة الأيوبية وأخيراً دولتي المماليك البحرية والبرجية ، فكل هذه الدويلات التى قامت كانت تابعة للدولة العباسية في رأي الدكتور عمر فروخ .

(١ ، ٢ ، ٣) تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ص ٥ .

(رقم واحد فى الهامش غير محدد فى الصفحة)

أما جرجي زيدان فقد كان تقسيمه مختلفاً تماماً وله وجهة نظره في ذلك إذ جعل العصر العباسي يمر بأربعة أدوار ، فالدور الأول جعله من ظهور الدولة العباسية سنة ١٣٢ إلى بدء خلافة المتوكل الذى أزال النفوذ الفارسي وأبدله بالنفوذ التركي والدور الثاني من خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ إلى استقرار الدوله البويهيه في بغداد سنة ٣٣٤ أي ينتهي هذا الدور ببسط البويهين نفوذهم على الخلافة العباسية ، أما الدور الثالث فيبدأ من استقرار البويهين إلى دخول السلاجقه بغداد سنة ٤٤٧ وينتهي هذا الدور بانتهاء نفوذ البويهين وبسط نفوذ السلاجقة على الخلافة إلى سقوطها في أيدي التتر سنة ٦٥٦ .

ومما سبق نرى أن انتهاء كل فترة من العصر العباسي عند جرجي زيدان ما تكون إلا ببسط نفوذ الأتراك أو الفرس وقهر النفوذ الآخر ، أما بعد سقوط بغداد في يد التتر فيسمي ذلك العصر باسم العصر المغولي باعتبار أن المغول كانوا يسيطرون على معظم رقعة الدولة الإسلامية .

أما الدكتور شوقي ضيف فيجعل العصر العباسي يمر بفترتين أو عصرين فقط هما العصر العباسي الأول من سنة ١٣٢ إلى سنة ٢٣٢ وينتهي العصر بنهاية خلافة الواثق وزوال النفوذ الفارسي ، ويبدأ العصر الثاني ببداية خلافة المتوكل سنة ٢٣٢ وبداية بسط النفوذ التركي على الدولة وينتهي أيضا بزوال هذا النفوذ سنة ٣٣٤هـ .

فنرى أن الدكتور شوقي ضيف اعتمد كغيره من الدارسين ـ على الأحوال السياسية للدولة في تقسيم عصورها ـ فنراه بعد هذا التاريخ ٣٣٤هـ يؤرخ للأدب تحت عنوان عصر الدول والإمارات في مصر والشام ، والعــراق والجزيرة العربية وإيران ، وأخيراً وجدت أن تقسيم أحمد حسن الزيات تقسيماً مختصراً جامعاً فهو يجعل العصر العباسي يبدأ بقيام الدولة العباسية سنة ١٣٢ وينتهي بسقوط بغداد في يد التتر (المغول) سنة ٦٥٦ فهذا التقسيم تقسيم عام اعتمد فيه المؤلف على قيام الدولة كبداية لها ومن ثم سقوط العاصمة كنهاية لها فلم يجعله يمر بأدوار مختلفة أو أعصر متعددة ، وعلى كل فإن التقسيم الذى أرتضيه وأراه أكثر دقة هو ما ذكرته فى الفصل الأول من الباب الثانى في بحثي هذا . (١)

* * * * * *

---

(١) انظر ص ٩٩ إلى ١٠٣ من هذا البحث .

ـــ التراجم :

يترجم الباحثون الذين خصصتهم بالمقارنة في دراستي هذه للكثير من أدباء وعلماء الأعصر الأدبية العربية وإن كان هناك تفاوت في عدد هذه الترجمات وفي حجمها أيضا فنرى أن الدكتور عمر فروخ يكثر في عدد الترجمات وكأنه يريد أن يحصي عدد الشخصيات الأدبية ويضمها في دراسته لتاريخ الأدب العربي فكانت ترجماته في الغالب مختصرة لا تتجاوز الصفحة أو نصف الصفحة كترجمته في الجزء الأول (الأدب القديم) لقبيصة ابن نعيم ، وأوس بن حارثه ، وقس بن ساعدة الأيادي ، وصخر بن عمرو الشريد ، وحاجب بن زرارة وغيرهم كثير ، فهذه ترجمات مختصره جداً وكأني بالمؤلف يريد أن يكوّن فهرساً لأدباء وعلماء الأعصر الأدبية ويعطي لمحة عن كل منهم ومن يريد الاستزادة حول أى شخصية فما عليه إلا أن يعود إلى المصادر والمراجع التي ذيّل بها المؤلف كل شخصية .

والمنهج نفسه نراه لدى جرجي زيدان حيث كان يترجم لكل شخصية أدبية أو علمية (في التاريخ أو الجغرافيا أو الفلك أو الرياضيات أو الطب) فدراسته لم تقتصر على الأدباء فقط وهذا ما ذكرته عند حديثي عن أغراض الدارسين من دراستهم لتاريخ الأدب العربي فهو يعرض لجميع آداب اللغة العربية على مر العصور بدءاً بالعصر الجاهلي وختاماً بالعصر الحديث أو بداية العصر الحديث لذلك نرى هذه الترجمات مختصرة ومن ثم مذيلة بالمصادر والمراجع التي يمكن أن يعود إليها من يريد الاستزادة .

أما الدكتور شوقي ضيف فترجمته للأدباء مختلفة تماماً عن الدكتور عمر فروخ وجرجي زيدان ، فهو يترجم لأعلام الشعراء والأدباء فقط في كل عصر يؤرخ له فنجده في تأريخه للعصر الجاهلي يترجم لأمرىء القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى والأعشى ، لكن هذه الترجمات لم تكن مختصرة كما فعل الدكتور عمر فروخ وجرجي زيدان وإنما كانت وافية واضحة طويلة نوعاً ما ، وإذا نظرنا لهذه التراجم وجدناها لأعلام الشعراء في العصر الجاهلي ، وكذلك عندما أرخ للعصر الاسلامي ترجم لحسان بن ثابت ، وكعب بن زهير ، ولبيد بن أبي ربيعه ، والحطيئة ، والنابغة الجعدى وكذلك بالنسبة لعصر بني أمية والعصر العباسي ، وعصر الدول والامارات فهو يكتفي بالترجمة المسهبة لأعلام الأدب شعراً ونثراً في العصور التى أرخ لها فكأنه ينتقي أعلام الأدباء الذين كان لهم الدور الأكبر في سير الحركة الأدبية في عصورهم والذين يمثلون صورة واضحة للحياة الأدبية والاجتماعية والسياسية والدينية في عصورهم ، ولم يردف الدكتور شوقي ضيف ترجماته بالمصادروالمراجع التي يمكن العودة إليهالمن يريد الاستزادة فمنهجه في الترجمة مختلف عن منهج الدكتور فروخ وجرجي زيدان .

أما أحمد حسن الزيات فدراسته لتاريخ الأدب العربي كلها مختصرة فكيف بالترجمات ؟ ! إن الترجمة للأدباء والعلماء في دراسته مختصرة أيضا فهو يترجم لأعلام الأدباء والعلماء في كل عصر من العصور الأدبية دون تفنيد أو إسهاب فنراه يترجم عند تأريخه للعصر الجاهلي لامرىء القيس ، والنابغة الذبياني ، وزهير بن أبي سلمى ، والأعشى ، وعنتره بن شداد ، وطرفة بن

العبد ، وعمر بن كلثوم ، والحارث بن حلزة ، ولبيد بن أبي ربيعة ، وحاتم الطائي ، وأميه بن أبي الصلت ، كما يترجم للشعراء المخضرمين مثل كعب ابن زهير، والخنساء، وحسان بن ثابت ،والحطيئه ، فهذه تراجم للأعلام فقط وتراجم مختصره اختصاراً شديداً لكن هذا الاختصار لا يحط من شأنها أو يقلل من قيمتها فهي دراسة علمية مفيدة في تعريف الطالب والباحث معالم الأدب العربي في عصوره المختلفه فهي تصنع الاطار العام لهـــذا الأدب والخطوط العريضه وأحواله على مر العصور دون اختصار مخل أو حشو ممل ، لكنها لا تفيد من يريد الوقوف على الإحاطه بأدب وأدباء عصر من العصور الأدبية ، على عكس دراسة الدكتور شوقي ضيف الذي بذل جل جهده فيها لإيضاح صورة العصر دينياً واجتماعياً وسياسياً فالجزء الأكبر من الدراسة لدى الدكتور شوقي ضيف يدور حول الأحوال السياسية المواكبة للعصر الذى يؤرخ له أدبياً والثورات المناوئه للدولة والأحزاب التي ظهرت سواء في العصر الأموي أو العباسي ، والحياة الاجتماعية التي كانت سائدة في كل عصر من العصور والفرق والأحزاب الدينية التي ظهرت وأسباب ظهورها وانتشارها ، والحياة العلمية والثقافية ومدى أزدهارها (١) فهو يسهب في حديثه عن الصورة العامة للعصر ، وإن كان الدكتور عمر فروخ وجرجي زيدان يطيلان بعض الشيء في إيضاح الصورة العامة للعصر الذي يؤرخان له لكن لأن دراستهما أوسع وأشمل لم يقدما الحوادث الدقيقة لكل عصر كما فعل الدكتور شوقي ضيف .

(١) انظر سلسلة تاريخ الأدب العربي لشوقي ضيف العصر الإسلامي والعصر العباسي .

ز ـ التأريخ للأدب العربي في المغرب والأندلس :

انفرد الدكتور عمر فروخ بالدراسة الواسعة للأدب العربي في المغرب فمنح هذا الأدب أجزاء ثلاثة من دراسته لتأريخ الأدب العربي بينما يسكت جرجي زيدان عن هذاالأدب ولم يؤرخ له في دراسته لتاريخ آداب اللغة العربية اطلاقاً ، أما الدكتور شوقي ضيف ، فقد تحدث عن الأدب في المغرب والاندلس في كتابه : عصر الدول والامارات في (المغرب والأندلس) وقد أحاط بجوانب هذا الأدب على طريقته المعتادة من إسهاب في سرد الحوادث التاريخية والظروف الاجتماعية ومن ثم الترجمة لبعض الشعراء والأدباء وقد كان هذا كله في جزء واحد .

وأما أحمد حسن الزيات فإنه يؤرخ للأدب في الأندلس ، فلم يغفله في دراسته المختصرة للأدب العربي فنراه يلمح للحياة السياسية والاجتماعية والحضارية في الأندلس وتأثر الشعر بهذه الحضارة ومدى انتشار اللغة العربية في أسبانيا وأثر الشعر العربي في الشعر الفرنجي (١) ثم يعطي نماذجاً من الشعر الأندلسي وأخيراً يترجم لأعلام أدباء الأندلس ، فترجم لابن عبدربه ، وبن هانىء الأندلسي ، وبن زيدون ، وبن حمديس الصقلي وابن خفاجه الأندلسي ، ولسان الدين بن الخطيب ، وإن كانت هذا الترجمات مختصره كما تعودنا منه في هذه الدراسة .

وبذلك يكون الدكتور عمر فروخ هو الدارس الوحيد من الدارسين الذين

(١) انظر تاريخ الأدب العربى لأحمد حسن الزيات ط٢٥ من ص ٣٠٢ ـ ٣٤٥ .

خصصتهم بالمقارنة مع دراسته ـ الذي استطاع أن يعطي صورة واضحة للقارىء عن الأدب في المغرب والأندلس إذ إن جرجي زيدان لم يذكر هذا الأدب في دراسته ، أما أحمد حسن الزيات فإنه تطرق للأدب في الأندلس لكن باختصاره المعهود في تاريخ الأدب العربي أما الأدب في بلاد المغرب فلم يتحدث عنه ، والدكتور عمر فروخ يتناول هذا الأدب تناولا واسعاً مستفيضاً من خلال الأجزاء الثلاثة التى خصه بها " هذا هو الجزء الرابع من سلسلة " تاريخ الأدب العربي " إنه يبدأ من تاريخ الأدب العربي في المغرب (الشمال الغربي من قارة أفريقيه) والأندلس (الجنوبي الغربي من قارة أوروبه) ثم هو يتناول الحقبة الممتدة من الفتح الإسلامي (القرن الأول للهجرة ـ أواخر القرن السابع للميلاد) إلى انتهاء عصر دول ملوك الطوائف في الأندلس ثم يستمر إلى منتهى القرن الخامس للهجرة (مطلع القرن الثاني عشر للميلاد) وذلك لأن نفراً من الذين شهدوا عصر ملوك الطوائف طالت حياتهم بعد ذلك قليلاً أو كثيراً ، ثم يلي هذا الجزء ، الجزء الخامس ، ويتناول تاريخ الأدب في عصر المرابطين والموحدين في القرن السادس وبعض القرن السابع للهجرة إلى نحو سنة ٦٤٠ (١٢٤٢م) ، الجزء السادس ويتناول تاريخ الأدب في عصر بني نصر وينتهي بالفتح العثماني في المغرب (الجزائر) نحو ٩٢٣ للهجرة (١٥٢٥م) " (١)فالجزء الرابع ، والخامس ، والسادس من سلسلة تاريخ الأدب العربي للدكتور عمر فروخ يمنحها للأدب في المغرب والأندلس ، فهي

(١) تاريخ الأدب العربى للدكتور عمر فروخ ج٤ ط١ دار العلم للملايين ص ٥ .

دراسة واسعة شاملة يبدأها من القرن الأول الهجري وينهيها بالفتح العثماني ، فيعتبر بذلك من الدارسين القلائل الذي أسهب هذا الاسهاب في إيضاح وبسط الأدب العربي في المغرب والأندلس وإني صراحة لا أعلم أن دارسا آخرا غيره أرخ للأدب العربي في المغرب والأندلس في ثلاثة أجزاء كبيرة تقارب صفحات كل جزء منها الألف صفحة ، أما خطته ومنهجه في هذه الدراسة فهي نفسها التى أرخ على أساسها للأدب العربي في المشرق .

وفي ختام مقارنتي هذه لا يفوتني أن أذكر أفضل هذه الدراسات للأدب العربي من حيث السعة والشمولية والفائدة ، ففى رأيي ـ إن دراسة الدكتور عمر فروخ هي أشمل وأوسع هذه الدراسات إذ أنها أرخت للأدب العربي تأريخاً شاملاً منذ الجاهلية حتى عصرنا الحديث في ثمانية أجزاء ضخمة فأعطت صورة واضحة لكل عصر من العصور وترجمت لمعظم الأدباء على مر العصور فبلغ عدد هذه التراجم ستاً وستين وأربعمائة وألف ترجمة مابين شاعر وأديب وعالم وفقيه ، ولا يقلل من قيمة هذه التراجم الاختصار الذي تميزت به إذ أن كل ترجمة كانت تُردف بقائمة بأسماء المصادر والمراجع التي يمكن للدارس أو الباحث أن يعود إليها متى أراد . إلى جانب أن هذه الدراسة تعتبر فريدة في تناولها الأدب العربي في المغرب والأندلس والتأريخ له في أجزاء ثلاثه ، ولذلك يمكن لي أن أعتبر هذه السلسلة ـ سلسلة تاريخ الأدب العربي لعمر فروخ ـ موسوعة علمية أدبية تغني الدارس والباحث العربي عن كثير من الدراسات المناظره .

الباب الثالث

دراساته الأدبية والنقدية



الفصل الأول

دراسته الأدبية والنقدية
لبعض الشخصيات الأدبية

أ ـ تمهيد

ب ـ الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي

ج ـ بعض الشخصيات التي أفردها بالدراسة : ـ

١ ـ عمر بن أبي ربيعة

٢ ـ أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله

٣ ـ أبو فراس فارس بني حمدان وشاعرهم

٤ ـ شاعران معاصران : ابراهيم طوقان
وأبو القاسم الشابي

أولاً : ظروفهما

ثانيا : الخصائص الفنية لأعمالهما

أ ـ خصائص أعمال إبراهيم طوقان الفنية

ب ـ خصائص أعمال الشابي الفنية

ج ـ كتاب الشابي : الخيال الشعري عند العرب



الفصل الأول

دراسته الأدبية والنقدية لبعض الشخصيات الأدبية

أ ـــ تمهيد :

بما أن كتاب أو موسوعة تاريخ الأدب العربي يضم عدداً كبيراً من الأدباء والشعراء المترجم لهم ، إذ بلغ عددهم (١٤٦٦) ألف وأربعمائة وست وستين شخصية * ما بين شاعر وأديب إلى جانب أن الدكتور عمر فروخ قد أفرد شخصيات عديدة بدراسات مستقلة لكل شخصية ، فإنني فضلت أن أقسم دراسة هذا الفصل إلى قسمين : ـ

القسم الأول : أتناول فيه بالعرض والتحليل الأدباء والشعراء الذين ترجم لهم في تاريخ الأدب العربي ، ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث

والقسم الثاني : يتجه إلى النظر في دراسته للأدباء والشعراء الذين أفردهم بمؤلفات مستقلة كدراسته لبعض الشعراء أمثال : عمر بن أبي ربيعة وأبي نواس وأبي تمام ، وأبي فراس الحمداني . . . . وغيرهم .

---

* انظر الفصل الأول من الباب الثاني ص ٨٩ .

ب ــ الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب العربي :

يترجم الدكتور عمر فروخ في كتاب تاريخ الأدب العربي وكتاب معالم الأدب العربي في العصر الحديث (١٤٦٦) شخصية ما بين أديب وشاعر ، ففي الجزء الأول الذي يؤرخ فيه لأدباء وشعراء الأدب القديم (من مطلع الجاهلية إلى سقوط الدولة الأموية) يترجم لمائة وثلاث وسبعين شخصية وفي الجزء الثاني يؤرخ فيه للأعصر العباسية إلى آخر القرن الرابع الهجري يترجم لمائة وسبع وتسعين شخصية .

أما الجزء الثالث فقد كان وافراً بالتراجم الأدبية نظراً لطول الفترة الزمنية التي يدرسها في هذا الجزء (من مطلع القرن الخامس الهجري إلى الفتح العثماني) فنراه يترجم لثلاثمائة وتسع وعشرين شخصية ، وهذا كله بالنسبة لأدباء المشرق ، أما أدباء المغرب والأندلس فإنه يترجم لهم في الأجزاء الثلاثة الباقية ففي الجزء الرابع الذي يؤرخ فيه للأدب في المغرب والأندلس منذ الفتح الإسلامي إلى آخر ملوك الطوائف يترجم لمائة وست وتسعين شخصية .

وفي الجزء الخامس والذي يؤرخ فيه للأدب في المغرب والأندلس في عصر المرابطين والموحدين فإنه يترجم لمائة وأربع وخمسين شخصية .

وفي الجزء السادس والذي يؤرخ فيه للأدب في المغرب والأندلس من أوائل القرن السابع إلى أواسط القرن العاشر للهجرة يترجم لمائة وإحدى وأربعين شخصية .

أما كتابه معالم الأدب العربي في العصر الحديث والذى يعتبر تتمة أو استمرار لموسوعته تاريخ الأدب العربي ، فإنه يترجم في الجزء الأول منه لمائة وخمس من الشخصيات من أدباء وشعراء القرن العاشر الهجري .

وفي الجزء الثاني يترجم لمائه وإحدى وأربعين شخصية من أدباء وشعراء القرن الحادي عشر الهجري .

إن الدكتور عمر فروخ يترجم لهذه الشخصيات الكثيرة مع تفاوت في حجم هذه الترجمات بين الطول والقصر والشمول أو النظرة العامة وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب ـ خصائصه ـ المختار من آثاره ـ المصادر والمراجع لدراسته .

"أما حياة صاحب الترجمة فقد حرصتُ فيها على أن تكون جامعة ، لأن لأحداث حياة الإنسان أثراً ظاهراً في سلوكه ونتاجه على أنني أدرك أنه لم يتأتَ لي أن تكون جميع التراجم في نسقها التاريخي على مستوى واحد من البسط أو التحقيق .

وأما القسم الثاني من الترجمة ففيه خصائص الأديب الفنية والأدبية وفنونه واستعراض آثاره ، سواء أكانت مطبوعة أو غير مطبوعة ، بقدر الإمكان طبعاً ، ولقد كان حرصي هنا على أن ألزم رأي النقاد القدماء ، لأنهم أقرب إلى زمن الأدباء عادة ولأنهم ـ وهذا هو الأمر المفروض ـ يجب أن يكونوا قد عرفوا آثار هؤلاء أكثر مما نعرف نحن اليوم . . وتأتي المختارات من آثار الأديب في القسم الثالث ، ولقد اتخذت في الاختيار ثلاثة أسس :

جودة المختار وتمثيله لآثار الأديب المتنوعة ثم شهرة ذلك المختار . ومع أن المألوف أن نُولي المكثرين في الانتاج عناية كبيرة فإنني أفردت ترجمات مستقلة لأدباء وشعراء مقلين جداً لأن في آثارهم القليلة الباقية لمحات ليست عند المكثرين ، وهكذا سيجد القارىء في هذا الكتاب تراجم لشعراء لم تتعرض لهم الكتب الموضوعة حديثاً (١) .

فهذه هي طريقته ـ كما ذكرها ـ في دراسته الأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث ، فهو في ترتيبهم يعتمد على سني الوفيات لهم ، فمن توفي أولا يكون مقدماً في الترجمة حتى وإن كان مقلاً في إنتاجه ، أو لم يكن هذا النتاج على درجة عالية من الجودة

وقد كانت الترجمة كما يذكر مقسومة أربعة أقسام : ـ حياة الأديب ، خصائصه ـ المختار من آثاره ـ المصادر والمراجع لدراسته ، فهو يجمع ما يمكن له جمعه من مادة حول حياة هذا الأديب أو ذلك باعتبار أن أحداث حياة الأديب لها تأثير بصورة أو بأخرى على نتاجه لكنه يعترف ويدرك تماماً أنه لم يستطع أن يجعل جميع التراجم من الناحية التاريخية لحياتهم على مستوى واحد من البسط أو التحقيق .

أما عند ذكره لخصائص الأديب الفنية فهو يعتمد على رأي النقاد القدماء باعتبار أنهم عايشوا الأدباء والشعراء فهم أقرب إليهم من النقاد المحدثين وعرفوا آثارهم أكثر مما يعرفها غيرهم ، إلا أنني أرى أنه ما دامت الآثار

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ص ٢٨ ، ٢٩ .

موجودة فإن خصائص الأديب الفنية يمكن أن يلمسها ويستخرجها كل من له اتجاه أدبي نقدي في أي عصر من العصور ولا يحتم علينا أن نجعل المعاصرين للشخصية هم الذين يستنتجون هذه الخصائص ، بخلاف حياة الأديب فأنه لابد من الاعتماد على المصادر القديمة لمعرفتها والتأكد من صحتها فالمصادر القديمة في معرفة حياة الأديب أكثر دقة وصدقاً من المصادر الحديثه ، أما خصائص الأديب فإن كل من له اتجاه أدبي نقدي يستطيع أن يقف عليها ويستخرجها قديماً كان أو حديثاً . .

أما المختارات من آثار الأديب فكان اختياره لها يعتمد على ثلاثة أسس : جودة المختار ، وتمثيله لآثار الأديب المتنوعة ، ثم شهرة ذلك المختار ، فاتخاذ الجودة مقياساً لوضع المختار من آثار الأديب أمر جيد ويدل على اهتمام الدكتور فروخ بالنواحى الفنية والأدبية ، أما من ناحية شهرة المختار فإننا بالفعل نجده يذكر المشهور من الشعر والنثر للأدباء والشعراء الذين يترجم لهم ، فهو مثلاً عند ترجمته للشاعر العباسي أبي تمام يذكر من آثاره قصيدته في مدح المعتصم عندما فتح عموريه .

السيف أصدق إنباء من الكتب ... في حده الحد بين الجد واللعب

فهذه القصيدة مشهورة جداً ولايكاد يذكر أحد أباتمام إلا وتذكر معه هذه القصيدة . وكم كنت أتمنى أن يعرض الدكتور فروخ لنصوص جديدة غير ما درج عليه من سبقوه فيضيف جديداً ، ويعطي صورة أخرى من صور الإبداع الفني عند الأديب لكنه للأسف الشديد لم يفعل في كثير من مختاراته

وبالنظر في هذه التراجم والدراسة الممحصه لها وجدت أنها تراجم سطحية لا تتعمق ولا تتغلغل في طيات الشخصية وإخراج المكائن الجديدة أو الرؤيا المتميزة لها ، بل كانت عبارة عن كلمات قليلة حول حياة الأديب أو الشاعر ونسبه وعلمه . . . ومن ثم يذكر الخصائص البارزة العامة لأسلوبه فنموذج أو أكثر من نتاجه ، وأخيراً المراجع والمصادر التي يمكن العودة إليها للإستزادة لمن أراد معلومات أخرى عن تلك الشخصية أو ذلك الأديب وإن طالت الترجمة فإنها لا تتعدى خمس أو ست صفحات بأي حال من الأحوال ، ونادراً جداً ما تصل إلى عشرة أو اثنتا عشرة صفحة مما يجعلنا نقرر بأن هذه الدراسة وضعت في اعتبارها الأول هدفاً رئيساً هو جمع أكبر عدد من الأدباء والشعراء في كل عصر من الأعصر الأدبية .

ولذلك يمكن القول بأن الدافع ـ لدى الدكتور فروخ ـ إلى وضع هذه التراجم كان ينبغي حصر عدد الشعراء والأدباء الذين كان لهم نتاج وجداني جيد وليس الوقوف على الخصائص الأدبية الفنية المفصلة لكل شخصية على حدة ، ولا ضير في ذلك مادام الكتاب لتأريخ الأدب العربي ، بل إننا نحمد له المجهود العظيم في جمع هذا العدد الكبير من الشعراء والأدباء الذين يمثلون أدباء وشعراء العصور الأدبية المختلفة وإن لم يكونوا هم معظم من كانت لهم آثار أدبية واضحة في عصور الأدب المختلفة ، ويوضح الدكتور عمر فروخ أنه لايمكن له أن يجمع في دراسته هذه جميع من كان لهم نتاج شعري أو نثري على مر الأعصر الأدبية فيقول في ذلك : " وما دمت أنا لن

أستطيع أن أضم في هذا الكتاب جميع من نثر ونظم ومادام لابد في التخير من الاستغناء عن نفر كثيرين من كل عصر ، فلقد وجدت أن استغني عن كل مالم يعش في الأدب الوجداني ، على الرغم من أن اتجاهاً سياسياً معيناً أراده لأمر لاصلة للأدب به " (١) إذن مادام لابد عليه أن يستبعد كثيراً من الشخصيات فإنه يستبعد منها ما كان بعيداً عن الأدب الوجداني حتى وإن كان نتاج تلك الشخصيات جيداً . هذا أمر حسن ومقبول ، لكنه لم يورد لنا بعض الأمثلة أو بعض الأسماء للأدباء والشعراء الذين لهم نتاج أدبي لكنه ليس وجدانياً مع أنه كان مع الأحرى أن يدعم كلامه لو بذكر شخصيات قليلة ليجعل الصورة واضحة أمام القارىء في خطته المذكورة .

أما في معالم الأدب العربي في العصر الحديث فإنه كما ذكرت آنفا يترجم لكثير من الشخصيات وذلك حسب خطته التى يسير عليها في تاريخ الأدب العربي من أعطاء صورة كاملة عن الحالة السياسية ، والاجتماعية ، والدينية والفكرية ، والثقافية للعصر ثم يردف ذلك بالترجمات فهو كذلك في معالم الأدب العربي في العصر الحديث إلا أنه رأى أن هناك شخصيات لها الحق في الترجمة باعتبارها تساهم في بيان صورة العصر الثقافية ، لكن لأنه لديه معلومات كافيه عن كل شخصية بحيث يكون لها ترجمة مستقلة أوردها في الجزء الأول من معالم الأدب العربي في العصر الحديث تحت عنوان : " نماذج

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ص ١٧ ـ ١٨ .

أدبية من المشرق والمغرب " وفي الجزء الثاني تحت عنوان : " في اللغة والأدب عامة " ويقول في سبب ذكر هذه الشخصيات في غير موضعها أي الموضع الخاص بالتراجم حسب خطته العامة : " يحسن أن نأتي هنا بالاضافة إلي وجوه الثقافة التى مرت بنا ، نماذج أدبية لأدباء لم تتوفر لدي عناصر كافية كي يكون لكل واحد منهم ترجمة مستقلة وأرجو أن تكون هذه النماذج دليلاً على اتجاه العصر ثم عناصر لسد ثغرات في الصورة الأصلية التى وردت من قبل " (١) فلعدم وجود معلومات وافية عن هذه الشخصيات ولما لها من أهمية في إبراز ملامح العصر الذى عايشته ، يقول في الجزء الثاني من الكتاب وتحت عنوان : " اللغة والأدب عامة " هذا الفصل يضم إشارات إلى نفر من اللغويين والأدباء والشعراء لم أجد أن بالامكان إفرادهم بتراجم مستقلة ثم هم يمثلون جانباً من العصر ويتمون رسم صورته الثقافية إلى حد ما "(٢) فهؤلاء الأدباء والشعراء جديرون بأن يُذكروا ويُترجم لهم نظراً لأن نتاجهم له تأثير على الحركة الأدبية في عصرهم ويمثل اتجاه ذلك العصر ويساهم في رسم صورته الثقافية ، كما يرى الدكتور عمر فروخ لكن لأن المادة المطلوبة حول حياتهم أو خصائصهم الأدبية لم تتوفر لديه كاملة فضّل أن يذكرهم تحت هذين العنوانين : نماذج أدبية من المشرق والمغرب و " في اللغة والأدب عامة " . .

---

(١) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج١ ط١ دار العلم للملايين ص ١١٩ .

(٢) معالم الأدب العربى فى العصر الحديث د . عمر فروخ ج٢ ط١ دار العلم للملايين ص ١١٩ .

ومن هؤلاء في الجزء الأول : " إبراهيم بن هلال (ت ٩٠٣هـ) ص ١١٩ ، وكمال الدين أبوالمعالي محمد بن محمد بن أبي شريف المقدسي الشهير بابن عوجان (ت ٩٠٦هـ) ص ١٢٠ ، وأحمد الصنهاجي المعروف بلقب الدّقون (ت ٩٢١هـ) ص ١٢١ ، وعبدالرحمن الصغير بن محمد الأخضري (ت ٩٥٣هـ) ص ١٢٢ .

وفي الجزء الثاني : " علي غانم المقدسي (ت ١٠٠٤هـ) ص ١١٩ ، وزين الدين بن محمد بن على البكري الصديقي المصري (ت ١٠١٣هـ) ص ١٢٠ ، وعلي بن صلاح بن محمد العُبالي (ت ١٠١٩هـ) ص ١٢١ ، ومصطفى بن إبراهيم (ت ١٠٢٤هـ) ص ١٢١ ، وأبى المواهب أحمد بن علي بن عبدالقدوس ابن محمد الشناوي (ت ١٠٢٨هـ) ص ١٢٣ وغيرهم .

وهذا اتجاه محمود وعمل يستحق عليه الدكتور عمر فروخ الشكر والتقدير فلعدم رغبته في مخالفة القاعدة التي يسير عليها في الترجمة (من إعطاء نبذة وافية بقدر الإمكان عن حياة الشخصية ، ومن ثم خصائصها الأدبية والفنية ، وثالثاً يذكر شيئاً من آثار تلك الشخصية ، وأخيراً يحيل إلى المصادر والمراجع التي يمكن العودة إليها عند الرغبة في الاستزادة حول تلك الشخصيات) ، ولحرصه على ألا يهمل هؤلاء الأدباء وأن لا يضرب صفحاً عنهم فضل أن يذكرهم في موضع آخر خاص بهم ، فأراد فصلاً مستقلاً في كلا الجزأين تناول فيه بعض الشخصيات الأدبية في تلك الفترة المؤرخ لها أدبياً ، فكانت التراجم أقل حجماً وأكثر سطحية من التراجم المذكورة في

الموضع الخاص بها ، إذ نجده يترجم في الصفحة الواحدة لشخصيتين أو ثلاث شخصيات ففي صفحة ١٢١ج١ يقول : " ولأحمد الصنهاجي المعروف بلقب الدّقون (ت ٩٢١هـ) بيتان يجيز بهما لتلميذه بن أبي جمعة أن يروي عنه كل ما تلقاه منه : ـ

أجازَ لكَ الدّقونُ ، يانجلَ سيِّدى أبي جُمعةٍ والآل كلّ (١) الذي روى
فَحدِّث بما اسْتُدعِيتَ فيه إجـازةً وسلِّم على من خالفَ النَّفس والهـوى

وهنالك أربعة أبيات منسوبة إلى أبى عبدالله الكفيف (ت ٩٣٠هـ) وفيها تلاعب بلفظة " مالك " هذه الأبيات هى : ـ

لقد مزقتْ قلبى سهام جُفونِهـــا كما مزّق اللخمى مذهب مالــكِ
وماس على الأوصال بالقد قدهـا فأمست كأبيات يتقطيع مالــك
وماكْتُها رقِّي لِرقَّة عطفهـــــا وإن كنت لا أرضاه ملكاً لمالك
وناديتها : يابُغيتى ، بذلُ مُهجتي ومالي قليلٌ في بديعِ جمالــكِ

وهكذا كانت بقية التراجم الموجودة في هذين الفصلين في كلا الجزأين لا تتعدى ذكر اسم صاحب الترجمة وذكر أربعة أو خمسة أبيت من نتاجه ، فكأنما أراد الدكتور فروخ من ذكر الأبيات لأصحاب التراجم أن يوضح من معناها الحالة الاجتماعية والسياسية والعلمية التى كانت سائدة في عصـــر أصحاب هذه الأبيات .

---

(١) الآل غير واضحة المعنى هنا .

هذا إلى جانب التراجم التي يذكرها بعد العرض التاريخي والديني والاجتماعي للفترة التي يدرس معالمها الأدبية .

ومما يجدر ذكره أن الدكتور عمر فروخ لم يدرس الشخصيات الأدبية فقط ، وإنما درس شخصيات أخرى غير أدبية ، وهو بذلك يخالف ما قرره أكثر من مرة مثل قوله : ـ " هذا كتاب في تاريخ الأدب العربي يقرب الموضوع للدارسين والباحثين ويبسط ذخائر الجانب الوجداني للمطالعين " (١) فهو يقرر بأنه يدرس ويترجم للشخصيات التي كان نتاجها الأدبي وجدانياً ، لكننا نراه يترجم لشخصيات لها نتاج شعري أو نثري لكن ليس وجدانيا أمثال : ـ الخليل بن أحمد فيقول عنه " كان الخليل بن أحمد الفراهيدي إماماً في علم اللغة والنحو ومن الرواة والنسابين (العارفين بأنساب العرب) والعلماء ، وهو أول من استخرج علم العروض (أوزان الشعر وأحكامه) وأول من وضع معجماً للغة العربية . وله من الكتب الثابتة بلا خلاف كتاب الشكل والنقط (في القرآن الكريم) ، وكتاب الشواهد ، وكتاب العروض ، وله فيما ذكروا كتاب االإيقاع وكتاب النظم ، وكتاب الجمل ، وكتاب العين ، وكتاب فائت العين ، أما كتاب العوامل فيقال إنه منحول " (٢) كذلك الأخفش وهو من الترجمات المختصرة جداً وكل ماقاله عنه :" هو أبوالخطاب عبدالحميد

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ج١ ص ١٧ .

(٢) السابق نفسه ـ ج٢ ص ١١٢ .

ابن عبدالحميد المعروف بالأخفش الأكبر أو الأخفش الكبيرمولى من أهل هجر ، سكن البصرة وكانت وفاته نحو سنة ١٧٧هـ (٧٩٣م) . الأخفش الأكبر من أئمة اللغة والنحو ، وله ألفاظ أنفرد بها ، وهو أول من شرح الشعر بيتاً بيتاً " (١) وسيبويه ، والفراء ، والأصمعي ، ونفطويه ، وقدامة بن جعفر ، وأبى بكر الصولي . . . وغيرهم ، فجميع هؤلاء لم يكن نتاجهم في الجانب الوجداني ، بل كانوا إما نحاة أو لغويين أو فقهاء أو نقاداً . .

ومجمل القول : " إن دراسة الدكتور عمر فروخ للأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي ، ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث لم تكن دراسة أدبية بالمعنى الدقيق (أي الدراسة التى تعتمد على إبراز وإظهار النواحي الفنية والجمالية في شعر الشاعر أو نثر الناثر ، ووضعه في موضعه المناسب بعد نقد نتاجه الأدبي ودرجته بين أدباء وشعراء عصره) وإنما هي دراسة خاطفه عابرة لإبراز أهم معالم الشخصية فقط ، وإلا لما استطاع أن يجمع في هذه الدراسة هذا العدد الكبير من الشخصيات المترجم لها .

فدراسته للأدباء والشعراء لا تعتمد على الإنشاء اللفظي الأدبي لكنه ذكر حقائق عامة مركزة عن كل شخصية ، وهذا ما قرره الدكتور علي زيعور بقوله " هذه في الحقيقة موسوعة في الأدب العربي صفحاتها ٤٨٠٠ يبدأ كل جزء بصورة للعصور التى يعالجها من النواحي السياسية والثقافية والأدبية ، ثـم

---

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ج١ ص ١١٨ .

يلي ذلك تراجم الأدباء(١٢٣٠ترجمة)* وكل ترجمة مقسومة أربعة أقسام : حياة الأديب ، خصائصه ، ومختارات من آثاره تآليفه وتآليف عنه ، ومراجع دراسته ، وليس في هذا الكتاب " إنشاء لفظي " بل حقائق في ألفاظ مركزة ، وفي كل جزء فهرس هجائي للأعلام ، وأحياناً فهرس هجائي للكتب " (١)

فدراسته للأدباء والشعراء في تاريخ الأدب العربي لم تكن دراسة أدبية نقدية معتمدة على التعميق اللفظي والتأنق المعنوي والتحليل البلاغي بل كانت للإدلاء بحقائق حول شخصيات أدبية في ألفاظ مركزة ، وليس معنى هذا اننا نقلل من جهده وقيمة عمله بل على عكس ذلك فهو يضع موسوعة أدبية مكونة من ستة أجزاء ، ثم يردفها بجزأين استمراراً في التأريخ للأدب العربي وتضم هذه الموسوعة قرابة ألفي شخصية فهذا شيء رائع ومجهود عظيم يرفع من منزلة الدكتور عمر فروخ في مجال التأليف والبحث . كما أننا نراه مع كثرة التراجم إلا أنه يزود القارىء بالنماذج الشعرية أو النثرية مشروحة شرحاً لغوياً أدبياً . . . مما يفيد القارىء في الوقوف على المعاني اللغوية والمعاني العامة للنماذج التي يقرأها إلى جانب معرفته الخصائص الأدبية العامة لأصحاب النماذج وبعض اللمحات النقدية عن هذا الشاعر أو ذلك الأديب .

---

(١) صراع التيارات المتشددة ود . عمر فروخ للدكتور علي زيعور ص ١٧٦ ط الأولى دار الأندلس ص ٨ .

* هذا عدد التراجم فى " تاريخ الأدب العربى " دون " معالم الأدب العربى فى العصر الحديث " .

فهذه الدراسة تفيد من أراد أن يتعرف على أدباء وشعراء عصر من العصور معرفة عامة ويجمع معلومات حول عصر بعينه عن طريق معرفة مدى كثرة شعرائه وأدبائه أي لمن أراد أن يتعرف على الحياة الأدبية في عصر من العصور بصفة عامة .

أما من أراد التعميق في الشخصيات الأدبية وإبراز دقائق فنها والوقوف على نتاجها بالتحليل البلاغي والإنشاء اللفظي فلن يجد ضالته في تاريخ الأدب العربي ومعالم الأدب العربي في العصر الحديث . ولكن يستطيع في يسر من الإحالات التي ذكرها الدكتور عمر فروخ أن يعود إلى هذه المصادر التى تفيده فيما يريد .

*　　*　　*　　*　　*　　*

ج ــ بعض الشخصيات التي أفردها بالدراسة :

تمهيــــــد :

أفرد الدكتور عمر فروخ بعض الأدباء والشعراء بدراسات أدبية مستقلة أمثال : ـ عمر بن أبي ربيعه ، وعبدالله بن المقفع وكتاب كليلة ودمنة ، وبشار ابن برد ، وأبي نواس ،وأبي تمام ، وابن الرومي ، والحجاج بن يوسف الثقفى ، وأحمد شوقى ، والشابي شاعر الحب والحياة . وجمع أكثر من شاعر في دراسة مستقلة أيضا أمثال : " خمسة شعراء جاهليون " إذ درس فيه خمسة من شعراء العصر الجاهلي وهم : امرأ القيس وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنتره ، ويذكر الدكتور علي زيعور تعريفاً لهذه الدراسة فيقول : " تبدأ هذه الدراسة القصيرة بفصل طويل في تاريخ الجاهلية وخصائصها ثم يلي ذلك خمسة فصول تتناول بالبحث : إمرأ القيس وطرفة بن العبد ، والنابغة ، وزهير بن أبي سلمى ، وعنتره ، هنا ترجمة كل شاعر منهم وخصائصه ، ومختارات من معلقته مشكولة ومشروحة (ط١ ، ١٩٤٤) " (١) " وشعراء البلاط الأموي وهم : الأخطل ، وجرير ، والفرزدق وأيضا يقدم لنا الدكتور علي زيعور هذه الدراسة بقوله :" تحوي هذه الدراسة القصيرة : تحدر العصبية (القبلية) من الجاهلية إلى الإسلام ، ثم ثلاثة فصول في الأخطل ، والفرزدق ، وجرير .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ـ ت د . على زيعور ص ١١٧ .

هنا ترجمة كل واحد منهم بالإضافة إلى خصائصه ، فنونه ، ونماذج مختارة وافية ودالة على ذلك كله ، ثم هناك فصل واف عن النقائض"(ط١، ١٩٤٣)(١) " وأربعة أدباء معاصرون " إذ يذكر فيه ترجمة لإبراهيم اليازجي وولي الدين يكن ومصطفى لطفى المنفلوطي ، وسليمان البستاني " كما يعرف لنا الدكتور علي زيعور هذه الدراسة بقوله : " الناس يختلفون في مكانة الأدباء المعاصرين لهم ، لأن التاريخ لايقول كلمته في مكانة الأديب (أو العالم أو السياسي) إلا بعد مدة ، والأدباء الأربعة المقصودون بهذه الدراسة هم : ـ إبراهيم اليازجي ، وولي الدين يكن ومصطفى لطفي المنفلوطي ، وسليمان البستاني ، ولكن هناك في هذا الكتاب استعراضاً موجزاً للأدب الحديث ، ولمظاهر الأدب الحديث ، بالاضافة إلى عدد آخر من تراجم أدباء آخرين وفي هذه الدراسة موجز لترجمة جبران خليل جبران ومقالته " لكم لبنانكم ولي لبناني " عام (١٩٢٠) إذ كانت السلطة الفرنسية المنتدبة في لبنان قد منعت دخول العدد الذى نشر فيه هذا المقال من مجلة الهلال (القاهرة) إلى لبنان ، ويرى الدكتور فروخ أن في لبنان اتجاهاً ما يزال يريد أن يُغطى على ذلك المقال .(ط١، ١٩٤٤) (٢) ودراسته لإبراهيم طوقان وأبى القاسم الشابي في كتاب : شاعران معاصران : أبوالقاسم الشابي وإبراهيم طوقان إذ يعرض في هذا الكتاب للمؤثرات التي أثرت في شعر كل من الشاعرين من خـــلال

---

(١) السابق ص ١٧٨ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ت . د / على زيعور ص ١٨٠ .

ترجمته لهما واشتراكهما في عدة أشياء منها المرض ، وتبنى قضايا المجتمع

فإنني في هذا الفصل سأتناول بعض هذه الدراسات بالدراسة والتحليل من خلال عرض كيفية دراسة الدكتور الأدبية والنقدية لهؤلاء الشعراء والرأي فيها ، وقد يتساءل القارىء عن السبب الذي جعلني أختار هذه الشخصيات ، فإنني أعزو ذلك إلى أنني أردت أن أختار شاعراً من كل عصر يكون قد درس الدكتور فروخ لبعض شعرائه فاخترت عمر بن أبي ربيعة من العصر الأموي (ت ٩٣هـ) ، وأبا تمام من العصر العباسي الأول (ت٢٣٢) وأبافراس الحمداني من العصر العباسي الثاني (ت٣٥٧) وإبراهيم طوقان (ت١٩٤١) والشابي (ت١٩٣٥) من العصر الحديث .

١ ـ عمر بن أبى ربيعة :

في هذه الدراسة نجد الدكتور عمر فروخ قد درس عمر بن أبى ربيعة المخزومي ولكنه في هذه الدراسة يعرض لخصائص الغزل في صدر الإسلام وطريقة النسيب الجاهلي مما لا يضيف جديداً في ذلك وإنما يردد ويكرر ماقاله دارسو الأدب قبله . فعند ذكره لطريقة النسيب الجاهلي وأنه يبدأ :

١ ـ بالوقوف على الأطلال .

٢ ـ ووصف الظعائن (الإبل التى تحمل النساء) .

٣ ـ ذكر الطيف أو الخيال في المنام .

إلى أن يقول : "لانقصد بالنسيب التقليدى هو الذى يعبر عن شعور قائله الخاص بل يروي أقوالاً مأثورة عامةً في تراكيب خاصة ، والمعاني مكررة ،

وهذا النسيب التقليدي يأتي عادة في مطلع القصائد لأنه ليس الغرض الأساسي من القصيدة ، أما النسيب الأصيل فيأتي مستقلاً ويأتي في أثناء القصائد أيضاً " (١) ثم يترجم لعمر بن أبي ربيعة . ويذكر لنا الدكتور علي زيعور تعريفاً سريعاً بهذه الدراسة فيقول : "تبدأ هذه الدراسة القصيرة باستعراض خصائص الغزل في صدر الإسلام ثم تأتي ترجمة مفصلة لعمر ، بعدئذ يأتي فصل في خصائص عمر بالإضافة إلى حقائق يسيرة تتعلق بالنساء اللواتي جاء ذكرهن في شعره وبعدئذ تأتي نماذج وافية من شعره (ط١ ، ١٩٤١) "(٢)

فدراسة الدكتور عمر فروخ الأدبية النقدية لعمر بن أبي ربيعة كانت تتضمن ترجمة مفصلة له ، ثم ذكر خصائصه الأدبية ، وأخيراً أعطى نماذج وافية من شعره ، فلو نظرنا إلى الخطة لوجدناها تسير مسير خطته في ذكره للتراجم في تاريخ الأدب العربي .

ومن خلال وقوفي على هذه الدراسة أستطيع أن أقول بأن للدكتور عمر فروخ مجهود واضح في إبراز بعض الملامح الأدبية والفنية في غزل عمر بن أبي ربيعة من خلال تعرضه لهذه الشخصية بالنقد والتحليل فهو يذكر لنا بأن عمر بن أبي ربيعة كان شاعراً عباسياً في العصر الأموي " (٣) وذلك لأنه

---

(١) عمر بن أبى ربيعة المخزومى للدكتور عمر فروخ ص ٣٣ ، ٣٤ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ص ١٧٧ .

(٣) عمر بن أبى ربيعة للدكتور عمر فروخ ص ٥ .

استطاع أن يخرج على نظام القصيدة الجاهلية التقليدية التي كان شعراء العصر الأموي لازالوا متمسكين بها أما عمر بن أبي ربيعة فقد تحرر من هذا النظام فكانت قصائده عبارة عن مقطوعات قصيرة سهلة الألفاظ واضحة المعاني ، إلى جانب أنه تخصص في فن الغزل فكان شعره غزلياً بحتاً بعيداً عن أغراض الشعر الأخرى من مدح وهجاء ورثاء . . . كما كان شاعراً غنائياً " لم يعد عمر ينظم شعره بالأسلوب القديم ، ولذلك نفر من القصيدة وهجرها في نماذجه واختار مكانها هذه المقطوعات القصيرة التى تقال لا لتُنشد كما كان الشأن في الحياة القديمة وإنما تقال لتُغنى ولتسمعها الطبقة المترفة التي نشأت في مكة وفي أختها المدينة " (١) .

لذلك كان شعره أقرب إلى شعراء العصر العباسي وخصائصه الفنية كانت أقرب إلى خصائص القصيدة العباسية التي ابتعدت عن الأسلوب القديم فلا وقوف على الأطلال ، ولا إطالة في القصيدة ، فبعد أن كانت القصيدة في العصر الجاهلي والإسلامي والأموي أمثال : جرير ، الفرزدق ، والأخطل . تتميز بالطول أصبحت في العصر العباسي لدى كثير من الشعراء عبارة عن مقطوعات لاتزيد عن سبعة أو ثمانية أبيات أمثال : بشار بن برد ، وأبي نواس وأبي العتاهية . . " والألفاظ أصبحت أكثر سهولة فهي تؤخذ من الأساليب المألوفة لدى الناس فكان عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي يتمثل جميع

(١)الشعر والغناء فى مكة والمدينة للدكتور شوقى ضيف ط٣ دار المعارف بمصر ص ٢٧٢ .

هذه الخصائص ، فقصائده بلا مقدمات طللية وهي عبارة عن مقطوعات غنائية قصيرة أي بعيدة عن النهج القديم ، كما أن الألفاظ لديه أكثر رقة وعذوبة وسهولة فهي مأخوذة من اللغة المألوفة لدى الناس ، وما ذلك إلا لأن عمر يتمثل ويصف الحياة الحضرية التي كان يعيشها المجتمع المكي " وكان عمرهوالشاعرالذى استطاع أن يهجر أساليب الشعر القديمة ، ويسوى للناس مكانهاأساليب جديدة تقوم على القرب والدنومنهم ومن لغتهم اليومية (١)

أما عن خصائصه المعنوية فيقول فيها الدكتور عمر فروخ : " تبرع عمر ابن أبى ربيعة لوصف جانب من الحياة الاجتماعية في الحجاز في النصف الثاني من القرن الأول للهجرة (النصف الثاني من القرن السابع الميلادي) ومن أجل ذلك كان شعر عمر بن أبي ربيعة مصدراً مساعداً لدراسة الحياة الاجتماعية في الحجاز في ناحية اللهو والأنس " (٢)

كما يقول : " قيمة عمر بن أبى ربيعة الحقيقية أنه شاعر انطلق على سجيته ولم يقل إلا في شأن نفسه ولم يكن لحياته ظاهر وباطن " (٣) فيقرر بذلك أمرين يمثلان شيئاً من خصائصه المعنوية وهما : أولاً : إن شعر عمر بن أبى ربيعة يعتبر مرجعاً لمعرفة الحياة الاجتماعية التي كان يعيشها شباب مكة في ناحية اللهو والأنس ، فقد تبدلت حياتهم القديمة وأصبحوا

---

(١) السابق ص ٢٧٣ .

(٢) عمر بن أبى ربيعة للدكتور عمر فروخ ص ٩ .

(٣) السابق ص ١١ .

يعيشون حياة التحضر والترف "وقد تبدل العرب في مكة وتبدلت حياتهم القديمة ، وعاشوا معيشة جديدة ونجم بينهم عمر ليعبر تعبيراً كاملاً عن هذا التبدل وهذه المعيشة " (١) وثانياً : إن عمر بن أبي ربيعة كان صادقاً في شعره ولم يتعرض لأغراض الشعر الأخرى فلم يمدح ولم يهجُ ولم يفاخر وإنما كان شاعراً غزلياً ينشد الشعر على السليقة ودون تكلف فهو كما قال الدكتور فروخ : إنه شاعر انطلق على سجيته كما أن حياته كانت واضحة ومغامراته الغرامية كانت صريحة كقوله : (٢)

يا ثريا الفؤاد ردّي السلامـــا   وَصِلينا ، ولاتبتى الذمَامَـــا
واذكرى ليلةَ المطارف والوبل   وارسالنا إليك الغُلامَـــــا
بحديثٍ إن أنت لم تقبليــــه   لم أنازعك ما حييتُ الكلاما
واذكرى مجلساً لدى القصر عشياً ولقسمى أقساما
فى ليالٍ فمنهن ليلة باتـــت   ناقتي والهاً تجر الزمامـــا

فلم يكن يُخفي شيئاً من هذه المغامرات ، وإنما كل ما يفعله يذكره في شعره فلم يكن لحياته ظاهر وباطن ولم يخرج لنا معاصروه أو النقاد القدماء شيئاً كان مستوراً في حياة عمر بن أبي ربيعة وكان يفعله في الخفاء وإنما حياته واضحة ولم يخفِ شيئاً منها .

والحق إن الدكتور عمر فروخ قد استطاع في هذه الدراسة أن يصل إلى

(١) الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية لشوقى ضيف ص ٢٧٢ط٢ دار المعارف بمصر .

(٢) شرح ديوان عمر بن أبى ربيعة ط بدون ، دار الأندلس تحقيق : محمد محى الدين عبدالحميد .

بعض الخصائص الأدبية والفنية في شعر بن أبي ربيعة وأن يدلي بآراء نقدية واضحة ومميزه ، فكانت دراسته الأدبية والنقدية لهذا الشاعر جيدة وإن كانت قصيرة ولكن استطاع أن يقف على أهم خصيصة فنية لعمر بن أبي ربيعة وهى أنه شاعر غنائي من خلال قوله : " كان شاعراً عباسياً في العصر الأموي " وأهم خصيصة معنوية وهي أنه كان واضحاً ولم يكن له في حياته ظاهر وباطن، إلى جانب أن شعره كان يصف الحياة الاجتماعية في تلك الفترة بصورة واضحة . هذا إلى جانب أنه ذكر بعض قصائد عمر بن أبي ربيعة مشكولة ومشروحة شرحاً لغوياً أدبياً ولكن هذا الشرح كان مختصــراً لايتعدى ذكر معاني الألفاظ الغريبة والمعنى العام للبيت أو لعدة أبيات .

أما بالنسبة للحقائق اليسيرة التي تتعلق بالنساء اللاتى ذكرهن عمر في شعره ، فإن هذه الحقائق التي ذكرها الدكتور عمر فروخ حقائق مكررة تناولها الكثير من دارسي الأدب عند ترجمتهم لعمر بن أبي ربيعة ، ونحن لايهمنا في هذه الدراسة بيان هذه الحقائق وإنما أهم منها أن نتعرف على الخصائص الأدبية لشعر هذا الشاعر الذى سبق عصره وكان ارهاصاً لشعراء العصر العباسي .

* * * * * *

٢ ـ " أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله " :

[دراسة تحليلية - نقدية]

" طبع الدكتور عمر فروخ هذه الدراسة للمرة الأولى سنة ١٣٥٣هـ (١٩٣٥م) في مكتبة الكشاف " ثم أعاد طبع هذه الدراسة سنة ١٣٨٤هـ (١٩٦٤م) دون تغيير أو تعديل فيها ، ويترجم الكاتب في هذه الدراسة الأدبية النقدية لأبي تمام، فيعطي نبذة عن حياته ونشأته ، فيقول حول أسمه " ولد حبيب بن تدرس العطار في الثلث الأخير من القرن الثاني للهجرة ونشأ وشب حبيب في دمشق ولما بلغ سناً تقرب سن الرشدبدأت مواهبه بالظهور واقتنع بالإسلام فاعتنقه ، وأصبح شديد الحماسة في الدفاع عنه . . ثم إن أباتمام غيراسم والده فجعله أوساًفمايدرينا إذاكان غيرأسمه هو أيضاً ؟ ! (١)

فالدكتور عمر فروخ يشكك في اسم أبي تمام " حبيب بن أوس " ويذكر أنه قد يكون له أسم آخر قبل اسلامه ثم جعل اسمه حبيباً بعد اسلامه كما غير اسم والده ، ومع ذلك لم يذكر هذه الأخبار على جهة اليقين أو يحققها والمفروض أن يقطع برأي في هذه المسألة مادام قد عرض لها وخاصة أن كثيراً من الدارسين السابقين والمحدثين قد أفاضوا في ذلك وكان ماذهبوا إليه أوضح وأبين مما ذكره الدكتور فروخ .

وقد قسم هذه الدراسة إلى ثلاثة أقسام : القسم الأول عبارة عن ترجمة

---

(١) أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ١٠ ، ١١ .

لأبي تمام فقال : " لقد قسمت الصفحات التالية أقساماً ثلاثة ، وتتبعت في أولها : خطوات صاحب الترجمة عهداً عهداً وعقدت من حوادث حياته فصلاً متعانقاً قدر الاستطاعة وجهد الطاقة .

أما الفصل الثاني : ـ فرميت منه إلى غرضين أولهما : أن أجمع أكثر مايجب أن يعرف الدارس لديوان أبي تمام فيستغني عن مراجعة المصادر ليوفر وقته على التفهم ، وثاني الغرضين : أن أرتب هذه المواد المجموعة ترتيباً معقولاً منسقاً .

أماالفصل الثالث: ـ فدراسة فنون الشاعردراسة مبنية على الديوان في ضوء ماقاله النفدة من أساطين العلم والأدب مع نماذج مبينة لوجوه الأغراض(١)

هذه هي خطة الدكتور عمر فروخ في دراسة أبي تمام كما ذكرها ، فلو نظرنا إلى الترجمة نجده ينفي فيها أن يكون أبو تمام من أصل عربي ـ كما تذكر بعض كتب الأدب ـ معتبراً أن والده رومي الأصل نصراني الديانة ، ومانسبته طيء إلا ولاء بعد دخوله في الإسلام ، وهذا مايراه الدكتور طه حسين أيضا إذ يقول : "والمرجح أن هذا النسب قد صُنع ، وأن الذى صنعه قد تعجل صنعته ، ولم يكن على علم بإختراع الأنساب " (٢) أما الدكتور شوقي ضيف فيقول : في نسب أبي تمام : "ومن يقرأ شعره وفخره العارم

(١) أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ٥ .
(٢) من حديث الشعر والنثر ص ٩٤ لطه حسين دار المعارف .

بطيء لا يشك في أنه طائي صلْيبة وأنه من صميم طيء لا دعيّ فيها ولا من مواليها " (١)

وفيما أراه أن أبا تمام لم يكن عربي الأصل وإنما كان رومياً كما قال الدكتور عمر فروخ وغيره من الأدباء وإنما أُعجب بالعرب وبدينهم وقوتهم في تلك الفترة فدخل في الإسلام وغير اسم والده الرومي "تدروس" إلى "أوس" وانتسب إلى قبيلة طيء وأخذ يفتخر بنسبه إليها مما يوحي بأنه أحد أبنائها .

أما عن أدب أبي تمام وشاعريته فقد خالف الدكتور عمر فروخ فيهما ما قال به النقاد القدماء (الجاحظ ، ابن رشيق ، الآمدي) في القول بأن أبا تمام كان يتبع وحشي الكلام ويدخله في شعره ويبحث عن الصناعة اللفظية ويرصع بها نظمه " (٢)

فمن المعروف أن دارسي الأدب قديماً وحديثاً تناقلوا شغف أبي تمام بالإغراب وانقسموا في طريقته في النظم إلى فريقين : ـ

فريق يعيب على أبي تمام شغفه بالإغراب وتصنيعه المعنوي ويتهمه بالغموض والتعقيد ويرى أنه يجهد تفكير قارئه كثيراً كي يفهمه ، ولا تخلو هذه الرؤيا من قصور أو خطأ فليس عيباً على الشاعر أن يحاول الاختراع والتفنن ويعمل على التجديد لفظاً ومعنى ، وفريق آخر يستحسن هذا القرب

---

(١)الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ط٨ دار المعارف بمصر ص ٢١٩ .

(٢) أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم ، للدكتور عمر فروخ .

من الشعر الذي يعتمد على التصنيع المعنوي الذي يحتاج إلى ثقافة واسعة ومقدرة على الغوص على المعاني ، وبالطبع هذا لا يتأتى لكل أديب فقد "أبعد هذا الشاعر عن معانية ، فأبعد شراحه في تأويلاتهم وتخريجاتهم وتشابه كثير من ألفاظه لكثرة جناسه فتشابه كثير من رواياته وكان رأساً لمذهب جديد في الشعر العربي ، فاختلف فيه الأدباء بين متعصب عليه ومتعصب له وكان لهذه الخصومة أثرها في تناول شعره والنظر فيه " (١) فتشبيهاته البعيدة واستعاراته الغريبة كانت سبباً في كثرة التأويل في معاني شعره فكانت مذهباً جديداً في الشعر العربي ولكل مذهب مؤيد ومعارض ، أما الدكتور عمر فروخ فيقول في ذلك : "نحن نعلم أن شعر أبي تمام ليس من هذا النوع الذى يقرب فهمه ويعذب النطق به ولكنه من ذلك النوع الذي تطرب له العقول المثقفه والأفكار النيّرة وأهل الاطلاع الواسع وكل ذنبه أنه بحث عن أوجه للشبه جديدة واستعارات بعيدة عن المألوف أوحى إليه بها اطلاعه الواسع ، وفكره القوي ، وروحه الوثاب ، فاستبعدها النـــاس ، واستغربوها وحملوا عليه من أجلها " (٢)

فيرى الدكتور عمر فروخ أن شعر أبي تمام ماكان كذلك إلا لسعة اطلاعه وفكره القوي ، وروحه الوثاب ، فأبوتمام كان واسع الاطلاع والثقافة مما كفل له المقدرة على التلاعب بالمعاني ووضعها في قالب فني جديد سُمي بمذهب

(١) مقدمة ديوان أبى تمام بشرح الخطيب التبريزى ص١٥ تحقيق محمد عبده عزام دار المعارف ١٩٦٤م .
(٢) أبو تمام شاعر الخليفة المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ٤٣ .

التصنيع المعنوي ، إلي جانب الذكاء والطموح اللذين تميز بهما أبوتمام . فما رحلاته الكثيرة وتجواله المستمر إلا بسبب طموحه ورغبته في الوصول إلى المجد فكان له ما أراد .

أما قول الدكتور عمر فروخ بأن أباتمام أوجد مذهب الشاميين ففيه تزيد ، فهو يقول : "أفنعجب بعدئذ إذا رأينا غموضاً في بعض شعر أبي تمام وهو الذى أوجد طريقة الشاميين ، وكان أول من حلى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة ؟ " (١)

فالقول بأن أباتمام هو الذي أوجد طريقة الشاميين فيه تزيد وتحيز لأبي تمام ، فالشعر العربي منذ بدايته لم يخلُ من الصناعة اللفظية ، ولكن ازداد الاهتمام بها مع بداية العصر العباسي ، وما ذلك إلا بسبب تطوير الحياة واختلافها عما كانت عليه سابقاً ، فوقوف العرب على الحياة المتحضرة ومعايشتهم لها جعلهم يميلون إلي هذا النوع من التأنق اللفظي الذي يساير التأنق في الحياة المعيشية ، فكان بشار بن برد وأبونواس والعتابي وغيرهم . . ولكن التأنق اللفظي أو الصناعة اللفظية لدى هؤلاء لم تكن مذهباً لهم فلا يجهدون أنفسهم في صنع الشعر بهذه الطريقة ، بخلاف مسلم بن الوليد الذى يعتبر أول من تبنى هذا المذهب وقصده لذاته " فهو أول من عاش لهذا

(١) أبوتمام شاعر الخليفة المعتصم بالله ، د . عمر فروخ ص ٤٠ .

المذهب ينميه وتناوله منه أبوتمام فبلغ به الغاية " (١) ويقول بن المعتز : "كان مسلم بن الوليد صريح الغواني مداحاً محسناً مجيداً مغلقاً ، وهو أول من وسّع البديع ، لأن بشار بن برد أول من جاء به ، ثم جاء مسلم فحشا به شعره ، ثم جاء أبوتمام فأفرط وتجاوز المقدار " (٢) .

فمسلم بن الوليد يعتبر أول من حلى شعره بالصناعة اللفظية وأكثر منها ، ثم أتى بعده أبوتمام فأفرط في هذه الصناعة وتجاوز المقدار إلى أن عابها عليه الكثير ، ورأى أنها سبباً في غموض شعره وتعقيده ، وبذلك يتبين لنا أن أبا تمام لم يكن أول من حلى الشعر العربي بالصناعة اللفظية المقصودة

ويختم الدكتور فروخ دراسته هذه بإعطاء بعض النماذج الشعرية لأبي تمام مشكولة مشروحة شرحاً مختصراً مركزاً على بيان معاني المفردات الصعبة ، فكانت هذه الدراسة كسابقاتها من دراساته الأدبية المستقلة ، للشعراء فهو يدرسهم دراسة مبسطة سطحية في صفحات قليلة وهو لايقصد بها الباحث والدارس المتعمق في الأدب وإنما جعلها للقارى العادي الذي يريد أن يعرف شيئاً من كل شيء .

* * * * * *

(١) الفن ومذاهبه فى الشعر العربى ص ١٧٨ للدكتور شوقى ضيف ط٨ دار المعارف بمصر .

(٢) طبقات الشعراء لابن المعتز ص ٢٣٥ تحقيق عبدالستار احمد فراج ط٤ دار المعارف بمصر .

٣ ـ " أبوفراس فارس بني حمدان وشاعرهم " :

يتجه الدكتور عمر فروخ دائماً في دراساته إلى الحديث عن الصورة التاريخية للعصر الذي يواكب تلك الدراسة أو الشخصية ، فنجده في كتابه " أبوفراس " يتحدث عن صورة العصر في هذه الفترة في الشرق والغرب ، ثم يلي ذلك موجز لترجمة أبي فراس ، ثم يتناول خصائصه الفنية بالشرح والتحليل وأخيراً يذكر بعض المختارات من شعره، فطريقته في هذه الدراسة الأدبية للشخصية طريقة تقليدية ألفناها في تاريخ الأدب العربي ، لكن مع توسع بعض الشيء فيما يخص الناحية الفكرية ودراسة النصوص بإعتبار أن هذه الدراسة مستقلة ، فترجمة الدكتور فروخ لأبي فراس كانت ترجمة عادية كما ورد في أمهات كتب الأدب ، من أن أبافراس مولد ، فهو عربي من جهة أبيه ، رومي من جهة أمه ، واسمه : الحارث بن سعيد بن حمدان .

وأهم ما يميز هذه الدراسة هو الفصل الذى يتناول فيه خصائص أبي فراس الفنية، فالدكتور فروخ يرى أن خصائص أبي فراس الفنية كانت عظيمة الشبه بخصائص عصره وخصوصاً بخصائص المتنبي إلا أنه أدنى درجة من المتنبي . (١)

فكأنه يوازن بين أبي فراس والمتنبي ، فيرفع المتنبي عن أبى فراس درجة مع أن كثيراً من الدارسين لايحبذون المقارنة بين هذين الشاعرين باعتبار

---

(١) أبونواس شاعر بنى حمدان لعمر فروخ ص ٥٤ .

(٢) السابق ص ٩١ .

(رقم ٢ في الهامش غير واضحة في الصفحة)

اختلاف أغراضهما الشعرية ، فمثلاً مديح المتنبي للتكسب ، أما أبوفراس فلم يمدح للتكسب أبداً فإذا كان المدح للتكسب فليس لأبي فراس مدحة واحدة في هذا الاتجاه ، ولعل الذى رفع من قدر شعره وجعله من عيون الشعر العربي أنه لم يتخذ الشعر صناعة وحرفة وسلماً إلى ما يطمح إليه غيره من الشعراء من طلاب العطاء والنوال بل جعله تعبيراً عن ذاته ومترجماً عن مشاعره وعواطفه إلى جانب أن كثيراً من الدراسين والباحثين يشيدون بشاعرية أبي فراس ويفضلونه "برومياته على المتنبي" تلك القصائد التي قالها في الأسر فهذه القصائد تعد من أحسن ماقاله أبوفراس بل تعتبر قمة شعره فنياً ومعنوياً "وهي التى جعلت أبا فراس سيد شعراء العاطفة الإنسانية ، ليس في عصره فحسب بل في كافة عصور الأدب العربي"(١)

(أما بروكلمان فقد وضعه في منزلة أسمى من منزلة المتنبي (٢)) ويقول فيه الأستاذ فؤاد البستاني :"إن هذا المترفع عن الشعر كان ولايزال أشعر من كثير ممن ترفع لهم المنابر في تاريخ الآداب ، وتفيض عليهم النعوت الطنانة مندفعين بتأثير أحكام القدماء ، وتقليد الأدباء السالفين " (٣)

كما أن النقاد القدماء اهتموا بأبي فراس وقال عنه الصاحب بن عباد" بُدىء الشعر بملك وختم بملك " يعنى أمرأ القيس وأبا فراس " (٤) .

(١) عناصر الابداع الفنى فى رائية أبى فراس د . محمد عبارف محمود حسين ص ٤ ط١ مطبعة الأمانة ١٤٠٨هـ
(٢) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج١ .
(٣) عناصر الابداع الفنى فى رائية أبى فراس (مصدر سابق) ص ٣٨ .
(٤) العمدة لابن رشيق ، شرح وتحقيق د . مفيد محمد قميحه ط١ دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان ص ٨٩ .

هذا هو رأي الكثير من النقاد في أبي فراس وشاعريته ، فهو بحق شاعر عظيم لم يقل الشعر لارضاء فئة من الناس أو للتكسب ، وإنما قاله ليُرضي شاعريته لذلك كان بعيداً عن التكلف والتعقيد والغموض ، وكنا ننتظر من الدكتور عمر فروخ أن يوضح الأسباب التي حدت به أن يجعل أبا فراس أدنى درجة من المتنبي ، إلا أنه ذكر ذلك دون تعليق أو تحليل لما ذهب إليه .

ومن خصائصه المعنوية يذكر لنا أن شعره يغلب عليه الكثير من الجد ، وفي رأيي أن سبب ذلك هو وقوعه في الأسر لفترة طويلة ، ونحن نعلم أن أكثر شعره قاله في الأسر ، فالأسير لابد أن يكون جاداً بعيداً عن الهزل أو المرح وإنما يغلب على شعر الأسير الأسى والحزن واللوعة والشكوى . .

وفي الخصائص اللفظية يقول عنه :" هو من أتباع المذهب الشامي فالصناعة فاشية في شعره فالبديع والمجازات والتشابيه والاستعارات وسوى ذلك من أوجه البلاغة بارزة في أشعاره " (١)

لكن هذه التشابيه والاستعارات والمجازات لم تكن غامضة أو معقده أو متكلفة وإنما كانت واضحة جلية جميلة ، في مواضعها تضفي على شعره رونقاً وقوةً وبهاءً .

وأسلوب شعره يتناسب وموضوعه فإذا افتخر رأيت عليه سمات الفخامة والقوة حتى لتحسه جاهلياً ، وإذا رثى اتسم رثاؤه برقة وأسى شجيين ، وإذا

(١) أبوفراس فارس بنى حمدان وشاعرهم لعمر فروخ ص ٦٦ .

تغزل تبدّى على غزله التلطف والرقة ، وإذا اشتكى وعاتب رأيت في أسلوبه رنة الأسى ، ومرارة الشكوى . . وهكذا " (١)

وقبل أن يختم الدكتور فروخ هذه الدراسة يذكر لنا فنون وأغراض هذا الشاعر ويعطي نموذجاً أو أكثر لكل فن أو غرض فيذكر من فنونه :

١ ـ النسيب والغزل . ٢ ـ الحماسة والفخر .
٣ ـ الأدب والحكمة . ٤ ـ المدح .
٥ ـ الرثاء . ٦ ـ التشيع .
٧ ـ العتاب وهو نوعان : عتاب للمحبوب ، وعتاب للرؤساء .
٨ ـ الهجاء . ٩ ـ الوصف .
١٠ ـ الاخوانيات (الأسريات أو الروميات) .

فمما سبق نرى أن أبافراس قال في معظم فنون الشعر وأغراضه تقريباً فكان شعره متنوعاً شاملاً وإن أكثر في فن أو أكثر عن بقية الفنون الأخرى فشعره مثلاً في الحماسة والفخر أكثر من شعره في الفنون الأخرى .

وأخيراً يختم الدكتور فروخ دراسته هذه بذكر مختارات من شعر أبي فراس مأخوذة من ديوانه ، وكانت هذه المختارات كما تعودنا من الدكتور فروخ مشكولة أيضاً ومشروحة شرحاً مختصراً في الهوامش بصورة مجملة تبرز فن الشاعر وخصائصه الفنية .

---

(١) عناصر الابداع الفني في رائية أبي فراس د / محمد عارف حسين ط١ مطبعة الأمانة ١٤٠٨هـ ص ٣٦ .

٤ ـ شاعران معاصران : إبراهيم طوقان وأبو القاسم الشابي : ـ

أولا : ظروفهما :

يذكر الدكتور عمر فروخ في الكلمة الأولى لهذه الدراسة مضمون الكتاب فيقول : ـ "يتناول هذا الكتاب شاعرين معاصرين لنا كانا من أحياء النصف الأول من القرن العشرين ووجه القران بينهما في كتاب واحد كثرة أوجه الشبه في حياتهما الخارجية وفي معظم شعرهما " (١)

كما أنه يذكر دوره في هذه الدراسة فيقول أيضا . . . أما أنا في هذا الكتاب فعارض لا موازن : إننى أعرض على القارىء ما عرفت من حياة هذين الشاعرين وما أدركته من خصائص شعرهما ولكنني آخذ نفسي بالموازنة بين شعرهما ولا بالتعرض لتفضيل بعضهما على بعض لأن ذلك يقتضي أن يزيد حجم هذا الكتاب زيادة كبيرة فضلاً عن أن المفاضلة بين شاعرين مثل اللذين نحن بصددهما غير ذات جدوى كبيرة " (٢)

فما تناول الدكتور فروخ هذين الشاعرين بالدراسة في كتاب واحد إلا لاتفاقهما في كثير من الأمور منها : ـ

أولا : أنهما عاشا في فترة واحدة تقريباً فإبراهيم طوقان ولد سنة ١٩٠٥ وتوفى سنة ١٩٤١ وأبوالقاسم الشابي ولد سنة ١٩٠٩ وتوفي سنة ١٩٣٥ .

(١) شاعران معاصران "إبراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي د . عمر فروخ ص ٤ .

(٢) السابق ص ٤ ، ٥ .

ثانيا : كانا يشتكيان المرض ، فإبراهيم كان مريضاً في معدته ، والشابي كان مريضاً في قلبه :" ولعل من أبرز تشابه حياتهما الخارجية أن كل واحد منهما أشتد مرضه في آواخر أيامه فنقل إلى مستشفى أجنبي في عاصمة بلاده ثم توفي فيه فنقل في اليوم التالي إلى مسقط رأسه ليحتفل آله وصحبه بدفنه " (١)

ثالثا : كلاهما امتاز بقريحة فياضة وبنفحة شعرية عامرة بالقوة ، كلاهما توفر على الغزل والوطنية عازفاً عن فنون التكسب من مديح ورثاء وممالاة " (٢)

رابعا : اجتياح الاستعمار لبلديهما "وكما أن الاستعمار الفرنسي مازال يرهق تونس منذ نحو سبعين سنة منذ عام ١٨٨١ للميلاد فإن الاستعمار الانكليزي لم يحتج إلى أكثرمن ربع قرن حتى يقضي على عروبة فلسطين (٣)

وإلى جانب أنهما اتفقا في أمور كثيرة أيضا إختلفا في كثير منها أيضا ولم يغفل الدكتور فروخ ذكر هذه الأمور التي اختلفا فيها ومنها : المكان الجغرافي لكل من الشاعرين فشاعرنا إبراهيم طوقان من أدنى الشرق ، وشاعرناالشابي من أدنى الغرب "جاء إبراهيم طوقان من أدنى

---

(١) شاعران معاصران " ابراهيم طوقان وابى القاسم الشابى د . عمر فروخ ص ٤ ، ٥ .

(٢) السابق ص ٤ .

(٣) السابق ص ٥ .

الجناح الأيمن الشرقي للعالم العربي من فلسطين ، وجاء الشابي من أدنى الجناح الأيسر للعالم العربي من تونس " (١)

ومن أوجه الاختلاف في حياتهما أيضا زواجهما ـ كما يرى الدكتور عمر فروخ ـ فزواج الشابي كان زواجاً شقياً وزواج إبراهيم كان سعيداً "وكان الشابي شقياً في زواجه بينما كان إبراهيم هانئاً في زواجه مطمئناً من أجل ذلك اندفع الشابي بعد زواجه إلى الزلل في مواطن الهوى بينمـــا زواج إبراهيم كان منقذاً له من الزلل القديم وعاصماً له من كل زلل مقبل " (٢)

وآخر أوجه الاختلاف بين الشاعرين التى ذكرها الدكتور عمر فروخ مايهيمن علىشعرهما ، فشعر الشابي كان كله تشاؤم ، أما شعر إبراهيم ففيه كثير من الأمل "وامتلأ شعر إبراهيم طوقان بالأمل على الرغم مما كان يرين عليه أحياناً من مظاهر التشاؤم والخوف على مستقبل وطنه ، أما الشابي فكان شاعراً متشائماً يائساً يحاول أن يزين شعره أحياناً بشىء من روح الأمل والتفاؤل إلا أنه كان متقلباً بين الأمل واليأس وكان اليأس عليه أغلب "(٣)

وبعد أن يعرض الكاتب لأوجه الشبه بين الشاعرين وأوجه الاختلاف يذكر أنه عارض لاموازن "أما أنا عارض لاموازن .... " (٤)

فكيـــف يكون عارضاً فقط وهو يوازن بين شخصية إبراهيم طوقـــان

---

(١) شاعران معاصران "ابراهيم طوقان وأبى القاسم الشابى د . عمر فروخ ص ٤ .

(٢) نفسه ص ٥ .

(٣) شاعران معاصران "ابراهيم طوقان وأبى القاسم الشابى د . عمر فروخ ص ٥ .

(٤) السابق ص ٥ .

وشخصية الشابي في شعرهما خاصة عندما قال بأن الأول متفائل في شعره والثاني متشائم ، فإذا لم يسمِ هذا موازنة فماذا نسميه ؟ !

ثمة شيء آخر وهو قوله :"ولعل قارىء هذا الكتاب سيأخذ عليّ أنني كنت أكثر تبسطاً وتدقيقاً في حياة إبراهيم طوقان وشعره مني في دراسة حياة الشابي وأشعاره . إن سبب ذلك ظاهر : إن إبراهيم طوقان أخي وصديقي عشت وإياه ست سنوات في بلدي بيروت وسنة في بلدته نابلس وسنة في بغداد ثم كانت بيننا في أثناء ذلك مراسله لم تنقطع . ." إلى آخر ماقاله في بيان السبب الذى جعله أكثر تبسطاً وتدقيقاً في دراسة إبراهيم طوقان ، فما دام الأمر كذلك لِمَ لمْ يفرده بالدراسة كيلا تطغى دراسة حياة إبراهيم طوقان على حياة الشابي ؟ ! فعند قراءتي لهذا الكتاب تبين لي أن الدكتور عمر فروخ أسهب بالفعل في الحديث عن حياة إبراهيم بدءاً بأصله وحديثه عن آل طوقان ومن ثم ولادته وتعليمه وحياته في الجامعة الأمريكية أم في الاذاعة أم في بغداد كمدرس ثم حديثه عن مرضه أيضاً والنوبات التي كانت تراوده وأحياناً يذكرها بتواريخها وبشيء من التفصيل وماذلك إلا لأنه وثيق الصلة به ، بينما نجده في دراسته لحياة الشابي يختصر كثيراً فيكتفي بذكر نسبه ودراسته في الكُتَاب ثم جامعة الزيتونه ودراسته للحقوق ومرضه وموته وذلك في سطور قليلة بعكس إبراهيم الذى تحدث عن حياته في صفحات عديدة بكثير من البسط والاسهاب .

ومن خلال قراءتى لهذا الكتاب شعرت بأن الدكتور فروخ يميل كثيراً إلي

إبراهيم طوقان ، وهذا أمر طبيعي ، فالإنسان بطبيعته يميل إلى من يحب كثيراً ، فالصداقة التي كانت بين الدكتور عمر وإبراهيم كانت وطيدة فهما قريبان من بعضهما يتزاوران ويتسامران ثم يتراسلان ويسأل كل منهما عن الآخر إن غاب عنه ، يقول الدكتور عمر فروخ :"كنت أشكو ضعفاً في عيوني من أثر الاجهاد فكتب إلي إبراهيم رساله فيها هذه الأبيات : ـ (١)

كيف عيناك ياعمر ؟ أما أدماهما السهر ؟

ورسائل إبراهيم طوقان للدكتور عمر فروخ كثيرة جداً وهو يذكر بعضها في هذا الكتاب ومن هذه الرسائل :"أخي عمر أسفت كثيراً لعدم إمكاني وداعكم قبل سفرنا .. إلي أن يقول في آخر الرسالة تقريباً : عمر ، بلغ سلامنا وأشواقنا إلى السيدة آمنة ، أم جعفر ليس لها في بغداد ذكرى سواها . . . أم أحمد على عهدها بولدها عمر وهي تهديك التحية وتضيف إليك السيدة آمنة مباركة لك داعية بالرفاه والبنين " (٢) وفي حاشية الصفحة يبين لنا من هي أم أحمد فيقول :"إن صلتى الوثيقة بإبراهيم جعلت والدة إبراهيم تهتم بأموري ـ حينما كنت معلماً في مدرسة النجاح في نابلس ١٩٢٨ ـ ١٩٢٩ كأنني أحد أولادها .

ورسائل الود والصداقة بينهما كثيرة وفي كل كلمة من أي رسالة يظهر مدى الحب والتقدير الذى كان بين الصديقين ، وهذا كله لابد أن يكون له

---

(١) السابق نفسه ص ٨٩ .

(٢) نفسه ص ٥٩ ، ٦٠ .

أثره في كتابة الدكتور عمر فروخ عن إبراهيم فهذه دواعي تجعله يميل إلى هذا الشاعر دون أن يشعر ، على عكس الشابي الذى لم تكن بينه والدكتور عمر فروخ صلة أو صداقة ، فكان يميل إلى إبراهيم طوقان ويفضله على الشابي . من أجل ذلك كان الأحرى به ألا يجمع بين الشاعرين في كتاب واحد ، وفي هذا يقول الأستاذ أبو القاسم كرو :" . . . والغريب أن بعض الكتاب يندفعون اندفاعاً للكتابة عن الشابي وهم لايملكون من الوثائق والمواد الصالحة لذلك شيئاً سوى بعض شعره أو ما كُتب عنه ، ومع ذلك فإن هؤلاء الكتاب يذكرون من عندهم معلومات غريبة ونتائج مؤسفة عن حياة الشابي وأدبه ولعل أشد هؤلاء خطراً وأكثرهم إنحرافاً وتشويها لأدب الشابي وحياته هو الدكتور عمر فروخ الذى وضع كتاباً غريباً جمع فيه بين الشاعرين إبراهيم طوقان ، وأبو القاسم الشابي جمعاً لا مسبب ولا مبرر له ، ثم ملأ الدكتور فروخ ـ مع إحترامي الكامل له ـ القسم الخاص بالشابي (ص ١٥١ ـ ٢٥٢)من كتابه "شاعران معاصران "بمجموعة من الأخطاء في المعلومات التاريخية والأدبية ومن الأحكام الجارفة المجحفة التي تلفت النظر فعلاً وتثير الاستغراب ، والمؤلم أنها شاعت عنه بالنقل وأخذ بعض الكتاب يرددونها دون تمحيص أو تثبيت " (١)

وربما شعوره بتقصيره مع الشابي هذا الشاعر العظيم بالنسبة لشعراء جيله هو الذى جعله يضع بعد ذلك دراسة خاصة له بعنوان : الشابي شاعر

---

(١) الشابي حياته وشعره لأبي القاسم كرو ص ٤٩ .

الحب والحياة . ومع ذلك فإنه في هذا الكتاب ـ الشابي شاعر الحب والحياة ـ يؤكد إيمانه بكل ماورد في الكتاب الأول ـ شاعران معاصران :"إن هذا الكتاب "الشابي شاعر الحب والحياة" كتاب جديد لايشبه دراسة الشابي في "شاعران معاصران" ولكن لايبطلها " (١)

فكأنه يريد أن يرفع اللبس الذى قد يحدث عندما يقرأ القارىء هذا الكتاب فيعتقد بأن الدكتور عمر فروخ أراد أن ينسخ ما قاله عن الشابي في "كتاب شاعران معاصران" فألف هذا الكتاب "الشابي شاعر الحب والحياة" لذلك ذكر بأن الكتاب الثاني لايبطل أبداً ما جاء في الكتاب الأول .

وحياة الشابي على قصرها كانت كافية لأن تجعل الآراء تختلف والمناقشات تحتدم بين الأدباء والنقاد حول حياة هذا الشاعر ومرضه وحتى شعره ، فنجد النقاد قد انقسموا إلى فريقين متضادين : فريق يرى أن القضايا الوطنية التى تطرق لها الشابي في شعره وآراءه النقدية لما يحدث في بلده كانت تشتمل على مبادىء هدامة ، وليس فيها إلا التأفف من أهل تونس والنقمة عليهم وعلى البشر أجمعين .

وفريق آخر يرى عكس ذلك تماماً ، فيرى أن الشابي قد تبنى قضايا وطنه تونس في شعره فهو صاحب رسالة نبيلة ، والدكتور عمر فروخ من أصحاب الفريق الأول "أنا أرى أن الشابي كان ناقداً هداماً لاناقداً صاحب

---

(١) الشابى شاعر الحب والحياة د . عمر فروخ ط٣ دار العلم للملايين بيروت ص ١٩٨٠م ص ٨ .

رسالة ، والحليوي يخطئني في ذلك . . . " (١)

وعلى كل لا أستطيع أن أجزم ولا أحد غيري ـ فيما أرى ـ بأن الشابي كان ناقداً هداماً ناقماً على أهل تونس في كل الأحوال ، ولا أنه شاعر تبنى قضايا وطنه وأرآوه جميعها كانت نبيلة ، فالإنسان عادة تكون أراؤه بحسب الوضع الذى يعيشه والحالة النفسية له في فترات حياته ، فقد يكون له رأي في أمر ما يخالف غيره ولكل وجهة نظر إما أن نطلق على شاعر كالشابي بأنه كان ناقداً هداماً فهذا فيه شيء من الإجحاف بحق الشاعر .

كما اختلفوا في مرضه فمنهم من يذكر داء السل ، ومنهم من يذكر تضخم القلب "ولم أرجح السل أو تضخم القلب ، لأنني مؤرخ ولست طبيباً ولكن لما وصل أحد الدراسين من سجل المستشفي إلى أن الفحص الطبي قد ذكر العلة مرضاً في القلب لم يبق في وسع الدارس والمؤرخ إلا أن يقولا بما ذكر الطب " (٢) وقد ذكر الأستاذ أبوالقاسم كرو في كتابه "الشابي حياته وشعره" ما يؤكد بأنه أصيب بداء تضخم القلب "فأصيب بداء تضخم القلب الذى عانى منه أشد أنواع المرارة وأقسى ضروب العذاب وعرض نفسه على كل طبيب أخصائي بتونس " (٣)

ومن مذكراته أيضاً التي كتبها قبل وفاته نستطيع أن نستشعر الداء الذى

(١) الشابى شاعر الحب والحياة ص ٤٣ .

(٢) السابق نفسه والصفحة نفسها .

(٣) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم كرو ط جديدة الدار العربيى للكتاب ١٩٨٤ ص ٤١ .

أصابه "ها هنا صبية يلعبون بين الحقول ، وهناك طائفة من الشبان الزيتوني والمدرسي يرتاضون في الهواء الطلق ، والسهل الجميل ، ومن لي بأن أكون مثلهم ؟ أنى لي ذلك ، والطبيب يحذر على ذلك لأن بقلبي ضعفاً ! آه ! ياقلبي ! أنت مبعث آلامي ومستودع أحزاني ، وأنت ظلمة الأسى التى تطغى على حياتي المعنوية والخارجية (١) فلنسلم إذن بأن علته كانت في قلبه ، وأنه توفى متأثراً بداء تضخم القلب .

واختلفوا أيضا في غزله ومحبوباته ، فيرى الدكتور عمر فروخ "أن أبا القاسم الشابي كان بائساً في حياته الزوجية ومع العلم بأن نفراً من أصدقاء الشابي يقولون بأن الرجل كان سعيداً ، فإن غيرهم يرى غير ذلك ، ثم إن جميع القرائن تدل على زواج أبي القاسم الشابي كان كارثة جسمانية ونفسانية معا وليس من المعقول أن يكون الإنسان سعيدا في زواجه ثم يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء " (٢) فكيف استطاع الدكتور عمر فروخ أن يقطع بأن الشابي كان بائساً في حياته الزوجية ؟ ! والأستاذ أبوالقاسم كرو يقطع بأن الشابي كان سعيداً في زواجه إذ يقول :" ولم يطل سخط الشاعر كثيراً فقد أقدم على الزواج ـ الذى كانت خطوبته قد تمت في حياة الوالد وبإشارة منه ـ فكانت حياة جديدة باسمة ، وعالماً زاخراً

(١) الشابى ، حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٥٤ ط جديدة الدار العربية للكتاب ١٩٨٤ .

(٢) الشابى شاعر الحب والحياة د . عمر فروخ ص ٤٥ .

بالأفراح والأضواء والألحان كاد الشابي ينسى في غمرتها أباه . . . ويألف المرح والسرور بدل الالآم والأخزان : ـ

ما كنتُ أحسب بعد موتِك يا أبي

ومشاعري عمياء بالأحزانِ

أني سأظمأ للحياة ، واحتســـي

من كأسها المتوهجِ النشوانِ

وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافـــــقٍ

للحبِ والأفراحِ والألحـــانِ

ولكل ما في الكون من صور المنـى

وغرائب الأهواء والأشجــانِ

حتى تحركتِ السنون ، وأقبلـــتْ

فِتَنُ الحياةِ بسحرها الفتــانِ

وإذا التشاؤمْ بالحياةِ ورفضِهـــــا

ضربٌ من البهتانِ والهذيــانِ

ولم تدم طويلاً عبودية الشاعر للحياة وأفراحه معها ، فإن المرض ما لبث أن عاود زحفه على قلبه الكبير ، وطفق ينغص عليه أيامه ولياليه ولا يتركه للراحة أياماً إلا ليعود أشد وأقوى مما كان ، حتى أودى به في ريعان الصبا وربيع الشباب " (١)

---

(١) الشابى ، حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٧٧ ، ٧٨ ط جديدة الدار العربية للكتاب .

فالشاعرلم تكن حياته نغصة لأنه لايريد زوجته ولايحبها وإنما لتكالب الألم والمرض عليه ، فنظراً للسعادة التي كان يعيشها بعد زواجه كاد ينسى والده الحبيب في غمرة هذا الفرح وهذه السعاده .

وأنا لست مع الدكتور فروخ في قوله بأن زواج الشابي كان كارثه جسمانية ونفسانية معاً خاصة وأنه ليس لدينا ما يثبت بأن الشابي كان لا يحب زوجته أما قوله ـ الدكتور فروخ ـ "وليس من المعقول أن يكون الإنسان سعيداً في زواجه ثم يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء " فلي أن أقول فيه : إن الشاعر إنسان مرهف الحس فأدنى موقف يراه أو يشعر به يجعله يراه عظيماً فينساب شعره عذباً جميلاً فيه وذلك ما أقرره حول قصيدته " صلوات في هيكل الحب "

وليس من الضروري أن يكون قد شغف بها حباً كما أنه ليس لدينا مايثبت بأنه أتصل بها أو كان بينهما علاقة وإنما فتنه ذلك الجمال فجاشت قريحته الشعرية بتلك الأحاسيس .

وحقيقة فإنني لا أعلم ـ بعد قراءتي حول هذه الشخصية ـ لأبي القاسم الشابي محبوبات قال فيهن شعره كما علمت من قراءاتي لإبراهيم طوقان ، ومع ذلك ـ للأسف ـ يؤكد الدكتور عمر فروخ بأن غزل إبراهيم كان عفيف وأنه كان سعيداً في زواجه ، في حين يؤكد أيضا بأن الشابي كان يحب حب مادياً ويتسقط الهوى في كل مكان ، وأن زواجه لم يكن سعيداً أبداً .

فيقول في غزل إبراهيم طوقان "وغزل إبراهيم عفيف ، وأكثره نسيب فـ

ذكر للأيام الماضية وتشوق إلى المحبوبة ، كما أن فيه تحليلاً بارعاً لنفسه في تلك الميادين ، ولكن له أيضا مقطوعات عليها نفحة من الصراحة والجرأة " (١) ويذكر أيضا أن إبراهيم طوقان أحبّ وهو طالب في الجامعة الأمريكية فتاة فلسطينية من كفر كنّه قال فيها كثيراً من شعره إذ يقول :"وفي الجامعة الأمريكية تفتح قلب إبراهيم للهوى ثم شغله فتاة واحدة عن كل فتاة أخرى تلك كانت فتاة من الناصرة أو من قرية قرب الناصرة اسمها "كفر كنّه" (وادي الرمان) في فلسطين ، جاءت هذه الفتاة إلى الجامعة الأمريكية ومكثت فيها سنة واحدة (١٩٢٥ ـ ١٩٢٦) ألقت في خلالها شباك هواها على كثيرين ثم وقعت في هوى إبراهيم . . . إلى أن يقول : تلك كانت (م . ص .) التى نظم إبراهيم فيها معظم قصائده في الغزل ، ولما تركت م . ص "الجامعة استمرت صلتها بإبراهيم مدة طويلة انذاك " (٢)

ويقول عنها في ص ٩٢ من نفس الكتاب أيضا "على أن هذه الفتاة التي أوحت إلى إبراهيم فنون الغزل لم تسد على قلبه سبل الهوى فلقد أحب إبراهيم بضع مرات بعد ذلك "كما أحب إبراهيم راقصة أسبانية من أشبيلية تدعى مرغريتا "وشغف إبراهيم بمرغريتا الحسناء وبمرغريتا الراقصه معاً فأوحت إليه ألوانا جديدة من الغزل ، وأوحى إليه رقصها مشاهد نظمها شعراً جميلاً جديداً " (٣)

---

(١) شاعران معاصران إبراهيم طوقان وأبى القاسم الشابى ط١٩٥٤،٥م منشورات المكتبه العلمية ومطبعتها ـ بيروت ص ٩٩

(٢) السابق ص ٣٢ .

(٣) السابق ص ٩٢ / ٩٣ .

ومن اللواتي وجدن سبيلاً إلى قلب إبراهيم فتاة مسلمة يسميها فوز كان يلقاها في غدوه ورواحه ثلاث مرات كل يوم " (١) "وكذلك فتن إبراهيم بممرضة روسية يبدو أنها كانت في نابلس في عيادة أحد الأطباء وكان إبراهيم يتردد على ذلك الطبيب ليصير حقنه بإبر تتعلق محتوياتها بمرض القرحة في المعدة ، والظاهر من المقطوعة أن هذه الممرضة الروسية هي التي كانت تتولى أمر حقنه بتلك الأبر ، قال إبراهيم بتشوق إلى تلك الممرضه ويبثها شكواه : ـ (٢)

يا حلوة العينين ياقاسيـــة ... سرعان ما أصبحت لي ناسية

أمّا أنا فلست أنسى يـــداً ... ناعمة تجود بالعافيـــــة

لئن شفى الطب ضني عارضاً ... فمهجتي أنت لها شافيـــة

هذا إلى جانب مجونه "وفي عام ١٩٣٣م وعام ١٩٣٤ نظم إبراهيم كثيراً من المجون مما ينطوي على صور شعرية صحيحة ، ولكن لايصح إثبات شيء منها في هذه الدراسة " (٣)

ومن غزله الماجن الذي يذكره الدكتور فروخ : ـ

لم ألق بين لياليّ التي سلفـــت ... كليلة بتها في دير قديـــسِ

ضممتُ حسناءَ لم يُخلَقُ لها مثلٌ ... بين الحسانِ ولا حور الفراديسِ

---

(١) السابق ص ٩٧ ، ٩٨ .

(٢) السابق نفسه ص ٩٨ .

(٣) نفسه ص ١٠٢ .

ماعرش بلقيس في إبان دولتهـــا ولاسليمان مزفوفاً لبلقيـــــسِ
يوماً باعظَم منّا في السرير وقــد دامَ العناقُ إلى قرعِ النواقيـــسِ

أفبعد هذا الشعر يمكن لنا القول بأن إبراهيم كان شاعراً عفيفاً ؟ فإني أرى أن في قول الدكتور عمر فروخ "غزل إبراهيم عفيف "تحيز وميل ومحاباة ، فلا يمكن أن نطلق على شاعر يقول ما قاله إبراهيم طوقان في الأبيات السابقة شاعراً عفيفاً ، علاوة على أن له شعراً آخراً أكثر مجوناً من الذى ذكر قبل سابقاً ولكن لم يذكره الدكتور عمر فروخ لأنه لا يصح أن يذكره في دراسته هذه "نظم إبراهيم كثيراً من المجون مما ينطوي على صور شعرية صحيحة ، ولكن لا يصح إثبات شىء منها في هذه الدراسة "ولاأدري مايقصد الدكتور فروخ بقوله "مما ينطوي على صور شعرية صحيحة" وإن كان الظاهر يوحي بأن هذا الشعر الماجن الذي يذكره إبراهيم يصور لنا شيئاً من واقع حياة إبراهيم،ومادام شاعرنا ـ كما يقول الدكتورفروخ ـ سعيداً في حياته الزوجية لم كل هذه المغامرات والعلاقات المشبوهة والشعرالماجن؟ !

ومجمل القول إن اتهامه للشابي بأن حبه كان مادياً وأنه يتسقط الحب تحت كل كوكب من كواكب السماء فيه تزيد ، ووصفه لشعر إبراهيم بالعفه فيه تحيز .

أما بالنسبة لحياتهما الزوجيه فلا يمكن الجزم بأن الشابي كان بائساً في زواجه خاصة بعد قراءة تلك القصيدة التي أثبتها أبوالقاسم كرو في كتابه

الشابي ـ حياته وشعره ـ والتي قالها بعد وفاة أبيه ، وهي تعكس أمامنا نفساً هانئة سعيدة بزواجها .

ما كنت أحسب بعد موتك يا أبي ومشاعرى عمياء بالأحــزان

أني سأظمأ للحياة وأحتسـي من كأسها المتوهج النشوان

ولكن لابد للإنسان أن تمر عليه لحظات الفرح ولحظات الترح ، لاسيما إذا كان هذا الإنسان مريضاً بداء عضال مثل أبي القاسم الشابي ، كما أنه لا يمكن لي بأن أجزم بأن إبراهيم طوقان كان سعيداً هانئاً في زواجه فالعلاقات الاجتماعية بصفة عامة والزوجية خاصة لا يمكن الجزم والتأكيد على نوعيتها ممن لا يعيشونها .

* * * * * *

ثانياً الخصائص الفنية لأعمالهما :

أ ــ خصائص أعمال إبراهيم طوقان الفنية :

ذكر الدكتور عمر فروخ في كتابه "شاعران معاصران" الخصائص الفنية لكلا الشاعرين فقال عن شعر إبراهيم طوقان :"وشعر إبراهيم متفاوت جداً في خصائصه اللغوية وخصائصه المعنوية . . . أما تعليل هذا التفاوت في شعر إبراهيم فيسير "إن إبراهيم شاعر وجداني ـ في صف عمر بن أبى ربيعة وبشار بن برد وأبي نواس وابن الرومي وأبي فراس ـ والشاعر الوجداني لا يُجيد إلا إذا انفعلت نفسه انفعالاً شديداً ، أما إذا (أراد) أن ينظم فإنه يبطىء في نظمه كثيراً ويتعثر ثم لا يرضى بعد ذلك كثيراً مما تأتب به قريحته ، وكذلك كان إبراهيم " (١)

وأنا لا أنكر شاعرية إبراهيم طوقان ، ولكني أنكر التماس الدكتور عمر فروخ الأعذار له في كل شىء حتى في شعره فقدرأيناه في الصفحات السابقة يمجد إبراهيم طوقان ويثني على آله ومحتده ويجعل غزله عفيفاً . . . وعند الحديث عن خصائص شعره لا يريد مؤلفنا القدير أن يسلم بأن إبراهيم طوقان أحد الشعراء المجيدين كغيره من الشعراء وأن هناك شعراء كثيرين من جيله أرقى منه شعراً ، بل إنه يحاول أن يرفعه عليهم ويتمحل للأعذار عن سقطاته وضعفه .

---

(١) شاعران معاصران ابراهيم طوقان وابو القاسم الشابى ط٥ ، ١٩٤٥ منشورات المكتبه العلمية ومطبعتها ـ بيروت ـ ص ٧١ .

وفي حديثه عن التفاوت وعدم الاتزان اللغوي لدى إبراهيم يقول :"
وهنالك تفاوت لغوي في شعر إبراهيم . . . غير أن التفاوت في لغة إبراهيم كان تابعاً للتفاوت في خصائصه المعنوية ، فحيث اتسقت لغته مع وجدانه كانت لغة قوية أما إذا جانب طبعه في النظم فإن لغته كانت تَرِك أحياناً " (١) وهذا مايفسر انصرافه أثناء النظم عن مناسبة من المناسبات الاجتماعية فإذا ما اضطر إلى ذلك فإنه ينصرف عن تلك المناسبة إلى موضوع عام وما ذلك إلا لأنه لم ينفعل مع ما يقول وبما أنه شاعر وجداني فإنه لا يحب أن ينظم الشعر مجاملة أو أرضاء لفئة من الناس وإنما كان ينظمه ليرضي ميوله ورغباته ووجدانه "وإذا أراد إبراهيم أن ينظم في مناسبة أو إذا أُضطر إلى النظم فيها فإنه ينصرف عن تلك المناسبة إلى موضوع عام في الأدب أو الوطنية أو الأخلاق والتاريخ ، لمّا رثى إبراهيم موسى كاظم باشا الحسينى قال له أحدهم :"أراك اتكأت على الرجل ثم انصرفت عنه إلى بحث آخر " (٢)

فإن إبراهيم طوقان كغيره من الشعراء الوجدانيين الذين لا يجيدون إلا إذا انفعلوا ولا يبدعون إلا إذا تأثروا ، وقولي هذا لا يناقض ماذكرته قبل سطور قليلة من أن هناك شعراء من جيل إبراهيم أرقى منه شعراً .

وأهم ما قاله الدكتور فروخ في خصائص إبراهيم الفنية "والشعر الجيد عند إبراهيم يجب أن يقترب بخصائصه اللفظية من النثر أو هـو كما قـال

---

(١) شاعران معاصران ، ص ٧١ .

(٢) السابق ، ص ٧٩ .

إبراهيم :" عبارات نثرية اتفق أن تقع موزونة ، يقول الدكتور فروخ : ـ أريد أن أقول أو أن أصنع تعريفا للشعر السهل الممتنع فلم أجد أحسن من تعريفه بعبارات نثريه موزونة لا أثر لكد الخاطر عليها بل اتفق لها هى ولم يتفق لك أنت أن تكون موزونة " فكأنما هي دعوة للشعر الحر أو "المنثور" وما نلاحظه أن الدكتور عمر فروخ يوافق إبراهيم طوقان في أن الشعر الجيد لابد أن يقترب بخصائصه اللفظيه من النثر والاقتراب بالخصائص اللفظية من النثر يعني التحرر من عمودالشعر العربي وهذا المسلك سلكه كثير من شعراء العصر الحديث أمثال : نازك الملائكة وعبدالوهاب البياتي ، إيليا أبوماضي ، وبدر شاكر السياب ، وجبران خليل جبران . . . خاصة أولئك الذين تأثروا بالثقافة الغربية التي جعلتهم يربطون جودة الشعر بالإبتعاد عن عمود الشعر العربي بدعوى أنه يجعل الشكل يطغى على المضمون كما تدعي ذلك نازك الملائكة في كتابها "قضايا الشعر المعاصر حيث تقول :"إن الشاعر الحديث يرفض أن يقسم عباراته تقسيماً يراعي نظام الشطر ، وإنما يريد أن يمنح السطوة المتحكمة للمعاني التي يعبر عنها ونظام الشطرين كما سبق أن قلنا متسلط يريد أن يضحي الشاعر بالتعبير من أجل شكل معين من الوزن والقافية الموحدة مستبدة لأنها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه في البحث عن عبارات تنسجم مع قافية معينة ينبغي استعمالها ، ومن ثم فإن الأسلوب القديم عروضي الاتجاه يفضل سلامة الشكل على صدق التعبير وكفاءة الانفعال ويتمسك بالقافيه الموحده ولو على حساب الصور والمعاني التي

تمل نفس الشاعر ، وكل هذا إيثار للأشكال على المضمونات بينما يريد العصر أن ينشغل بالحياه نفسها وأن تبدع فيها أنماط تستنفذ طاقته الفكرية والشعورية الزاخرة إن كل ميل إلى تحكيم الشكل في المعني يغيظ الشاعر المعاصر ويتحداه ، وهذا هو السبب في مانراه من مبالغة بعض الناشئين في استعمال الأوزان الحرة حتى كادوا ينبذون الأوزان القديمة نبذاً تاماً " (١)

وأنا في هذه الدراسة لا أتعرض لتفصيل هذه القضية ولكن يكفى أن أسأل ألا نرى مضموناً في قول إمرىء القيس وهو يصف الأمطار والسيول التي نزلت بقومه بني أسد بالقرب من تيماء في شمال الحجاز . (٢)

أصاح ترى برقاً أريك وميضَه ... كلمعِ اليدين في حبي مكلل

يضيء سناه أو مصابيح راهب ... أهان السليط في الذبال المفتل

فعدتُ له وصحبتي بين ضارجٍ ... وبين العذيب بعد ما يتأملي

وأضحى يسح الماء عن كل فيقة ... يكب على الأذقان دوح الكنهبل

كأن مكاكي الجواء غدية ... صبحن سلافاً من رحيق مفلفل

وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ... ولا أطماً إلا مشيداً بجندل

وفي قول ابن الرومى : ـ (١)

بكاؤكما يشفى وإن كان لايُجدى ... فجودا فقد أودى نظير كما عندى

---

(١) قضايا الشعر المعاصر لنازك الملائكة ص ٦٢ .

(٢) شرح ديوان إمرىء القيس ، حسن السندوبي ط٧ ، المكتبة الثقافية ـ بيروت ـ لبنان ص ١٥٦ .

(٣) ديوان ابن الرومي ، شرح الشيخ محمد شريف سليم ج٢ دار إحياء التراث العربي بيروت ـ لبنان .

وفي قول أبي العلاء المعري وهو يرثي فقيهاً ـ صديقاً ـ حنفياً : ـ (١)

غير مجدٍ في ملتي واعتقـــادي نـــوحُ باكٍ لا ترنمُ شـــــادي
وشبيه صوت النعي إذا قيـــــــ ـس بصوت البشير من كل نادي
أبكتْ تكلم الحمامةُ أم غنتْ على فرعِ غصنها الميادِ ؟
صاح ، هذي قبورنا تملأُ الرحـ ـبَ فأيـن القبور من عهد عـــادِ
خففْ الوطـ ، ماأظن أديمَ الـــ أرضِ إلا مــن هــذه الأجســـادِ

ومن المهم أن نعلم أيضاً من خصائص إبراهيم الفنية عدم ميله إلى الصناعة اللفظية " ولم يكن إبراهيم يحب الصناعة لا يحب أن يقرأ الأدب المثقل بالصناعة ولا ينظم شعراً فيه مثل ذلك " فكان لا يميل إلى قراءة الأدب العربي القديم المشتمل على الصناعات اللفظية كالمقامات والرسائل المرصعة بالسجع والبديع وهذا يجعلني أشعر بأن إبراهيم يحب "الفكرة البسيطة"(٢) كما يقرر الدكتور فروخ فلا يجهد نفسه بالبحث عن ألفاظ بديعية يرصع بها شعره ولا عبارات معقدة يوشي بها نظمه فمن ذلك قوله (٣) في نكبة فلسطين : ـ

اخواننا أهل الوفاء أهل المودة والـــــولاء
من كل قطر بالعرو بة ذى ازدهار وازدهاء

---

(١) شروح سقط الزند ـ السفر الثاني ـ القسم الثالث ـ المجلد الثالث ، المكتبة العربية ص ٩٧١ .
(٢) شاعران معاصران ص ٧٨ .
(٣) السابق ص ١١٥ .

أحبابنا لا تخدعـــوا   عنا بظاهرة الثـراء
ليست فلسطينُ الرخيةُ   غير مهدِ للشقــاء

فهو لا يتعمق في المعاني ولا يغوص في أسرارها وإنما يتناول الكلمات الظاهرية ولا يريد أكثر مما يعني ظاهراً ، فهو لايميل إلى التورية ولا يوغل في الاستعارات والمجازات وهذا مالمسته عند قراءتي لمعظم شعره .

وفي نظري أن هذا الأمر ليس في ميزة الشاعر بقدر ماهو مأخذ عليه إذا تمادى في البساطة والسهولة ولم يترك للقارىء فرصة التفكير والانطلاق والتحليل الأدبي لشعره . .

أما أغراضه الشعرية : فكانت شاملة تقريباً فقد نظم في الغزل والمجون والسياسة والأحوال الاجتماعية والرثاء والمدح . فشعره الوطني والسياسي كان مرآة واضحة للحال التي كان يعيشها الشعب الفلسطيني في تلك الفترة لدرجة أنه تنبأ بما سيؤول له الوضع السياسي والاقتصادي والاجتماعي في فلسطين إذا استمر الحِال على ماهو عليه (١) "من أجل ذلك لا أظنك تعجب إذا قلت لك إن إبراهيم كان جازعاً من المصير الذي كان ينتظر عرب فلسطين وإن ماحدث عام ١٩٤٨م كان إبراهيم يراه بوضوح قبل خمسة عشر عاماً وقبل عشرين عاماً ، قال (١٩٥٣هـ) : ـ (٢)

---

(١) بيع الأراضى الفلسطينية لليهود بأسعار باهظه ولكن .
(٢) شاعران معاصران ص ١١٤ .

أمامك ، أيها العربي يـــــومٌ تشيبُ لهولِهِ سودُ النواصـــي
وأنت ـ كما عهدتك ـ لاتبالي بغيرِ مظاهرِ العبثِ الرخـــاصِ
مصيرك باتَ يلمسُه الأدانـــي وسار حديثُه بينَ الأقاصـــي
فلا رحب القصور غداً ببـــاقٍ لساكنها ولا ضيق الخصاصِ

بالفعل كان إبراهيم طوقان صاحب نظرة مستقبلية ثاقبة من خلال تنبئه بما سيحدث في فلسطين ومحاولته إصلاح الشعب وإيقاظه مما فيه من سبات وانجراف خلف الاموال التي لابد وأنها ستزول في يوم من الأيام فما يعطوه اليهود للفلسطينين بيد يأخذونه باليد الأخرى ، وذلك ما ذكره إبراهيم طوقان في كثير من شعره لدرجة أنه لم يترك جانباً سياسياً وإلا تعرض له في شعره .

ويقول الدكتور كامل السوافيري في شعر إبراهيم السياسي :"ويقف إبراهيم طوقان في الشعر السياسي على رأس الشعراء الفلسطينين إذ لم يترك جانباً سياسياً دون أن يخوض فيه وحتى في قصائده في الرثاء لم يكن يتناول المرثي إلا في أبيات ـ لاتزيد على أصابع اليدين ـ ينتقل بعدها إلى الموضوعات السياسية " (١) أما موضوعاته الاجتماعية فمنها "الدعوة إلى التضامن والإخاء ونبذ الخلاف وتناسي الخصومة وتوحيد الجهـــود ، والممرضات وعطفهن في قصيدته "ملائكة الرحمة" ومنها الثورة على المرجفين

(١) الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ط١ ، ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م مكتبة الانجلو المصرية القاهره ص ١١٠

والبائسين من تحقيق الأهداف الوطنية ولقد حارب إبراهيم الضعف والوهن والتشاؤم وفتح منافذ التفاؤل وإشراق الأمل في النفوس وحيا الشباب المجاهد أمل البلاد وحيا فيه التزود بالعلم والتسلح بالخلق وحب العمل " (١)

فمرض إبراهيم طوقان لم يشغله عن قضايا وطنه وشعبه بل كان متحمساً جداً لأن يوضح للشعب الفلسطيني من خلال شعره نوايا اليهود وأغراضهم الدنيئة وخططهم الإجرامية فقد تبنى إبراهيم ذلك كله وكثيراً ما وقف في المناسبات الاجتماعية داعياً شعبه بأن لايُغرّو بما ينالونه من أسعار مرتفعة عند بيعهم أراضيهم لليهود وحاثاً الشباب على النهوض والعمل والمثابرة وعدم التقاعس والتشاؤم ومشيداً بالأبطال الذين وهبوا أرواحهم رخيصة من أجل الوطن ، وهذا كله يضاف إلى جهوده في الساحة الأدبية ولكن لايمنع ذلك من وضع إبراهيم في موضعه دون مبالغة ولا محاباة في ترفيعه وإعلاء مكانته الشعرية من حيث الخصائص الأسلوبية ، وذلك ما لمسته في كتاب الدكتور عمر فروخ شاعران معاصران إذ أخذ الدكتور فروخ يمجد إبراهيم طوقان من جميع النواحي الاجتماعية والأخلاقية والشعرية مع أنه ـ في نظري ـ شاعر جيد كغيره من الشعراء ألفاظه سهلة ومعانيه واضحة إلى جانب أن له غزلاً ماجناً مما يدل على أن سلوكه كان مشبوهاً إلا أن معانيه في شعره القومي والوطني والاجتماعى كانت جيدة .

---

(١) الاتجاهات الفنية فى الشعر الفلسطينى المعاصر ط١ ١٣٩٣هـ ١٩٧٣م مكتبة الانجلو المصرية القاهرة ص ١١٢

ب ــ خصائص أعمال الشابي الفنية :

يعرض الدكتور عمر فروخ خصائص أبي القاسم الشابي الفنية من خلال كتابه "شاعران معاصران " و "الشابي شاعر الحب والحياة" وإن كان الكتاب الأول ـ شاعران معاصران ـ لا يحتوي على كثير من خصائص الشاعر الفنية نظراً لأن المؤلف خص القسم الأكبر من هذا الكتاب بالشاعر إبراهيم طوقان

أما كتابه "الشابي شاعر الحب والحياة" فإنه يتناول حياة الشاعر ومرضه وخصائصه والأراء التي قيلت فيه بشيء من الاسهاب ، فهو يذكر في خصائص الشابي "جرى الشابي في شعره على أسلوبين : أسلوب فخم متين النسج جاء به في طوره الأول في الأكثر وخص به قصائده في الحكمة والرثاء والفخر ، ثم أسلوب لين سلس جاء به في القصائد التي طواها على أغراضه الوجدانية والخيالية " (١)

كما أثبت في كتابه أن الشابي شاعر وجداني خيالي التفكير رومانسي المذهب "الشابي خيالي التفكير خيالي التعبير يبحث عن مثل أعلى من صنع هذه الخيال فلا يجده في العالم الذى يعيش فيه فينقلب شاكيا باكيا ثم تصطبغ آرؤه وتعابيره بالأسى والحزن والكآبة والوجود " (٢) ومن ذلك قوله في قصيدة نشيد الأسى " (٣) : ـ

---

(١)الشابى شاعر الحب والحياة ط٣ دار العلم للملايين ١٩٨٠م ص ١٧٩ .

(٢) السابق ص ١٩٧ .

(٣) ديوان أبى القاسم الشابى دار العودة بيروت ١٩٨٨م ص ٣٠٨ .

مهما تضاحكت الحياة فإننى أبداً كئيـــــب
أصغى لأوجاع الكـــآ بة ، والكآبة لا تجيــب
فى مهجتى تتأمر البلــ ـوى ويعتلج النحيـــب
ويضج جبار الأســـى وتجيش أمواج الكـروب
إنى أنا الروح الـــذى سيظل فى الدنيا غريب
ويعيش مضطلعاً بأحــ ـزان الشبيبة والمشيب

وما كل ذلك الحزن والأسى ـ في رأيي إلا لأن الشاعر يعاني مرضاً عضالاً ينذر بقرب نهايته فليس سهلاً على الإنسان أن يرى نفسه وشبابه يموت أمام عينيه رويداً رويداً دون أن يستطيع فعل شيء فلا بد أن يترك ذلك الأمر أثراً كبيراً عليه لاسيما إذا كان شاعراً وشاعراً وجدانياً .

أما أغراضه ومعانيه فيقول فيها الدكتور عمر فروخ :"أغراض الشابي محدودة في نطاقها فهي تدور في الوجدانيات وما يتبعها من التأمل في الحياة وكان الشابي منذ طوره الأول قد قال إنه عازف عن الفنون المألوفة التقليدية مكتفٍ بما يعبر فيه عن شعوره . . ولقد وفى الشابي بماشرط على نفسه في ذلك فإذا أغراضه الدائرة في ديوانه التأمل في الحياة الطبيعية (الغابة ، العصفور ، الزنبقة ، الخريف ، المساء) وفي الحياة الاجتماعية (السياسة والوطنية والحياة الأدبية) وفي الحياة الماورائية (الله ، الموت) ثم الموضوعات الوجدانية (رثاء أبيه ، المجد) والموضوعات النفسانيات

(الكآبة ، الشعر ، الأمومة والطفولة ثم الغزل والحب" (١)

فهذه هي أغراضه ومعانيه التي التزم بها فلم يكن شاعر تكسب ولم يجعل من الشعر مهنة يرتزق بها إلى جانب أنه ابتعد عن العمل الحكومي وهو في أمس الحاجة إليه لأنه لايريد أن يربط فكره بآراء الدولة أو الفئة التي يعمل معها ، وقد تأثر الشابي بالأدب المهجري لكثرة مطالعته لهذا الأدب "إن أثر الأدب المهجري في تفكير الشابي وأدبه يكاد يفوق أى عامل سواه ويعود ذلك إلى سني الدراسة الأولى حيث عُرف عن الشابي أنه كان يُكثر من قراءة الأدب المهجري وحفظ أشعاره وليس من شك في أن النفس البشرية تتأثر أشد ما تتأثر في طفولتها فترتسم فيها كل صورة من صور الوجدان والفكر ، وكل طبع من طبائع السلوك والأخلاق ، والشابي كان عند مطالعته لكتب الأدب المهجري دون الخامسة عشرة من عمره وهي سن جد خطيرة في التفكير والسلوك والعادات " (٢) فقد كان معجباً بالشاعر المهجري جبران خليل جبران ، ويذكر الدكتور عمر فروخ أن الشابي كان أشعر من الذين قلدهم "فالشابي شاعراً خير من جبران بلا ريب ولعله في قصائده المختارة يتقدم أيضا على أبي ماضي " (٣)

ويذكر من خصائص الشابي التي تعيبه ـ في رأيه ـ تناول الموضوع من

---

(١) الشابى شاعر الحب والحياة ص ٢٠١ .

(٢) الشابى حياته وشعره لبى القاسم كرو ص ٩٧ ط جديدة الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م .

(٣) الشابى شاعر الحب والحياة ط٣ دار العلم للملايين ص ١٣٠ .

جميع أطرافه بجميع ظلاله إلى حد التكرار الممل حيث يقول :"فمن خصائص الشابي تناول الموضوع من جميع أطرافه بجميع ظلاله ما أمكن ، إلى حد التكرار الممل ، يتكلم الشابي عن شعره مثلا فيقول : ـ (١)

فيك مافي عوالمي من ظــلام   سرمدي ومن صباح وليـــــدِ
فيك مافي عوالمي من نجــومٍ   ضاحكاتٍ خلفَ الغمامِ الشرودِ
فيك مافي طفولتي من سـلامٍ   وابتسامٍ وغبطةٍ وسعــــــودِ
أنت ياشعرُ قصة من حياتــي   أنت ياشعرُ صورةً من وجودى

وقد نظم الدكتور فروخ أبياتاً يعارض فيها الشابي ليدلل على أن كثيراً مما نظم الشابي وأبناء مذهبه ليس شيئاً وراء الطاقة البشرية العادية ، وفي رأيي أن هذا الشعر لايعيب الشابي أو يحط من عبقريته الشعريه فليس في مقدور كثير من الشعراء الاحاطة بالفكرة التي يتناولها وكثيراً ما نجد سطحية وبعداً عن الموضوعية في كثير من شعر الشعراء واعتقد أن ما يقدم شاعراً على آخر قدرته على الغوص في موضوعه ورسم صورة دقيقه لكل جزئياته. ومع ذلك فهناك من أعلام الشعر الذين طبقت شهرتهم الآفاق كان لهم من بساطة التعبير مالم ينل منهم أو يقلل من مكانتهم فبشار بن برد مثلاً يداعب جاريته في أسلوب سهل واضح لاغموض فيه ولا التواء فيقول :

ربابةَ ربةُ البيـــتِ   تصبُ الخلَ في الزيتِ
لها عشرُ دجاجاتٌ   وديكٌ حسنُ الصــوتِ

فهذاالشعرليس وراء الطاقة البشرية العادية وإنما هو شعرسهل ميسور.

---

(١) السابق ص ٢٠١ .

كما يعيب الدكتور عمر فروخ على الشابي نقمته على عمود الشعر ويتهمه بالنقمة على الحياة العربية الأصيلة وتجنب الألفاظ الإسلامية فيقول "والشابي كأمثاله من الناقمين على عمود الشعر العربي وعلى الحياة العربية الأصيلة أراد أن يتجنب الألفاظ الإسلامية النفحة العربية الملامح ليتبدل بها ألفاظاً وثنية الأصل عامية الاستعمال خاصة في طوره المتأخر " (١)

وقد أسفت كثيراً لهذا النقد اللاذع الذي وجهه الدكتور عمر فروخ للشابي وهذه الاتهامات الخطيرة مما يشعر من يقرؤها بأنه أمام شاعر متهم في دينه وخلقه وفكره فما الذي يجعلنا نسيء الظن بأخلاق الرجل ومعتقده وليس هناك ما يدل على أنه كان وثنياً أو غير حافل بالدين ، بل على العكس نجده يصوم رمضان رغم مرضه ورغم رخصة الدين لمن لايستطيع الصيام في رمضان فقد قال الله تعالى " ياأيها الذين آمنوا كُتِبَ عليكم الصيامُ كما كُتِبَ على الذين من قبلكم لعلكم تتقون . أياماً معدوداتٍ فمن كان منكم مريضاً أو على سفرٍ فعدة من أيام أخر ، وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين فمن تطوع خير فهو خير له ، وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون " (٢)

كما أن الدكتور يثبت صومه في رمضان بقوله :"وكذلك لم يرعَ حق جسده فكان يصوم رمضان ويتناول سحوراً دسماً يحتاج إلى تسخين "(٣)

(١) الشابى شاعر الحب والحياة ط٣ دار العلم للملايين ص ١٨٠ .

(٢) سورة البقرة ايه (١٨٣ ـ ١٨٤) .

(٣) الشابى شاعر الحب والحياة د . عمر فروخ ط٣ دار العلم للملايين ـ بيروت ص ٢٨ .

ويذكر حادثه له في ليلة من ليالي رمضان مع أخ زوجته عندما طلب منه أن يسخن السحور " (١) فما دام الشاعر يصوم رمضان رغم مرضه لانستطيع أن نقول عنه أنه غير حافل بالدين ، كذلك من الأمور التي توضح لنا معتقد الشابي واحتفاله بالدين إيمانه بالقضاء والقدر وهذا أمر مهم فالإيمان بالقضاء والقدر من صفات المؤمن ، وما يدل على إيمانه بالقضاء والقدر قولـــه : ـ

مالي تعذبني الحيـــا ة كأنني خلق غريـــــب

وإذا سألت : لم الوجو د وكله هم مذيـــــب

قالت : نواميس السماء قضت ، ومالك من هروب

فإيمانه بالقضاء والقدر واضح مما يدل على احتفاله بالدين وتعاليمه .

أما نقمته على عمود الشعر العربي فإنها لم تكن جديدة ولم يكن هو مخترعها إذ نجد أن بعض الشعراء منذ أواخر العصر الأموي يأخذون في محاولات تخرج عن عمود الشعر العربي في أشعارهم ، وماكاد يطل العصر العباسي حتى وجدنا أن كثيراً من الشعراء صرحوا في أشعارهم نقمتهم على عمود الشعر العربي ، ومع ذلك ساروا عليه ، وكذلك كان أبوالقاسم الشابي لا يتقيد بعمود الشعر العربي دائماً ويدعو للتحرر منه نظراً لتأثره بالأدب المهجري والأدب الغربي المترجم ، ومع ذلك نجده كثيراً ما يلتزم به فمعظم

---

(١) انظر الحادثه في المصدر السابق ص ١٥٠ .

شعره موزون مقفي .

ومن شعره الموزون المقفي قصيدته "أغنية الشاعر" : ـ (١)

يا ربة الشعر والأحلام غنيني فقد سَئِمتُ وجومَ الكونِ من حينِ
إن الليالي اللواتي ضَمَخَتْ كبدي بالسحر أضحتْ مع الأيامِ ترمينيى
ناخت بنفسي مآسيها ، وماوجدتْ قلباً عطوفاً يسليها ، فعزيني
وهدِ من خلدي نوحُ ، ترجعه بلوى الحياة ، وأحزان المساكين
على الحياة أنا أبكي لشقوتها فمن إذا متُّ يبكيها ويبكيني

وقصيدته " الأبد الصغير " : ـ (٢)

ياقلب ! كم فيك من دنيا محجبة كأنها حين يبدو فجرها "إرم"
ياقلب ! كم فيك من كون قد اتقدتْ فيه الشموس وعاشت فوقه الأممُ
ياقلب ! كم فيك من أفق تنمقه كواكب تتجلى ثم تنعدمُ
ياقلب ! كم من مسرات وأحيلة ولذة يتحامى ظِلّها الألمُ
غنت لفجرك صوتاً حالماً ، فرحاً نشوان،ثم توارتْ،وانقضى النغمُ

إلى غير ذلك من القصائد مثل :"الصيحة ،الزنبقة الزاوية ،غرفة من يم ، وقيود الأحلام ، إلى الطاغية (٣) . . . أما خروجه عن عمود الشعر العربي في بعض الأحيان لم يكن خروجاً متطرفاً داعياً إلى الشعر الحر بل كان

(١) ديوان الشابى دار العود بيروت ص ١٧٥ .
(٢) المصدر السابق ص ٢٥٧ .
(٣) انظر هذه القصائد فى ديوانه .

خروجا متزناً قريباً مما كان قد انتهجه كثير من الشعراء منذ العصر العباسي ومروراً بالعصر الأندلسي كقصيدة "أكثرت ياقلبي فماذا تروم" (١) التي يقــول فيهــا : ـ

ياقلبي الدامي ! إلامَ الوجوم
يكفيك ! إن الحزن فظٌ غشوم
هذي كؤوسي مُرّة كالردى
ماملؤها إلى عصير الهموم
وذاك نايي صامتٌ واجم
يصغي إلى صوت الغرام القديم
ياقلبي الباكي إلامَ البكا ؟
مافي فضاء الكون شيء يدوم
فانثر غبار الحزن فوق الدُجَى
واسمع إلى صوت الشباب الرخيم

وأما نقمته على الحياة العربية الأصيلة كما يذكر الدكتور عمر فروخ فيمكن لي أن أقول حولها : إنّ نقمة الشابي لم تكن على الحياة العربية الأصيلة وإنما على الحياة بصفة عامة وإن كان في بعض الأحيان ينقم على الحياة في بلده تونس وعلى الشعب التونسي ، وما ذلك في رأيي ـ إلا لأن الشاعر عانى

(١) المصدر السابق ص ٢٣٠ .

وطأة الاستعمار والاحتلال الأجنبي ، ورأى ماكان عليه الشعب من النفاق أحياناً والجبن في أحيان أخرى ، فكان يحاول إصلاح المجتمع من خلال شعره ، وعندما يشعر أن صوته ونداءاته تذهب أدراج الرياح ينقم على هذا المجتمع وعلى هذه الحياة لكن مما لاشك فيه أن الشابي كان يحب وطنه ويحاول إصلاحه دائماً من خلال شعره ، ويتبين لنا مدى حبه لبلده تونس من قصيدته :" تونس الجميلة " : ـ (١)

لست أبكي لعسف ليل طويل   أو لربع غدا العفاء مراحـــه
إنما عبرتي لحظب ثقيـــــل   قد عرانَا ولم نجدْ من أزاحَه
كلما قام في البلاد خطيـــبٌ   موقظٌ شعبه يريد صلاحَـــه
البسوا روحه قميصَ اضطهاد   فالكِ شائك يردُّ جماحَـــه

إلى أن يقول : ـ

أنتِ ياتونس الجميلة في لج   الهوى قد سبحت أي سباحَة
شِرْعَتِي حبكِ العميق ، وإني   قد تذوقت مُرَه وقَراحــــه
لست أنصاع للواحي ولومتُ وقامت على شبابي المناحة
لاأبالي . . .إن أُريقتْ دمائي   فدماءُ العشاقِ دوماً مباحــه

فالشابي شاعر محب لوطنه متفانٍ في هذا الحب لدرجة النقمة والتضجر من سوء أحوال الشعب وسوء تصرفاتهم التي قد تؤدى إلى ضياع تونسهم

(١) ديوان الشابى دار العودة بيروت ص ٥٩ .

وهذا ما يقرره الدكتور عمر فروخ عند قوله "لقد أنصف الشابي بلده في شعره فلم يكتف بأن يصفه وصف ناقم أو راحم فقط ، بل كان يحث قومه على الرقي ويمنيهم بالنتائج التي يمكن أن يصلوا إليها إذا هم استيقظوا ونهضوا ، غير أنه أيضا كان في بعض شعره السياسي متشائماً نافضاً كلتا يديه من إمكان الإصلاح أو أمل النهوض " (١)

وبهذا القول للدكتور عمر فروخ نستطيع أن نلمس الأسباب التي جعلت الشابي ناقماً على الحياة في بلده وليست الحياة العربية الأصيلة . كما يمكن أن أضيف : إن نقمة الشابي على الحياة كانت لأسباب كثيرة أهمها مرضه فيجب ألا يغيب عن أذهاننا أن الشاعر كان مريضا مرضاً عضالاً منذ طفولته أو الطور الأول من شبابه وكان يعلم أن هذا المرض يهدده ويفقده كثيراً مما كان يحب أن يمارس من أنشطة رياضية ولعب ولهو،فماتأثيرذلك كله عليه ؟! نراه يقول في إحدى مذكراته:"في سكون الليل،ها أنا جالس وحدي في هاته الغرفة الصامته إلى مكتبي الحزين ، أفكر بأيامي الماضية التي كفنتها الدموع والأحزان ، واستعرض رسوم الحياة الخيالية التي تناثرت من شريط ليالي وأيامي وذهبت بها صروف الوجود إلى أودية النسيان البعيدة النائية . . ها هم أصدقاء طفولتي الحالمة التي عرَفتهم في بلاد كثيرة هاهم يتراكضون بين المروح الخضراء ويجمعون باقات الشقيق والأقحوان ثم يتسلقون الجبال

(١) الشابى شاعر الحب والحياة ط٣ دار العلم للملايين ١٩٨٠م ص ١٣٠ .

متتبعين أعشاش الطيور الصيفية ومترنمين بتلك الأغاني البريئة الطاهرة ."(١)

هذا إلى جانب الأحداث المؤلمة التي تعرض لها الشاعر كوفاة والده ، ووفاة الفتاة التي أحبها وتفرق الأصحاب عنه يقول الشابي في ذلك : ـ

ذل قلبي

مات حبي

فاذرفي يا مقلةَ الليل الدراري عبرات

حول حبي فهو قد ودّع آفاق الحياة

بعد أن ذاق اللهيب

واندبيه

واغسليه

بدموع الفجر في أكواب زهر الزنبق

فهو يبكي حبه الذي مات وانتهى من الحياة . كما أنه يبكي والده في شعره وفي مذكراته ، فلو علمنا مدى تعلق الشاعر بأبيه للمسنا له العذر في حزنه الشديد وكآبته الدائمة .

فهذا المرض الذي ألم به وهذه الأحداث المؤلمة التي واجهته في مقتبل شبابه كانت قمينة بأن تجعل شاعرنا الوجداني ـ الذي لايكتب إلا ماتجيش به نفسه وتنبض به خواطره ـ متشائماً وناقماً على الحياة وحزيناً في معظم شعره وليس في كله إذ نراه يقول : ـ

ساعيش رغم الداء والأعداء　　　كالنسر فوق القمة الشمّاء

---

(١) السابق ص ١٤٧ .

ـ كتابه " الخيال الشعري عند العرب " : ـ

لم أتمكن من الاطلاع على محاضرته أو كتابه "الخيال الشعري عند العرب" فالكتاب مفقود ولم تكرر طباعته :"والكتاب مفقود اليوم في المكتبات مع أنه الأثر الوحيد من بين آثار الشابي الذي طبع في حياته وأتيح للناس أن يقرأوه وأظن أن الجيل الحاضر لم يعرف من الكتاب إلا أسمه ، وقليل هم أولئك الذين قرأوه " (١) لكنني استطعت أن أعرف مضمون هذا الكتاب أو المحاضرة من بعض المؤلفات التي تحدثت عن الشابي وآثاره وعلى رأسها كتاب "الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ" الذي يذكر موجز للمحاضرة في صفحات كتابه (١٥٣ ـ ١٦٠) كما يذكر أبوالقاسم محمد كرو مضمون الكتاب :"أما من حيث موضوعه فهو دراسة نقدية مقارنة بين الخيال الشعري عند العرب وعند الأوروبيين " (٢)

فالشابي كان يقارن بين الأخيلة الشعرية عند العرب وعند الأوروبيين وكأنه أراد أن يمجد الأدب الأوروبي ، ولكن للأسف جاء هذا التمجيد على حساب الأدب العربي إذ نراه يقول :"والعرب عرفوا عدداً من الآلة (الأصنام) وذكروها في أمثالهم وأشعارهم وعرفوا كذلك الشياطين وعدداً من الخرافات ، ولكنهم لم يخرجوا من ذلك عن تأليه الموتى أو تقليد الأمم الأخرى ولانرى واحدة من أساطيرهم تشرق بالفن أو الحياة ، أما أساطير الأمم الأخرى فقد

---

(١) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم محمد كرو ط جديدة الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م ص ١٢٨ .
(٢) السابق ص ١٢٩ .

كانت مشبعة بالروح الشعرية الجميلة زاخرة بفلسفة الحياة الفنية الراقصة في ظل الخيال " (١)

ألم يقرأ شاعرنا المعلقات في الأدب الجاهلي ؟! ألم يطلع على ديوان العرب القديم الزاخر بالأخيلة الشعرية الجميلة ؟! ألم يعش للحظات مع ديوان امرىء القيس أو طرفة العبد ، أو عنتره بن شداد العبسي ، أو عمرو بن كلثوم . . . وغيرهم كثير .

لقد حزنت كثيراً عندما قرأت موجز هذه المحاضره في كتاب أستاذنا الدكتور عمر فروخ لما اشتملت عليه من تقليل أو استهانة بالأدب العربي القديم وأنه لم يعد يصلح لعصرنا الحديث "إن أدب العرب مادي لا سر فيه ولا إلهام ولاتشوق إلى المستقبل ولانظر إلى صميم الأشياء ولباب الحقائق . . . إن الأدب العربي كان في جميع العصور التي تحدثنا عنها أدباً حياً صحيحاً فياضاً بكل ما تصبو إليه آمال تلك الشعوب من صور الحياة ومثلها المختلفة ، ولكني أقول إنه لم يعد ملائماً لروحنا الحاضرة ولمزاجنا الحالي ولأميالنا* ورغائبنا في هذه الحياة ، لقد أصبحنا نتطلب أدباً جديداً نضيراً يجيش بما في أعماقنا من حياة وأمل وشعور ، وهذا ما لانجده في الأدب العربي ولانظفر به لأنه لم يخلق لنا نحن أبناء هذه القرون ، وإنما خلق لقلوب أخرستها سكينة الموت أما نحن فمازلنا بعد من أبناء الحياة ، ولهذا

---

(١) الشابي شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط٣ دار العلم للملايين ص ١٤٥ ، ١٥٥ .

(*) الصحيح : ميولنا .

لاينبغي لنا أن ننظر إلى الأدب كمثل أعلى للأدب الذي ينبغي أن يكون ، بل يجب أن نعده كأدب من الآداب القديمة التي نعجب بهاونحترمهاليس غير" (١)

فهذه اتهامات خطيرة اتهم بها الشابي الأدب العربي القديم وأراد أن يضعه في مؤخرة اهتمامات الأدباء والمثقفين العرب ويجعله أدباً جامداً لايمكن محاكاته أو الاستفادة منه ، وأنه لابد من البحث عن أدب آخر يلائم أبناء هذه القرون ورأى أن ذلك لايكون إلا بتقليد الأدب الأوروبي فيقول :"وأريد الآن أن أتلو على مسامعكم كلمتين لشاعرين من شعراء الغرب أولاهما (لامرتين) وآخراها لجيتى(غوته) حتى تتبينوا الفرق بين الرنة العربية الساذجة البسيطة والرنة الغربية العميقة الداوية (المدوية) " (٢)

فماذا يمكن لي قوله بعد هذا الكلام الذي يسيء الشابي به لكل عربي أصيل وقبل ذلك يسيء لنفسه ولكني اكتفي بتعليق الدكتور عمر فروخ الذي لم يرض بهذا القول من منطلق الإنصاف والموضوعيه فأخذ يلوم الشابي في موازنته بين الأدب العربي والأدب الفرنسي والألماني ويتعجب من هذه الموازنة التي تصدر من شخص لا يفقه شيئاً في اللغات الأجنبية :"وأنا لا ألوم الشابي على هذا الرأي الخطير لأنه كان ـ حينما ألقى محاضرته : الخيال الشعري عند العرب ـ لايزال طفلاً في العشرين من عمره ثم إنه كان لايعرف لغة أجنبية . من أجل ذلك وحده لاتقبل موازنته بين الشعر العربي والشعر

---

(١) السابق ص ١٥٨ .

(٢) الشابى شاعر الحب والحياة للدكتور عمر فروخ ط٣ دار العلم للملايين ص ١٥٦ .

الفرنسي والشعر الألماني وهو لايفقه لغة أجنبية " (١) علاوة على أن أهل تلك اللغات قد اعترفوا بتأثرهم بالأدب العربي واعتمادهم عليه في كثير من آدابهم .

فالشابي قد اشتط في آرائه حول الأدب العربي القديم وحول الأخيلة الشعرية عند العرب ، ولا أرى سبباً في ذلك غير أنه أراد أن ينشىء مدرسة أدبية شعرية جديدة معتمداً فيها على الأدب الآوروبي ، وكان يمكن أن يحقق ذلك دون مساس بالأدب العربي القديم أو الإنقاص والتقيل والتقريع واستعمال الكلمات الخارجة مثل : التسفل ، الانحطاط ، السذاجة ، البساطة فهذا هو الأدب العربي البليغ الذي نزل به القرآن الكريم بلغته العربية معجزاً لأهله ومتحدياً لعباقرته فكما نعلم جميعاً أن المعجزات الالهية لاتكون إلا في أمر برع فيه أهله إلى درجة العبقرية كي تكون الحجة قوية ، فالعرب كانوا بلغاء فصحاء في شعرهم ونثرهم لذلك نزل القرآن الكريم بلغتهم إعجازاً لهم فكيف يأتي شاعرنا الشابي ويدّعي بأن الشعر العربي القديم كان على وتيرة واحدة وروحه خطابية مشتعلة لاتعرف الأناة في الفكر "إن كل ما أنتجه الذهن العربي في مختلف عصوره كان على وتيرة واحدة ليس له من الخيال الشعري حظ ولا نصيب ، والروح العربية خطابية مشتعلة لا تعرف الأناة في الفكر فضلاً عن الاستغراق فيه و (هي) مادية محض لا تستطيع الإلمام بغير

---

(١) السابق ص ١٥٩ .

الظواهر " (١)

وهذا الأدب لا يصلح لنا نحن أبناء هذه القرون ، فما دام الشعر العربي القديم لا يصلح لنا نحن أبناء هذه القرون كما يدّعي الشابي فهل معنى هذا أن الشابي يلمزالقرآن الكريم الذي نزل بلغة العرب ومضى على نزوله خمسة عشر قرناً تقريباً ؟!

إن أحداً لا يستطيع ـ على مر العصور ـ أن ينكر أن القرآن الكريم علاوة على أنه المصدر الأول الذي نستقي منه تعاليم ديننا الإسلامي فهو أيضاً المصدر الأول لصقل المواهب الأدبية . فمداومة تلاوته تساعد الأديب أو المتأدب على الإجادة والتمكن والتطور الأدبي ، وكذلك الأدب العربي القديم بالنسبة للأدباء على مر العصور حتى وإن أرادوا التجديد فلا غنى لهم عن الأدب العربي القديم الذى يتميز بمتانة الأساليب وجودة الأفكار وتنوعها .

ومجمل القول : إن الشابي الذي عاش ربع قرن من الزمان ترك لنا شعراً جيداً وآراءً لابأس بها بالنسبة لشعره ، فنحن لانلومه في آرائه نظراً لأحواله النفسية والصحية التي أثرت كثيراً عليه ، ولكن مانلومه عليه أشد اللوم هو رأيه في الأدب القديم وتحيزه الشديد للأدب الأوروبي دون دليل مقنع أو نقد موضوعي علمي ـ ولكن هو التحيز فقط خاصة إذا تذكرنا أنه متأثر جداً بالأدب المهجري الذي كان يسخط على الأدب العربي القديم ويحاول التجرد منه ويدعو إلى تقليد الأدب الغربي .

---

(١) نفسه ص ١٥٨ .

فتأثره بهذا الأدب كان سبباً من الأسباب التي جعلته يمجد الأدب الأوروبي مع أنه لايجيد أو بالأحرى لايعرف لغة أجنبية إطلاقاً كما عُرف عنه وكما يؤكد ذلك الدكتور عمر فروخ .

الفصل الثاني

نقد الشعر الحديث

الفصل الثاني

نقد الشعر

يتناول الدكتور عمر فروخ الشعر الحديث بالنقد والتحليل من خلال كتابه "هذا الشعرالحديث" الذي ألفه ليكون بمثابة مقدمة لبعض أشعاره حيث يقول :"كان المقصود بمادة هذا الكتاب أن تكون مقدمة لمجموع من أشعاري أحببت نشرها (والمفروض أن تظهر في وقت واحد مع هذا الكتاب) فلما دعت الضرورة إلى أن تكون المقدمة كتاباً مستقلاً (بعد أن اتسعت كثيراً فلم يكن بد من توسيع تلك المقدمة " (١) فقد أراد الدكتور عمر فروخ أن يضع مقدمة لديوانه "فجر وشفق" (٢) وأراد أن يضع في هذه المقدمة أراءه حول الشعر الحديث وعندما رأى أن هذه المقدمة ستتسع فضّل أن تصدر في كتاب مستقل ، وفي نظري أن اتساع هذه المقدمة وتحويلها إلى كتاب كان بسبب أهمية آرائه حول هذا الشعر الذي أخذ يتسع كثيراً ويكتب فيه معظم الشعراء أو الذين يدّعون الشاعرية .

وعن غرضه من تأليف الكتاب يقول :"إن هذا البحث ليس كتاباً في الشعر الحديث ولكنه بحث في مساوىء الشعر الحديث من حيث المعنى ومن حيث اللفظ "(٣)فهو يذكر لنا صراحة غرضه من تأليف الكتاب وهو بيان مساوىء الشعر الحديث من حيث المعنى ومن حيث اللفظ وسنرى كيف أن الدكتور

---

(١) هذا الشعر الحديث ص ١١ .

(٢) انظر التعريف بالديوان فى الفصل الثانى من الباب الأول من هذا البحث .

(٣) هذا الشعر الحديث ص ٢٠ .

فروخ قد جعل معظم معاني الشعر الحديث فاسدة منحطة دينياً وخلقياً إلى جانب سوء أسلوبه وتراكيبه وسيتم عرض هذه الآراء ومناقشتها في الصفحات القادمة .

فأول ما يتحدث عنه الدكتور عمر فروخ حول هذا الشعر تمرده على المثل العليا حيث يقول :"وكثرت جرأة أنصار الشعر الحديث على المثل العليا ، وعلى الأخلاق والقوانين وعلى المصلحين وعلى الدين " (١) ويورد لنا بعض الأمثلة التي توضح الانحطاط الخلقي الذي عاشه بعض المنادين بشعارات الشعر الحديث * .

كما يقول الدكتور فروخ :"يزعم أنصار الشعر الحديث أنهم جددوا في أشياء ولم يعرفها غيرهم من قبل : جددوا في الموضوع وفي اللفظة وفي التعبير وفي البلاغة وفي البحر والتفعيلة " (٢)

ويرد الدكتور فروخ على هذا الزعم بقوله :"لاشك في أن كل فن إذا انتقل من عصر إلى عصر أو من بيئة إلى بيئة تبدلت فيه أشياء : حدث ذلك لما انتقل الأدب العربي من الجاهلية إلى صدر الإسلام ثم لما انتقل من الدولة الأموية إلى العصر العباسي ثم لما انتقل من العصر الوسيط إلى عصرنا الحديث ، والتبدل في الحياة مستمر ما دامت الحياة ، فإذا وقف هذا التبدل

(١ ، ٢) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ص ١٧ ، ١٨ .

* انظر ص ٢٣ من كتابه هذا الشعر الحديث .

كما قال الفيلسوف اليوناني القديم هيرا كليطوسي : بطلت الحياة نفسها . (١)

لكن الدكتور عمر فروخ يرى أن هذا التجديد الذي يدّعيه أنصار الشعر الحديث موجود في الأدب العربي القديم ويستشهد على ذلك بخطبة قس بن ساعدة الإيادي التي رتبها بحيث تصلح أن تكون نموذجاً للشعر المنثور أو الحر وذلك في الرد على الذين يدعون ابتداع الشعر الحر فيقول : فالذين ابتدعوا الشعر الحر (التفلت من الأوزان المألوفة في الأكثر ومن القافية في الأقل) بهذا المعنى هم العرب ، ولايظنن ظان أنني سأقول الموشحة ، فلقد سبق لي أن قلت : الخطبة والرسالة والمقامة " (٢)

ويذكر لنا جزءاً من الخطبة في ص ١٢١ من الكتاب كما قسمها : ـ

أيها الناس ، اسمعوا وعوا

وإذا سمعتم شيئا فانتفعوا

إنه من عاش مات

ومن مات فات

وكل ما هو آت آت

ليل داج

وسماء ذات أبراج

وأرض ذات فجاج

---

(١) السابق ص ١٨ .

(٢) السابق نفسه ص ١٢٠ .

مالي أرى الناس يذهبون ولا يرجعون
أرضوا بالقام فأقاموا ؟
أم تُركوا هنالك فناموا ؟ . . .

كما أورد من أمثلة الشعر الحر في الأدب القديم خطبة للأخنف بن قيس ، ومن المقامات ذكر المقامة الحرزية لبديع الزمان الهمذاني .

فهو بهذه الأمثلة يؤكد أن دعاة الشعر الحر أو المنثور كانو مخطئين عندما اعتقدوا أنهم أصحاب تجديد في الشعر . فالأدب العربي منذ بدايته ـ في العصر الجاهلي ـ كان مشتملاً على هذه الأساليب الأدبية ، وبالفعل استطاع الدكتور عمر فروخ أن يُدلي بالحجة والبرهان على قوله ـ بأن الأدب العربي القديم اشتمل على أساليب أدبية تشبه ما يسمى بالشعر الحر أو المنثور في عصرنا الحاضر ومنها الخطبة ، المقامة ، وهنا لابد لي من كلمة إلى دعاة الشعر الحديث ، لماذا هم يصرون على هذه التسمية فما يكتبونه يعد أدباً لكنه ليس شعراً فهو من باب النثر الفني وذلك معظم الشعر الحديث إلا أن قليلاً منه فقط هو الذي يقوم على التفعيلة ، والأدب هو : كل كلام استطاع قائله أن يؤثر به في عواطف السامعين ويستوي في ذلك الشعر والنثر وكثير من النثر فاق الشعر في بيانه وتأثيره وروعته ، فكأني أشعر بهم يصرون على تسمية أدبهم شعراً لأنه أرقى وأسمى من النثر ، وذلك ليس صحيحاً .

وذلك ماجعل شعرهم غثاً غامضاً مبهماً ، ولايفرق الدكتور عمر فروخ

بين الشعر القديم والشعر الحديث من حيث المعنى فيقول :"ليس هنالك نثر قديم ونثر جديد ، أو شعر قديم وشعر حديث وليس هنالك علم قديم وعلم حديث أو فن قديم وفن حديث إلا إذا نحن نسبنا شيئاً من ذلك إلى مكانه في عصر من العصور " (١)

فالأدب الجيد لايرتبط بزمن معين يصلح له وإنما يبقى خالداً في كل الأزمان فمن يدّعي أنه لابد أن يكون هناك شعراً حديثاً يعبر عن حاجات هذا العصر دون نظر أو أعتبار لهذا الشعر ومدى جودته من حيث الألفاظ والمعاني فيكون مخطئاً لأنه ما يلبث أن يصبح قديماً بعد فترة قصيرة ولا يبقى إلا الشعرالجيدأينماكان ومتى قيل وقد قال الشاعر ناصحاً الأدباء : ـ

ما من كاتبٍ إلا سيبلى ... ويُبقي الدهر ما كتبت يداه
فلا تكتب بيمينك غير شيء ... يسرك في القيامة أن تراه

وهذا ما أراده الدكتور عمر فروخ بقوله : ليس هناك شعر قديم وشعر حديث أما إذا نسبنا الشعر لزمنه أو الوقت الذي قيل فيه فيمكن تقسيمه إلى قديم وحديث .

أما مذاهب الأدب التي ظهرت في العصر الحديث فيرى الدكتور عمر فروخ أنها ليست جديدة فالمذهب الوجداني ، والمذهب الرمزي ، والمذهب البرناسي (مذهب التحكيك أو الصنعة) فقد كانت معروفة في الشعر العربي

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر بيروت ص ٣٢ .

منذ جاهليته . يقول الدكتور فروخ :"والعرب قد عرفوا المذهب الوجداني أو ابتدعوه قبل أن تشعر أوروبة بالحاجة إليه بألف عام في النصف الثاني من القرن الثامن للميلاد ، لما خرج الشعر عندنا من بيئته الأموية البدوية إلى بيئته العباسية الحضرية " (١)

والشعر الوجداني كان موجوداً في الجاهلية عند امرىء القيس وطرفة وعنتره كما عرفه عمر بن أبي ربيعة في العصر الأموي " (٢)

أما عن مذهب الصنعة أو التحكيك فيقول :"ومذهب التحكيك هذا عرفه العرب منذ أقدم عصورهم الأدبية ـ في العصر الجاهلي ـ عرفه أوس بن حجر (نحو ٥١٠ ـ ٥٩٠م) ثم راويته زهير بن أبي سلمى (ت نحو٦١٠م) ثم اتسع هذا المذهب في العصر العباسي وأشهر ممثليه في الشعر مسلم بن الوليد وأبو تمام والبحتري والمتنبي والمعري " (٣)

ويذكر لنا أبياتاً للبحتري توضح التراكيب الأنيقة في الألفاظ العذبة : ـ

بيضاء يُعطيك القضيبُ قوامَها ... ويُريك عينيها الغزالُ الأحورُ
تمشي فتحكمُ في القلوبِ بدلها ... وتميسُ في ظلِ الشبابِ وتخطرُ
إني وإن جانبت بعض بطالتي ... وتوهمَ الواشون أني مقصرُ
ليشوقني سحرُ العيونِ المجتلى ... ويروقني ورد الخدود الأحمر

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٤٩ ، ٥٠ ، ٥١ .
(٢) السابق ص ٥٠ .
(٣) نفسه ص ٥١ .

وديوان الشعر العربي مليء جداً بأنواع هذه الصنعة الجميلة الرائعة التي ساعدت على خلود هذا الشعر وعلوقه بالأذهان .

أما المذهب الرمزي فيقول عنه :"أحب أن أقول إن هذا الأدب الرمزي قد نشأ عندنا قبل بودلير بألف ومائتي عام من الأعوام الشمسية ، لقد كان عندنا في الشعر الرمزي خاصة حميد بن ثور الذي عاش في أيام عمر بن الخطاب (ت ٢٣ ـ ٦٤٤م) كان عمر بن الخطاب قد منع القول في الغزل الصريح الذي يذكر الشاعر فيه محبوبته بإسمها المعروف لأن ذلك كان يثير بين القبائل أو بين الأسر عداوة ونزاعا يضطرب بهما اطمئنان الحياة الاجتماعية ، فاحتال حميد بن ثور للقول في الغزل الصريح في محبوبته معينة من بني مالك بأن كنى عنها بسرحة (شجرة عالية) فقال : ـ

أبى الله إلا أن سرحة مالك ... على كل أفنان القضاة تروقُ
فقد ذهبت عرضاً ، ومافوق طولها ... من السرح إلا عشة وسَحوقُ
فلا الظل من برد الضحى تستطيعه ... ولا الفيء من برد العش تذوقُ
فهل أنا ـ إن عللت نفسي بسرحة ... من السرح ـ موجودُ عليّ طريقُ ؟

ويتابع الدكتور عمر فروخ حديثه بقوله :"ولعل بعض الناس ـ من أولئك الذين يتعصبون للأدب الفرنسي جهلاً منهم بسائر آداب الدنيا ـ لايحب أن يرى في شعر حميد بن ثور رمز يقابل الرمز عند بودلير ، ولكن هذا المتعنت نفسه لا يستطيع أن ينكر الرمز في الشعر العربي عامة وفي فن التصوف

خاصة " (١) ويذكر لنا بعض مشاهير المذهب الرمزي من الشعراء العرب مثل : رابعة العدوية ، وعمر بن الفارض ، والمعري ، فهذه المذاهب الأدبية التي يدعو إليها شعراء العصر الحديث على أنها مأخوذه من الأدب الأوروبي هي في الأصل موجودة في أدبنا العربي منذ ظهوره وقد أكد ذلك الدكتور عمر فروخ بالاستشهادات المناسبة من أدبنا العربي ، وأضيف إلى ماقال بعض الأشعار لنثبت ـ سوياً ـ أن أدبنا العربي يمكنه الاستغناء عن مذاهب الأداب الأخرى سواء في التراكيب أو المضمون فالشعر العربي يشتمل على جميع المذاهب الأدبية التي ينادي بها شعراء "الشعر الحر" فلننهل من هذا المعين الأصيل الصافي ولنترك القطرات التي سرعان ماتزول ولنتأمل قول عمر بن أبي ربيعة " : (٢)

طال ليلي لسرى طيف ألم ... فنفى النوم وأحداني السقم
طيف ريم شطه أوطانه ... فهي لم تدن ، وليست بأمم
منْ رسولٌ ناصحٌ يخبرنا ... عن محب مستهام قد كتم؟
حُبّه حتى تبلى جسمُه ... وبراه طولُ أحزان وَهَمّ

وقول ابن الرومي في خباز مر به : ـ (٣)

إن أنسى لا أنسى خبازاً مررتُ به ... يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٥٤ .
(٢) شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة / تحقيق محمد محي الدين عبدالحميد دار الأندلس ص ٢٤٤ .
(٣) ديوان ابن الرومي ، شرح الشيخ محمد شريف سليم ج١ (مصدر سابق) .

ما بين رؤيتها في كفه كرة — وبيـن رؤيتها قوراء كالقمـــرِ
إلا بمقدار ما تنداحُ دائـرة — في لجة الماءِ يُلقى فيه بالحجرِ

كذلك قول أبي تمام : ـ (١)

السيف أصدق إنباء من الكتـــب — في حده الحد بين الجد واللعبِ
بيض الصفائح لا سود الصحائف — في متونهن جلاء الشك والريـبِ

وقول امرىء القيس : ـ (٢)

وليلٍ كموجِ البحر أرخى سدولَه — عليّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلـــــي
فقلتُ له لما تمطّى بصلبِــــــه — وأردفَ إعجازاً وناءَ بكلكـــلِ
ألا أيها الليل الطويل ألا انجلـي — بصبح وما الإصباح منك بأمثلِ
فيالك من ليل كأن نجومــــــه — بكل مغارِ الفتلِ شُدّت بيذبـلِ

* * * * * *

وبعد . . أفبعد هذا ننظر إلى المذاهب الأدبية الأوروبية على أنها مذاهب جديدة وأن لابد من الاتباط بها والاحتذاء بها ؟!

وعن ادعائهم حول تجديدهم في أوزان الخليل بن أحمد والتي تعتبر في نظرهم قاصرة عن أداء متطلبات العصر يقول الدكتور فروخ :"فالذين يقولون اليوم بالنظم على تفعيلة حديثة (جديدة) ـ ويقصدون أنها تخطر للخليل بن أحمد أو للعرب ـ قليلو العلم بالشعر والغناء معاً ، والذين هم

(١) تاريخ الأدب العربى د . عمر فروخ ج٢ ص ٢٥٨ .
(٢) شرح ديوان امرىء القيس (مصدر سابق) ص ١٥١ .

أبعد في الجهل من هؤلاء إنما هم أولئك الذين يحاولون أن ينقلوا شيئاً من الشعر الأجنبي بوزنه إلى اللغة العربية ثم يظنون أنهم قد ابتكروا في صناعة الشعر شيئاً " (١)

ويكفيني أن أذكر دليلاً واحداً من الأدلة التي ذكرها الدكتور عمر فروخ في كتابه على بطلان دعوى هؤلاء الذين يدعون التجديد . لنستمع إليه حيث يقول : ـ

" ولعل نفراً من هؤلاء سيعجبون إذا قلت لهم إن المستشرق فارتن هارتمان قد درس تفاعيل الموشحات فوجد أنه يتركب منها "أوزان" تبلغ مائة وستة وأربعين عدا ، ثم وجد أنه يمكن أن يتفرع من هذه الأوزان أوزان أخرى تبلغ بعدد الأوزان إلى مائتين وثلاثة وثلاثين ، ثم إن هذه الأوزان ليست كل ما يمكن أن ننظم عليها شعراً في اللغة العربية أو في غير اللغة العربية (لأن القضية قضية ألحان موسيقية عندنا وعند غيرنا) ولكنها الأوزان التي اتفق لمارتن هارتمان أن يجد عليها أمثلة من الموشحات وربما كان هنالك موشحات قد ضاعت أو لم يستطع هارتمان أن يطلع عليها وهي ـ وهذا ممكن ـ على غير هذه الأوزان أيضا من أجل ذلك يحسن بأولئك الذين يفتخرون بأنهم ينظمون على تفعيلة جديدة أن يطّلعوا أولا على شيء مما يجرى فيه الكلام في هذه الدنيا إن هؤلاء إذا كانوا يجهلون شيئاً فليس معنى

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٦٤ .

جهلهم أن ذلك الشيء غير موجود " (١) ولا يحتاج كلام أستاذنا إلى تعليق لكن أحب أن أقول لهؤلاء أيضا أمَا كان الأحرى بهم أن ينقبوا في أدبنا العربي الأصيل ويستخرجوا منه ما يناسب العصر ، لا أن يلجئوا إلى التقليد ، فما دام لدينا ما نريده من أوزان وتفعيلات في أدبنا فليس هناك داع أبداً إلى اللجوء إلى الأدب الأوروبي وتقليده ، فهذه اللغة التي حفظها الله سبحانه وتعالى إلى يوم الدين لا تضن على أبنائها والباحثين فيها بشيء سواء في التجديد في التراكيب والأساليب أو الأوزان والقوافي . ولا يعتقد قارئي العزيز أن ذلك تعصباً منّي لما هو لنا فقط دون الاعتبار بالجودة بل على العكس فالإنسان ـ في نظري ـ يأخذ من غيره ما نقص عنده ما دام جيداً وصالحاً له ولمجتمعه ولكن إن لم يكن لديه نقص فلِمَ إذن الأخذ من الآخرين؟!

ومما يثير الدهشة إدعاء بعض المنادين بالتجديد في الشعر الحديث من أن الموشحات الأندلسية مأخوذة من الأدب الأوروبي ويقول الدكتور فروخ في ذلك :"وبعد أن استقر رأي مؤرخي الحضارة من الأوربيين على أن الشعر الأوروبي نشأ من الشعر العربي (ومن الموشحات الأندلسية على الحصر)ينهض نفر من العرب يزعمون أن الموشحات الأندلسية نشأت متأثرة بالأغاني العامية التي كانت لسكان أسبانية الأصليين " (٢) ثم يورد نصاً باللغة الفرنسية مأخوذاً من كتاب فرنسي يوضح تأثير شعراء فرنسا بالشعر

(١) هذا الشعر الحديث (مصدر سابق) ص ٦٤ ـ ٦٥ .

(٢) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٨٦ .

العربي في الأندلس " (١)

وعن تأثر شعراء أوربا بالشعر العربي يقول أحمد فرح عقيلان في كتابه "بين الأصالة والحداثة" ومن المعروف أن الشعر الأسباني نقل عن شعرنا القوافي وإن الشعر الانجليزي لا يتمتع بعشر معشار موسيقانا لأنه ليس له إلا وزنان رئيسان وكان المفروض أن يقتبس الأجانب من شعرنا روعة موسيقاه لا أن ننقل نحن عن الأجانب بدائية موسيقاهم " (٢)

فليثب دعاة التجديد في الشعر العربي إلى رشدهم وصوابهم وليبحثوا عن الدرر الكامنة في أدبنا العربي من شعر ونثر ، وليطوروا منها ما شاءوا دون تقليد سخيف ركيك دونما وعي أو معرفة بتراثنا العربي الزاخر بالمعطيات الفنية الراقية .

ويرى الدكتور عمر فروخ أن الشعر المطلق يختلف عن الشعر المنثور والشعر الحر يقول في الشعر المطلق " الشعر المطلق شعر موزون ولكنه غير مقفي ، إلا أن ذلك لايمنع أن تتفق فيه التقفية . المهم في الشعر المطلق أن يحل الشاعر نفسه من قيد القافية لينصرف باهتمامه كله إلى المعاني وحدها وأما إذا اتفق أن جاءت الأبيات أو الأشطر في "القصيدة المطلقة" مقفاة ، مرة بعد مرة عفواً فإن تلك القصيدة تظل مطلقة " (٣) كما يذكر أن "الشعر

---

(١) انظر المرجع السابق من ص ٨٩ إلى ص ٩٢ .

(٢) بين الأصاله والحداثه نقد ومختارات لأحمد فرح عقيلان مطبوعات نادى الطائف الدبى ١٤٠٦هـ / ١٩٨٦م

(٣) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٩٤ .

المطلق يُستخدم في مطولات الشعر من الملاحم والروايات التمثيلية والتأملات الحكمية " (١) وذلك لأن هذه المطولات تتضمن معان كثيرة ويصعب على ناظميها الإتيان بالقافية الموحدة في جميع المطولة فتحررت المطولة من القافية وإن وجدت في كثير من الأحيان إما عفواً أو عمداً عند المقطع الذي يقصد به الشاعر أن يُغني ، أما الوزن فلم يتحرر منه الشعر المطلق إطلاقاً ، فقد أهملت القافية في الشعر المطلق لأنها في معظم الأحيان فن ثقيل على الفكر ومجال ضيق للمعاني ، أما الوزن فإنه لم يهمل في الشعر المطلق ، مع أنه قيد أيضا ، لأنه يكسب التعبير نغما حلوا يخفف من وطأة السرد الطويل ومن جفاف المادة الفلسفية " (٢)

وفي رأيي إن الشعر بدون الوزن والقافية الواحدة يفتقد كثيراً من وظيفته الفنية بل إنه يُجرد من أهم خاصية فيه ويصبح مركباً سهلاً لمن لا موهبة لديه او لا يملك أدوات التعبير الراقي .

أما الشعر الحر فيعرفه بقوله :"الشعر الحر عندهم مقاطع من الكلام يتخلى منشئها عن جميع أوزان الشعر المألوفة وعن القوافي أيضا ، ولكنه يحاول أن يأتي في كل مقطع بشيء من النغم العرفي(والنغم بطبيعة الحال ، وزن) وربما جمع شاعرهم نغمه العرفي الخاص به أو بالقصيدة التي ينشئها مرة من أوزان

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٩٤ .
(٢) السابق ص ٩٤ ـ ٩٥ .

(بحور) متعددة " (١)

فالشعر الحر كما يراه الدكتور عمر فروخ مقاطع من الكلام خالية من الوزن ومن القافية لكن هناك نغماً في هذه المقاطع ويكون من عدة بحور ، وفي رأيِّي أن هذا النوع من الشعر لايمكن أن يسمى شعراً لأن كلمة حر في ـ نظريّ ـ مرادفة لكلمة مطلق ، والشعر المطلق لم يتحرر من الوزن ، تحرر من القافية فقط ولأسباب تم توضيحها عند الحديث عن الشعر المطلق ـ فالشعر الحر يمكن أن يكون حراً في القافية ، فإذا تحرر من الوزن أيضا ، فلا نقول حراً ولكن نقول "منثوراً" وخير دليل على صحة قولي هذا هو استشهاد الدكتور عمر فروخ بنماذج نثرية من الأدب القديم على ما يسميه شعراء اليوم بالشعر الحر .

والدكتور عمر فروخ غير مهتم بتعيين مبدأ الشعر الحر إذ يقول :" وأنا الآن لست معنياً بتعيين مبدأ الشعر الحر في البلاد العربية أو في غير البلاد العربية لأن محاولة ذلك تدل على شيء من الجهل بطبيعة التاريخ الحضاري والتاريخ الثقافي اللذين هما نتاج تطور في الحياة الانسانية " (٢)

وهذا ما أراه أيضا إذ أن أي أمر لا يأتي منذ نشأته متكاملاً ولابد له من إرهاصات ومقدمات إلى أن يتطور رويداً رويداً ليصل إلى الصورة التي

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٩٧ ـ ٩٨ .

(٢) المصدر السابق ص ١١٥ ـ ١١٦ .

تحدد معالمه كذلك كان (الشعر المنثور) * إذ لابد أن تكون هناك مقدمات كثيرة ومحاولات عديدة سبقت ظهور هذا الشعر على مانراه عليه اليوم ، فمحاولة تعيين مبدئه أمر غير ميسور ولا يترتب عليه كبير فائدة ونلمس لهجة الغضب الشديد لدى الدكتور عمر فروخ مما أصاب الشعر الحديث من البعد عن المسيرة الأدبية الموروثة ورفض الكثير من قواعدها وموسيقاها فنراه يقول :"عجباً ، ياقوم إن أنصار الشعر الحديث يريدون أن يبطلوا شعر امرىء القيس وجريروابن الرومي والمتنبي وشوقي لتوهمهم إن أصحاب هذا الشعر "عموديون" أي ينظمون على عمود الشعر العربي (شعراً قائماً على المنطق والوزن والقافية) ثم هم يأتون على كلام مكوم لا معنى فيه ولا منطق ولاشبه وزن ولاشبه قافية ويحاولون أن يجعلوا منه للنشىء مثلا أعلى حتى يشوهوا العقل العربي ثم يجعلوه قابلاً للاستعمار الثقافي " (١) فهو يرى أن أنصار الشعر الحديث يريدون أن يبطلوا شعر القدماء الذين ساروا على عمود الشعر العربي ويطمسوا هذه المسيرة بشعرهم الذي لامعنى له ولا وزن ولا قافية .

وأرى كما يرى الدكتور فروخ أن الشعر الحديث (المنثور) قد شوّه الأدب العربي وأساء إليه لكنه في رأيي لم ولن يبطل الشعر القديم ولن يستطيع ذلك أبداً مهما كثر الناظمون فيه والمروجون له ، فالشعر العمودي

---

* لي رأى فى هذه التسميه ، وسيتم توضيح ذلك فى الصفحات القادمة .

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ١٣٣/١٣٤ .

كنور الشمس الساطعة لا يمكن أن يُحجب بمقاطع الشعر المنثور الهزيل .

ومن خصائص دعاة الشعر الحديث يقول الدكتور عمر فروخ :"ومن خصائص دعاة الشعر الحديث ذلك حب الإتكاء على معاني التوراة ومعاني الإنجيل وعلى الخرافات القديمة مع الإعراض ما أمكن عن معاني القرآن الكريم واذكر ـ يرحمك الله ـ أن القوم دعاة تجدد ، والتوراة والانجيل والخرافات الوثنية التي هي من قبل التاريخ جديدة عندهم ، أما القرآن الكريم فهو عندهم قديم ، ولكنهم لا يعلمون أن القرآن "كلام الله القديم" الذي نسخ كل كلام قبله " (١) ويذكر نموذجاً يوضح تأثر هؤلاء بألفاظ التوراة والإنجيل والخرافات الوثنية ومن ذلك قول فدوى طوقان * :

أنتَ تغيرتَ

يا ملكَ الدنيا والناس

فسرْ لي معنى أفعالك . .

فما هذا القول ؟! أيمكن أن يصدرمن مسلم يؤمن بالقدرواليوم الآخر؟! ومن تطاولهم على لغة القرآن الكريم قول أحدهم "أريد أن أعبث باللغة مدة عشرين سنة كرد فعل على عبث أسلافنا بلغتنا لمدة ألف عام " (٢) وقول

---

(١) السابق ص ١٦٢ .

* هي شاعرة فلسطينية معاصرة تبنت قضايا وطنها فلسطين في كثير من شعرها ، ومن دواوينها وحدي مع الأيام "وجدتها" راجع فدوى تشتبك مع الشعر "لشاكر النابلسي" .

(٢) بين الأصالة والحداثة نقد ومختارات لأحمد فرح عقيلان مطبوعات نادى الطائف الأدبي ص ٢٨ .

آخر :"إن الشعر هو فعل اللفظ والتوهم إنه فعل العلاقة الخطيرة ، إنه الجلسة اللغوية الشعرية المصيبة " (١) وقول شاعرهم الكبير أدونيس * في قصيدته الخيانة : ـ (٢)

آه يا نعمة الخيانة
أيها العالم الذي يتطاول في خطواتي
هوة وحريقة
أيها الحبة العريقة
ايها العالم الذي خنته وأخونه
أنا ذاك الغريق الذي تصلى جفونه
لهدير المياه

بماذا يمكن أن نرد على هؤلاء الذين يحاولون المساس بالدين وبلغة القرآن وبالخلق القويم ؟! أيسمون النتاج الأدبي العربي العظيم عبثاً ؟! أيتهمون اللغة التي نزل بها القرآن بأنها عبث ؟! أيرون في الخيانة نعمة ؟! إني لا أرى سبباً لذلك إلا البعد عن الدين والتسليم بكل ما يأتي من الغرب

(١) السابق ص ٢٩ .

* هو الدكتور على أحمد سعيد أديب سوري اختار لنفسه اسم (ادونيس) إعجاباً بهذه الشخصية الأسطورية ، له مجموعة شعرية بالانكليزية بعنوان "دم أدونيس" من دواوينه "قالت الأرض" و "أوراق في الريح" . . راجع كتاب مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر د . نسيب نشاوي / مطابع ألف باء الديب ، دمشق . ص ٥٠٠ .

(٢) مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر (مصدر سابق) ص ٥٠٢ ، ٥٠٣ .

دون النظر أو التفريق بين الصالح والطالح مما ينشروه بيننا .

وفي خاتمة بحثه يقول الدكتور عمر فروخ "كل ما أرجوه من أنصار الشعر الحر وأنصار الشعر المنثور وأنصار مالا أدرى اسما له أن يوجدوا لما يتخيلونه اسماً ، كما فعل العرب من قبل لما احتاجوا لوجوه نشاطهم الأدبي إلى أسماء دالة فقالوا قصيد ورجز وخطبة ورساله ومثل ومقالة ومقال . فإذا كان أصحابنا من الناشئين في قوالب الأدب الفرنجي ـ استغفر الله ، بل في قوالب الدعوى الفرنجية ـ عاجزين عن الاسم فإنهم يكونون حينئذ عن المسمى أشد عجزاً (١)

وإن كل ما أرجوه أن يثوب هؤلاء إلى رشدهم فيعودوا إلى أصالتهم وينهلون من معين اللغة العربية الصافي ويصقلوا مواهبهم الأدبية باللجوء إلى المكتبة العربية الزاخرة بأنواع الفنون والآداب فيقرءون ماهو فخر لكل عربي مسلم ، وليحكّموا العقل والمنطق فيما يأخذونه عن الغرب ، فمن غير المعقول أن نرتمي في أحضان الثقافة الوافدة دونما روية وبصيرة وننسى أو نتناسى مالدينا من قدرة وطاقة ، فكيف بهؤلاء الذين ينسون أو يتناسون أدبهم الرفيع ويجرون خلف آداب نشأت في أوطان وبيئات لها ظروفها وتقاليدها التي تختلف كثيراً عن تقاليدنا ومعطيات أمتنا قد يقول أحدهم : إن ما يفعلونه تجديد يتطلبه العصر وتستدعيه حياتنا الجديدة الموصولة بالثقافات الأجنبية التي تؤثر فينا وتدعونا إلى مواكبتها . ولكن ماهو التجديد

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ط١ دار لبنان للطباعة والنشر ص ٢٣٨ .

الذي يدعونه ؟! إنه عبارة عن كلمات أو مقاطع متراصة لا ندري ما الغرض منها ولا أي موضوع تعالج فأنت تقرأ هذه المقاطع فلا تفهم منها شيئاً ومن ذلك قول الحاوي (١) في مقطوعة بعنوان "مع الغجر" : ـ

عاد من عرس الغجر

دفعة في وجهه

وعلى قمصانه ألف ثائر

موجة واحدة في دمه

في زوغة الشمس

وحمى المعدن المصهور

في البركان في وهج الثمار

موجة تَغزلِ في المرج فراشات

فهل لهذا الكلام من مضمون ؟! وهل يسمى تجديداً ؟! إنني أتساءل مع غيري ممن يضعون أمام هذا الشعرالحديث مئات من علامات الاستفهام .

---

(١) خليل الحاوى شاعر لبنانى معاصر ولد ببلدة "الشوير" بلبنان ، ونال شهادة الثانوية من "الكلية الوطنية" بالشويفات سنة ١٩٤٧م ثم تابع دراسته فى الجامعة الآمريكية ببيروت فتخرج بشهادة البكالوريوس فى الأدب العربى والفلسفة سنة ١٩٥٢م ثم الماجستير سنة ١٩٥٥م أوفدته الجامعه لمتابعة الدراسة فحصل على الدكتوراه فى الفلسفة من جامعة (كمبردج) ١٩٥٩م عمل بعدها استاذا بالجامعة الأمريكية ـ له ديوان "نهر الرماد" و "النناى الجريح" و "بيادر الجوع" .

ـ انظر مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر (مرجع سابق) .

الفصل الثالث

موازنة بين هذه الدراسات ودراسات

غيره ممن التقوا معه في بعض موضوعاته

أ ـ موازنة بين دراسته للشابي ودراسة غيره .

ب ـ موازنة بين دراسته للشعر الحديث ودراسة غيره .

الفصل الثالث

موازنة بين هذه الدراسات ودراسات غيره ممن التقوا معه في بعض موضوعاته

أ ـ موازنة بين دراستة للشابي ودراسة غيره : ـ

تناول الدكتور عمر فروخ أبا القاسم الشابي بالدراسة الأدبية والنقدية من خلال كتابيه "شاعران معاصران" : إبراهيم طوقان وأبوالقاسم الشابي"و "الشابي شاعر الحب والحياة" وقد كانت للدكتور عمر فروخ عدة آراء حول الشابي وشخصيته مما يخالف بها غيره ويوافقه فيها نفر آخرون ، فحول خصائصه المعنويه يرى الدكتور عمر فروخ أنه ليس للشابي رسالة سامية يؤديها من خلال شعره لوطنه وأهله في تونس بل يراه ناقداً هداماً لا ناقداً صاحب رسالة "والشابي شاعرنا ناقم برغم أنه يريد أن يؤدي رسالة ، ولكنه في الحقيقة يحمل معولاً ليهدم به كل شيء : الحياة والناس والبلاد والوطن والأمة " (١) كما يقول :"أنا أرى أن الشابي كان ناقداً هداماً لا ناقداً صاحب رسالة " (٢)

(١) شاعران معاصران ص ١٦٩ .

(٢) الشابى شاعر الحب والحياة ص ٤٣ .

أما الدكتور يوسف عز الدين * فإنه يرى عكس ذلك تماما إذ يقول : كـــان شعره السياسي خير معبر عن ثورة الشعب . إن المستعمر لا يخرج بأبيات من الشعر أو قصائد ينظمها الشعراء إنما بإعداد آراء الشـــعب وتوجيهه توجيهاً صحيحاً وإعداده للثورة ، وشأن الشعراء هو إعداد هذا الرأى العام الموحد ضد المستعمر وضد الاستعمار وكان الاستعمار يفتك في الشعب وتزداد ثورة الشعب عليه وتزداد ثورة الشابي معه . . إلى أن يقول "وكان الشابي يشعر بأن له رسالة في هذه الحياة ، رسالة كل فرد من أفراد

* هو الشريف يوسف أحمد عز الدين السمراني وُلد في مدينة بعقوبة العراقية ، حصل على درجة الليسانس بشرف عام ١٩٤٦م من كلية الآداب في جامعة الاسكندرية ، كما حصل على الماجستير بمرتبة الشرف من الجامعة نفسها وحصل على درجة الدكتوراه من جامعة لندن . "راجع شخصية يوسف عزالدين الأدبية" لعبدالرزاق شاكر البدري ص ٢١ . وهو عضو المجامع العلمية واللغوية العربية في بغداد ، ودمشق والأردن ، والقاهرة ، والمجمع العلمي بالهند ، وبيت الحكمة بتونس ، وجمعية الأدب المقارن العالمية فى باريس وأمريكا ، والجمعية الملكية للآداب بلندن ، ورابطة الأدب الحديث بالقاهرة ، وجمعية الأدب الحديث بأمريكا . درّس فى عدد من الجامعات العربية ، وأشرف وناقش العديد من رسائل الماجستير والدكتوراه . صدر عنه وعن أدبه وشعره عدد من الكتب العربية والانجليزية والفرنسية واللغة البولندية . أسهم فى كثير من المواسم الثقافية ، والمحاضرات العامة ، وشارك فى اذاعات القاهرة وبغداد والرياض والهند وتونس ، وحضر العديد من المؤتمرات اللغوية والأدبية ، ورأس تحرير عدد من المجلات فى العراق "راجع غلاف الأدب العربى فى حنايا الأدب الغربى" ليوسف عزالدين ، ويعمل حالياً محاضراً فى جامعة أم القرى فرع الطائف .

من مؤلفاته : ـ

١ ـ دواوينه الشعرية "فى ضمير الزمن" و "الحان" و "لهاث الحياة" .

٢ ـ من مجموعاته القصصية : ـ "ثلاث عذارى" و "إلى أم أسل" و "قلب على سفر" .

٣ ـ من كتبه : ـ "من شعراء العراق فى القرن العشرين" و "الشعر العراقى الحديث والتيارات السياسيه والاجتماعية " و "فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) و "فصول فى الأدب الحديث والنقد" .

الشعب ، رسالة كل متحرر فكانت الثورة النفسية تؤلمه فهو يرى الفرنسيين يتمتعون بالخير ويترك سواه لشعبه " (١)

فالشابي في نظر الدكتور يوسف عزالدين شاعر تبنى قضايا وطنه فهو يؤدي رسالة في هذا المجتمع الذى هيمن على خيراته المستعمر ، وذلك على عكس الدكتور عمر فروخ الذى كان يرى أن نقمة الشابي وتشاؤمه من الشعب وتصرفاته معول هدم لا بناء .

أما أبوالقاسم كرو فإنه يرى بأن الشابي شاعر صاحب رسالة بين قومه وشعبه أحس بما يرضخ له هذا الشعب من احتلال واستعمار فاندفع مكافحاً بلسان هذا الاحتلال حاثاً شعبه على الاستنهاض وعدم الاستسلام .

" ولقد أحس الشابي بعذابه وجراحه منذ اللحظة الأولى التى رأى فيها الحياة على صورتها الحقيقية ، ومنذ اللحظة الأولى التى أحس فيها بآلام شعبه وتعاسته ، ومدى مايرزخ تحته هذا الشعب من أعباء الظلم وأصناف الطغيان ومن سجون الماضى وسيئاته ، فتأوه لذلك وتألم ثم جمع قواه واندفع بإيمان الشباب وحيوية الفتوة ، وعزيمة الجبار إلى الصفوف الأولى مناضلاً لخير بلاده وتقدمها ، ومكافحاً في سبيل تحريرها واستعادة مجدها وإحلالها المحل الذي يجدر بها أن تناله بين أمم الأرض وشعوبها " (٢)

---

(١) فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عزالدين ص ٨٨ ـ ٨٩ .

(٢) الشابى ، حياته وشعر ه لأبى القاسم كرو ص ٩١ ـ ٩٢ .

فأبوالقاسم الشابي كما يرى الدكتور يوسف عزالدين وأبوالقاسم كرو صاحب رسالة وهدف بين قومه وشعبه حيث أنه لم يقف صامتاً أمام الاستعمار الفرنسي لبلاده بل سلط صوته على هذا الاستعمار وحث شعبه على عدم الركود والاستسلام فكان مدافعاً عن وطنه بصوته وشعره الذى قد يكون ناقماً من خلاله في بعض الأحيان على الشعب عندما يرى ماهم عليه من نفاق واستسلام وجبن "لم تكن آلام الشابي وجراحه إلا آلام شعب كامل وجراح أمة بأسرها ، حملتها نفس بشرية واحدة ، وانطوى عليها قلبها الانساني الكبير ففاضت أنغامها الساحرة من أوتار قلبه وتصاعدت آهاتها المرة من أعماق نفسه " (١)

وأعتقد أن الدكتور عمر فروخ قد استند على هذه اللحظات التي قد ينقم فيها الشاعر على وطنه وشعبه لجعل النقمة والهدم من خصائصه مع أنه على العكس فهذه النقمة تكون لعدم رضاه وموافقته لما يجري بين الشعب من تصرفات أو استسلام وجبن .

ويذكر الدكتور عمر فروخ ذلك فيقول :"وثار على الشعب الذى لا يحارب المستعمر ويرى الشعوب كلها تطالب بالحرية والكرامة وشعبه لايطالب ويعيش في سبات "فثورة الشابي إذن بسبب استكانة الشعب أمام المستعمر بينما كل الشعوب تطالب بالحرية والكرامة .

---

(١) السابق ص ٩٠ .

كما أننا نسمع دائماً عند الحديث عن الشابي أنه شاعر متشائم فالتشاؤم في شعره يقرره الدكتور عمر فروخ فيقول :"ويطوف على شعر الشابي كثير من الحزن والتشاؤم والحيرة فيثير ذلك شيئاً من الاشفاق في نفس القارىء على الشاعر " (١)

أما أبوالقاسم كرو فإنه يجد الألم والحزن في شعر الشابي ولكنه يرى أنه سر العبقرية والنبوغ فيقول :"والألم ينبوع العبقرية وفيض النبوغ ومامن شاعر فنان صهره الألم وعذبته الأوجاع ونال منه الحرمان في أية ناحية من نواحي الحياة إلا تفجر قلبه عن أبدع الصور وأروع الألحان وعزف للإنسانية أعذب الأغاني وأمرها ، والألم وليد الاحساس القوى المرهف ، والشعور العميق بأسرار الحياة وعيوب البيئة والمجتمع " (٢)

فأبوالقاسم كرو يرى أن الألم في حياة الشابي كان نعمة عليه لا نقمة فهو الينبوع الذي ينهل منه الشابي فأخرج القصائد المرهفة والألحان الجميلة ، ومن أسباب تشاؤمه وحيرته ـ التي يرى الدكتور عمر فروخ أنها كثيرة في شعره ـ يذكر لنا أبوالقاسم كرو مجتمعة فيقول :"وأي مجتمع منكود هذا الذي عاش شاعرنا بين أهله وبنيه ، إنه مجتمع خائر مهتوك في جسده ، غبي تافه في روحه ، حقير ساذج في مثله وأحلامه باهت في ألوانه ممل في أنغامه وأي شعب تجمعت في حياته هذه الخطايا إلا كان شعباً مختلفاً خادراً لايفقه

(١) شاعران معاصران ص ١٦٩ .

(٢) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٩٠ .

شيئاً من معاني الحياة وأسرارها وجمال الوجود وفتنته وعفة الحب وطهره ونبل الحق وجلاله وشرف الكفاح وروعته ، ومجد الشباب وثورته ، وشوق الشاعر وأحلامه " والشابي كان ذلك الشاعر وشعبه كان هذا الشعب في تلك الفترة القصيرة التي عاشها شاعرنا بين أبنائه " (١)

فالمجتمع والمرض والحوادث التي مر بها الشاعر بدءاً بوفاة محبوبته ووفاة والده * كانت هذه الأمور جميعها سبباً في حزن وألم وتشاؤم الشاعر ، ويرى الدكتور يوسف عزالدين إن التشاؤم والنقمة في شعر الشابي قد تتحول أحياناً إلى يأس "إن النقمة والتشاؤم والثورة على الشعب تستحيل عنده إلى يأس فيدفعه هذا اليأس إلى مهاجمة الشعب الذي لا يقدم من التضحيات والنضال مايراه جديراً به " (٢) فالشابي بعد أن يستحث الشعب وينقم على بعض تصرفاتهم ويثور عليها ويري أن ذلك كله لا يحرك ساكناً في نفوس هؤلاء ، تتحول كل تلك النقمة والتشاؤم والثورة إلى يأس ، فنقادنا الثلاثه يقررون بأن الشابي كان حزيناً متشائماً في معظم شعره ، وإن كان أبوالقاسم كرو يرى بأن الألم والحزن هما سر نبوغ وعبقرية الشابي فألم الشاعر يجعله أكثر مقدرة على الابداع والتفاعل والتعبير بصدق وعمق .

وإذا انتقلنا إلى الخصائص الفنية والأسلوبية للشاعر لوجدنا أن هناك

---

(١) السابق ص ٩١ .

* انظر الفصل الأول من هذا الباب .

(٢) فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عزالدين ط٣ دار العلوم ص ٨٩ .

اختلافات حولها بين النقاد ، فالدكتور عمر فروخ يرى أنه يميل إلى الرمز كثيراً في شعره وإلى الصناعة اللفظية والمعنوية فيقول :"والغموض يسود رمزية الشابي" ويقول أيضا "ولاريب في أن الرمز وهو في الأصل مبني على الاستعارة يحسن في البيت بعد البيت وفي القصيدة بعد القصيدة فإذا تراكم وكثر فيه الغموض أصبح عبئاً في الأدب فإذا نحن أضفنا إلى ذلك كله أن الشابي كان يأتي أحياناً بأشياء لايعرفها لم تستغرب أن يُعترض عليه في الأمر بعد الأمر "ويذكر لنا الدكتور عمر فروخ بعض الأمور التى لايعرفها الشابي نقلاً عن كتاب الحركة الأدبية للشيخ محمد الفاضل بن عاشور" فالغاب والضباب والراعي والنافخ في نايه والثلج كلها أمور لم يعرفها الشابي ولم يعش في دائرتها ومع ذلك كانت أكثر الألفاظ دورانا في شعره لقد كان استعماله إياها أقرب إلى الاستعمال الرمزي منه إلى الاستعمال التمثيلي المجازي(١)فالدكتورعمر فروخ يرى بأن الرمز لدى الشابي يسوده الغموض علاوة على أنه يستخدم ألفاظاً لم يكن يعرفها مثل : الغاب ، الضباب ، الثلج ، أما الأستاذ أبوالقاسم كرو فإن له نظرة أخرى في هذه الخصائص إذ نراه يقول :"والشابي كان هذا الشاعر في كل بيت من شعره ، وكل نغمة من نغماته ، وإنك لتقرأ شعره فتشعر أن في كل بيت قطعة من قلبه وقطرة من دمه ، ومزيجا من العبقرية والإلهام والصفاء والإشراق ، وإلى ذلك كله تحس أن هذا الشاعر لا يتصنع في شعره ولا يتكلف فيه بل هو صور وأنغام تفيض

(١) الشابى شاعر الحب والحياة (مصدر سابق) ص ١٨٧ ـ ١٨٨ .

على وجدانه ، وتنساب في تيارات مشاعره ، فيرسلها قلبه وقد سقاها دمه ونفث فيها من حياته ـ شعراً يهز النفوس ، ويحدث في القلوب والعقول جميعاً انفعالات قوية ساحرة ، تنطلق بنا إلى عالم مفعم بالرؤى والجمال ، وذلك صدق الشعور في تصوير الشاعر وتعبيره " (١) فهذان رأيان

متناقضان حول الخصائص الفنية والأسلوبية في شعر الشابي ، فالدكتور عمر فروخ يرى أن الشابي قد أغرق في الرمز والخيال والاستعارات البعيدة السمجه "وبما أن الرمز مبني في الأصل على الاستعارة فإن الشابي مغرق في استعاراته كثيراً ، واستعاراته بعيدة أحياناً وسمجة أحياناً أخر " (٢) لكنه لاينكر أبداً أن للشابي شعره القوي المتين في الأسلوب "وإذا كان الشابي خريج الجامعة الزيتونية في تونس ، وإذا كان لايعرف إلا اللغة العربية ، فيجب أن تكون لغته متينة وأسلوبه على عمودالشعرالعربي ، ونحن نلمح ذلك كله في شعر الشابي فللشابي قصائد تجرى على أسلوب قديم متين " (٣) فالدكتور عمر فروخ لايغفل ما للشابي من شعر قوي متين لكنه يرى أيضا أن كثيراً من شعر الشابي كان غامضاً بسبب إغراقه في الرمز والخيال والاستعارات البعيدة ، بينما يرى الأستاذ أبوالقاسم كرو أن الشابي كان شاعراً لايتصنع ولا يتكلف في شعره بل تأتي ألفاظه متدفقه منسابة قوية

(١) شاعران معاصران ص ١٧٥ .

(٢) شاعران معاصران ص ١٧٥ .

(٣) السابق ص ١٧٤ ـ ١٧٥ .

ساحرة دون تكلف أو تصنع ، لكن من خلال مطالعتي لديوان الشابي أستطيع أن أقول أن ألفاظه في كثير من الأحيان تأتي واضحة دون تكلف أو أغراق في الخيال والرمز لكن هذا لايمنع أن له بعض الأشعار التي تشتمل على شيء كهذا ، خاصة إذا عرفنا أنه تأثر بالأدب المهجري فقد كان يقرأ كثيراً لجبران خليل جبران وميخائيل نعيمة ، وايليا أبي ماضي "ولقد اكتسب الشابي من الأدب المهجري ضعفاً في التراكيب وأغراقاً في الرمز وشيئاً من التشاؤم والصوفية السلبية " (١) وإن كان ذلك ليس بالسمة العامة التي نحكم بها على شعره .

والحديث عن ألفاظه أو الخصائص اللفظية في شعره يجرنا إلى الحديث عن موقفه من عمود الشعر العربي وذلك في رأي الدكتور عمر فروخ ورأي غيره ممن درسوا الشابي فالدكتور عمر فروخ يقول في موقف أبي القاسم الشابي من عمود الشعر "والشابي كأمثاله من الناقمين على عمود الشعر العربي وعلى الحياة العربية الأصيلة ، وأراد أن يتجنب الألفاظ الإسلامية النفحة العربية الملامح ليتبدل بها ألفاظا وثنية الأصل عامية الاستعمال " (٢) كما نلاحظ نقمته على الأدب العربي من خلال محاضرته : الخيال الشعري عند العرب إذ يقول فيها كماورد في كتاب الشابي شاعر الحب والحياة "لاينبغي لناأن ننظر إلى الأدب العربي كمثل أعلى للأدب الذي ينبغي أن يكون

(١) السابق ص ١٧٠ .

(٢) الشابى شاعر الحب والحياة ص ١٨٠ .

بل يجب أن نعده كأدب من الآداب القديمة التي نعجب بها ونحترمها ليس غير أما أن يسموا هذا الاعجاب إلى التقديس والعبادة والتقليد فهذا مالانسمح به لأنفسنا لأن لكل عصر حياته التي يحياها ولكل حياة أدبها التي تنفخ فيه من روحها القشيب " (١)

فهذه آراء الشابي حول الأدب العربي وعمود الشعر يذكرها الدكتور عمر فروخ ثم يعلق عليهابأن الشابي لم يتعمق في هذا الأدب ولم يقف على دواعي جماله وأسرار بلاغته ، فنراه يقول :"إن من الحق أن نقول أن الشابي الذي مات حدثاً لم يتح له أن يطلع على الجانب الأوفى من الأدب العربي ، وقد كفاني محمد الحليوى صديق الشابي الحميم مؤونة تفنيد المزاعم التى حاكها الشعوبيون ونفر من أدباء المشرق وأدباء المهجر ومن المستشرقين ثم أخذ بها مع الأسف ، أبوالقاسم الشابي جهلاً أو عمداً " (٢) أما الأستاذ أبوالقاسم كرو فإنه لم يتطرق لموضوع عمود الشعر العربي ورأي الشابي فيه وفي الأدب العربي بصفة عامة حتى عند حديثه عن محاضرة الخيال الشعري عند العرب وإن كان يتضح من بعض كتاباته حولها أنه مؤيد لكل ما جاء فيها من آراء للشابي فنراه يقول :"وقد أثارت آراؤه الجريئه ـ يقصد الشابي ـ في هذا الكتاب زوبعة من النقد والخصومة الأدبية في الصحف والمجلات التونسية وعلى صفحات صحف عربية أهمها مجلة "أبولو" المصرية ، ولكن الشابي

(١) السابق ص ١٩٠ ـ ١٩١ .

(٢) السابق ص ١٩١ .

استطاع أن يخمد هذه الزوبعة في الصحف والمجلات " (١)

فأبوالقاسم كرو يوافق الشابي في كل ما أبدى من آراء وانتقادات لاذعة ومشينـة حول الأدب العربي وهذا منهج خطير جداً كما يرى الدكتور عمر فروخ ـ وأرى معه ـ إن هذا من عمل الشعوبيين والمستشرقين والمغرضين من أدباء العرب ، فالأدب العربي طريفه وتليده ثروة أدبية ولغوية عظيمة منّ الله تعالى بها على أبناء العروبة ، عليهم أن يحافظوا عليها ويتمسكوا بها لا أن يتجردوا منها ويتنكروا لها ، وفي رأيي إنه يمكن لنا أن نلتمس بعض العذر للشابي في آرائه الجريئة ، هذا نظراً للظروف التى مر بها والنوائب التى حلت به من كل جانب فجعلت نفسيته ناقمة ثائرة على كل شيء ، وقد قال الدكتور يوسف عزالدين في ثورته هذه "وكانت ثورته على المستعمر تكتسح معها التقاليد المتحجرة وصور الشعر التقليدية الميتة ، وجد الناس يعيشون على رمم القدامى وكان يريد أن يسير مع الإنسانية حيث النور والحقيقة ، حيث التجديد والنور فكان ذلك حرباً على الرجعية التى تريد أن تجمد القوى الإنسانية المتحررة التى تتدفق حارة " (٢) لكن هناك فرق بين الثورة على الرمم القديمة والصور البالية وبين الثورة على التراث والفكر العربي فلو أن ثورة الشابي كانت على المستعمر وعلى جمود ورجعية الشعب لما كان في ذلك بأس لكن الشابي عندما ثار على المستعمر وعلى جمود شعبه ثار أيضا

(١) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ١٢٨ .

(٢) فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عزالدين ص ٨٩ .

على الشعر التقليدي ، ويمكن أن ألمس له العذر في حذر فأقول : إن حالة نفسية قد تجتاح الإنسان في لحظة من لحظات اليأس والأسى والألم ولكن عندما تزول هذه الحالة أو الحادثة التي أثرت على نفسية الإنسان خاصة الشاعر فإنه في الغالب يعود عن رأيه أو معتقده الخاطىء كما أن الإنسان في أطوار حياته الأولى تكون له آراء يخالفها عندما يصل إلى مرحلة من الرشد والعقلانية والتبصر بالأمور وفي ذلك يقول الدكتور عمر فروخ :"ومن أسباب عذرنا للشابي في ذلك كله أنه غادر الدنيا قبل أن تختمر عاطفته بخميرة عقله ، فكان لا يزال معجباً بالأدب الذي يصور الخلجات النفسية العابرة كما لا يزال يحفل بالناحية الفنية الصارخة في النتاج الأدبي غافلاً عن جانب التراث القومي والفكري في الشعر والنثر " (١) فالشابي الذى رحل باكراً لم تحن له الفرصة أن يغير آراءه الخاطئة أو المجحفة بحق الأدب العربي بعد أن يصل إلى مرحلة من العقلانية والتبصر والنظر إلى الأمور نظرة موضوعية بعيدة عن العاطفة والانفعالات النفسية المتبدله .

أما الذى لا أجد له العذر في هذه الآراء الجانحة هو الأستاذ أبوالقاسم كرو الذى يوافق الشابي في كل ما قال به سواء في الخيال الشعري عند العرب "أو غير ذلك من المقالات .

ويسعدنى أن أختم موازنتي هذه بين نقد الدكتور عمر فروخ للشابي ونقد غيره بالموازنة بين رأيه في شاعرية الشابي ورأى غيره ، فالدكتور عمر

(١) الشابى شاعر الحب والحياة ص ١٩٢ .

فروخ يرى بأنه ـ الشابي ـ شاعر تفوق على من تأثر بهم من شعراء المهجر "الشابي شاعراً خير من جبران بلا ريب ولعله في قصائده المختارة يتقدم على أبي ماضي أما نعيمة فلا أعلم إذا كان شاعراً ، هذا مع العلم أننا نوازن هنا بين شاعر ماوافت سنه على النضج وبين شعراء استنفدوا نضجهم كله في أشعارهم " (١) فهو يرى بأن الشابي شاعر يفوق جبران وأباماضي في بعض قصائده مع العلم بأنه لم يعش عمراً طويلاً يتيح له النضج الشعري الكامل على عكس من تأثر بهم لكنه يرى أيضا بأن الشابي قد أخذ أكثر من حقه من قبل القراء والدراسين فيقول :"إن العطف على الشابي يحمل عدداً كبيراً من القراء الدراسين على إعطائه من المقام الأدبي أكثر من حقه ، على أن هذا لايمنع من أن يكون للشابي ـ كما نرى في مجموع شعره ـ قصائد رائعة "(٢) فعطف الأدباء على الشابي ـ كما يرى الدكتور فروخ ـ جعلهم يمنحوه أكثر من حقه في الدراسة والإشادة به وبأدبه شعراً كان أو نثراً .

أما الدكتور يوسف عزالدين فإنه يرى أيضاً أن الشابي أخذ شهرة أكثر مما يستحق فيقول :"وليس الشابي بأشعر شعراء تونس ولا أعلم علماء تونس ، ولكن حالفه الحظ في هذه الشهرة ولم يحالف الحظ أخواناً له يفوقون الشابي شعراً وعلماً وفضلاً وشهرة الشابي لا تتناسب وشاعريته فقد دوت هذه الشهرة في كل مكان وخدمته الظروف خدمة صادقة ، فكم من

(١) شاعران معاصران ص ١٧٠ .

(٢) السابق ص ١٦٩ ـ ١٧٠ .

شاعر أشعر من الشابي وأصدق عاطفة ولا يقل عنه وطنية وإخلاصاً في بلاد العرب لم يصل إلى ما وصل إليه الشابي " فهذا القول يتوافق مع ماقاله الدكتور عمر فروخ من أن الشابي أخذ أكثر مما يستحق من الاهتمام والشهرة لكن الدكتور عزالدين يرى سبباً في هذه الشهرة غير السبب الذي ذكره الدكتور فروخ فيقول :"ولعل تفرده في تونس كان مثار أعجاب فنحن لم نعرف عن تونس شيئاً ، ولما سمعنا بشاعر تونس ينظم هذا الشعر الجميل العاطفي الرقيق أدهشنا هذا الصوت وأُعجبنا به ولاشك في أن هناك من الشعراء في غير تونس من البلاد العربية من يبزّ الشابي ويبرز على سواه في الجزائر أو المغرب أو عدن ولكن لم يتح له ما أتيح للشابي " (١)

فالدكتور يوسف عزالدين يرى أن السبب في شهرة الشابي تفرده في تونس فلم يكن هناك شاعر آخر ينافسه على الشهرة بينما يرى الدكتور عمر فروخ أن سبب الشهرة هو العطف الذي كان يناله وما زال من قبل الدارسين والباحثين ، ولكن هذا كله لا يمنع من القول بأن الشابي شاعر جيد بل ومتقدم ضمن شعراء جيله ، ولو نظرنا إلى رأى الأستاذ أبي القاسم كرو في شاعرية الشابي لوجدناه يخالف تماماً كلاً من الدكتور عمر فروخ والدكتور يوسف عزالدين فهو يرى بأنه شاعر عظيم فنراه يقول :"إن الشابي كان لحناً فريداً لم يتم ومنحة من السماء لأبناء الأرض وأغنية عاصفة ثائرة ستظل

---

(١) فى الأدب العربى الحديث (بحوث ومقالات نقدية) د . يوسف عزالدين ص ٨٢ .

(٢) السابق ص ٨٢ .

الحياة ترددها على مسامع البشرية جيلاً بعد جيل " (١) كما يرى أن سبب شاعرية الشابي تكمن في صدقه في التعبيرودقته في التصويرويذكرلنانماذج من شعره يستدل بهاعلى هذاالصدق في التعبيروالدقة في التصوير (٢) كما أنه يقول :"إن نظرة قصيرة في حياته ، ثم أخرى في شعره ترينا أنه كان أصدق شاعر عرفته الآداب العربية المعاصرة "ففي نظر الأستاذ أبي القاسم كرو أن الصدق في التعبير لدى الشابي والدقة في التصوير هما أساس خلود شعره وسمو أدبه ، ويقول أيضا حول شاعريته "والشابي كان هذا الشاعر في كل بيت من شعره وكل نغمة من نغماته ، وإنك لتقرأ شعره فتشعر أن كل بيت قطعة من قلبه وقطرة من دمه ومزيجاً من العبقرية والإلهام والصفاء والإشراق" (٣) فأبوالقاسم كرو يرى بأن الشابي يتربع على عرش الشعر دون منافس لما يتميز به من صدق في كل بيت من شعره بل في كل كلمة وعلى هذا نجد أن أبا القاسم كرو يجعل الشابي في مرتبة سابقة أو يرى أن شاعريته فوق كل شاعرية فنراه يقول في قصيدته "الإيمان بالحياة" :-

يقول الشابي :

ماكنت أحسب بعد موتك يا أبـي ... ومشاعري عمياء بالأحـــزانِ

أني سأظمأ للحياةِ وأحتســــــي ... من كأسها المتوهج النشــوانِ

---

(١) الشابى حياته وشعره لأبى القاسم كرو ص ٤٥ .

(٢) انظر السابق ص ١٠٧ وما بعدها .

(٣)السابق ص ١١٧ .

وأعودُ للدنيا بقلبٍ خافـــــقٍ للحبِ والأفراحِ والألحـــانِ
ولكل مايى الكون من صور المنى وغرائب الأهواء والأشجـانِ
حتى تَحركتْ السنون وأقبلـــتْ فتنُ الحيـاةِ بسحرِها الفتـانِ
فإذا أنا طفلُ الحياةِ المنتشــــى شوقاً إلى الأضواء والألـوانِ
وإذا التشاؤمُ بالحياة ورفضها ضربٌ من البهتانِ والهذيانِ
إن ابن آدم في قرارةِ نفسِـــه عبدُ الحياةِ الصادقِ الإيمانِ

وإنها لصورة إنسانية رائعة قل أن تجد لها مثيلاً في شعرنا المعاصر والقديم على السواء" (١) فأبوالقاسم كرو يرى أن كثيراً من شعر الشابي إن لم يكن كله شعراً رائعاً ليس له مثيل وأنه يضاهي الشعر العربي قديماً وحديثاً ويتفوق عليه في كثير من الأحيان ، وفي رأيي إن هذا الحكم على شاعرية الشابي هو إعجاب زائد من أبي القاسم كرو حتى كان في نظره شاعراً فريداً متفوقاً في كثير من شعره على الشعراء القدماء والمعاصرين ، وإذا كان الشابي شاعراً جيداً استطاع أن يتبنى كثيراً من قضايا وطنه تونس سواء عن طريق حث شعبه واستنهاض هممهم أو عن طريق تشاؤمه من مستقبلهم إن بقوا على ما هم عليه من ركود واستسلام ونفاق وجبن ونقمته على كل ذلك كما أنه استطاع أن يصور لنا أحزانه وآلامه بأسلوب شعري جميل لا يخلو من صدق العاطفة في معظمه فإن هذا الشعر لا يصل إلى درجة التفرد والتفوق على الشعراء جميعاً .

---

(١) الشابى (حياته وشعره) لأبى القاسم كرو ص ١١٥ .

ب ـ موازنة بين دراسته للشعر الحديث ودراسة غيره : ـ

إن قضية الشعر الحديث من القضايا الأدبية التى لاتزال تخضع للمناقشة وطرح الآراء فيها وقد اختلف النقاد حولها بين مؤيد ومعارض ، وقد رأينا من خلال الفصل السابق موقف الدكتور عمر فروخ من هذا الشعر ، أما في هذا الفصل فإنني سأضع موازنة بين رأيه في هذا الشعر ورأي غيره من الدارسين ، فعن نشأة الشعر الحر تقول نازك الملائكة (١) : "كانت بداية حركة الشعر الحر سنة ١٩٤٧م في العراق ، ومن العراق بل من بغداد نفسها. وكانت أول قصيدة حرة الوزن تنشر قصيدتي المعنونة "الكوليرا" نشرت هذه القصيدة في بيروت ووصلت نسخها بغداد في أول كانون الأول ديسمبر ١٩٤٧م ، وفي النصف الثاني من الشهر نفسه صدر في بغداد ديوان بدر شاكر السياب (أزهار ذابلة) وفيه قصيدة حرة الوزن له من بحر الرمل عنوانها (هل كان حباً) " (٢)

ويوافقها في هذا القول الدكتور بدوي طبانة حيث يقول في كتابه التيارات

(١) نازك الملائكة ولدت (عام ١٩٢٣) شاعرة وناقده عراقية ولدت ببغداد ونشأت فى بيئه ادبيه خالصه من أم شاعره وأب شاعر وخال شاعر ، نظمت اول قصيده وهى فى العاشرة ، أتمت دراستها الثانوية ببغداد ثم انتسبت إلى دار المعلمين العاليه "كلية التربية" حالياً فتخرجت بشهادة الليسانس بدرجة امتياز عام ١٩٤٤ ثم يممت شطر الولايات المتحدة الأمريكية وتخرجت فى جامعة وسكونس بشهادة الماجستير فى الأدب القارن عام ١٩٥٠ ، اجادت الانجليزية والفرنسية والألمانية واللاتينية ، ومن دواوينها (عاشق الليل ١٩٤٧) و (شظايا ورماد ١٩٤٩) و (قرارة الموجه ١٩٥٧) و (شجرة القمر ١٩٦٨) ـ انظر مدخا إلى دراسة المدارس الأدبية فى الشعر العربى المعاصر (مرجع سابق) .

(٢) قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكة ص ٣٥ ـ ٣٦ .

المعاصرة في النقد الأدبي وكانت نازك ـ فيما أعلم ـ صاحبة تلك المحاولة الأولى في تاريخ دراسة هذا الشعر الحر ومحاولة تنظيم دراسة موسيقاه على أساس عروضي يقوم على تفعيلات بعض البحور التقليدية المعروفة عند الخليل بن أحمد " (١) أما الدكتور محمد النويهي * فيقول في حاشية الصفحة ٢٤٩ من كتابه قضية الشعر الجديد :" هي ـ نازك الملائكة ـ وبدر شاكر السياب يتنازعان قصب السبق فقد نظم كل منهما دون اطلاع على عمل الآخر قصيدة على الشكل الجديد في وقت واحد في أواخر سنة ١٩٤٧م ، أما ما يذكره بعض النقاد من محاولات سبقت هذين الشاعرين فلا نعتد بها وأقصى ما يصح عليها أنها تمهيدات لظهور الشكل الجديد" (٢)

فهذه آراء ثلاثة تفيد جميعها بأن نشأة وبداية الشعر الحر كانت على يد نازك الملائكة وبدر شاكر السياب ، أما الدكتور عمر فروخ فله رأي

---

(١) التيارات المعاصره فى النقد العربى ، بدوى طبانه ، ط١ مكتبة الانجلو المصرية ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م ص ٣١٩،
* ولد الدكتور محمد النويهى فى ٢٠ابريل سنة ١٩١٧م فى قرية "ميت حبيش" البحرية بجوار طنطا ، أجاد العربية والانجليزية فى وقت مبكر ، حصل سنة ١٩٣٥ على التوجيهية ، ثم التحق بكلية الآداب جامعة فؤاد الأول وبعد أربعة أعوام حصل على ليسانس الآداب سنة ١٩٣٩م ، رشحته كلية الآداب محاضراً بجامعة لندن فى اللغة والأدب العربى ، حصل على درجة الدكتوراه من الجامعة المذكورة سنة ١٩٤٢ عن "الحيوان فى الشعر العربى القديم ما عدا الجمل والحصان" من مؤلفاته : طبيعة الفن ومسؤلية الفنان ، وظيفة الأدب بين الالتزام الفنى والانفصام الجمالي ، وظيفة الناقد الأدبى . الشعر الجاهلي : منهج فى دراسته وتقويمه ، قضية الشعر الجديد ، توفى فى ١٣فبراير سنة ١٩٨٠م .راجع المنهج النفسي في نقد النويهي بين النظرية والتطبيق ، محمد أحمد العطاس رسالة علمية مودعة بمكتبة اللغة العربية بجامعة أم القرى .

(٢) قضية الشعر الجديد / د . محمد النويهي ط٢ مكتبة الخانجى دار الفكر ص ٢٤٩ .

مخالـف تماماً في الحديث عن نشأة أو بداية الشعر الحر "وأنا الآن لست معنياً بتعيين مبدأ الشعر الحر في البلاد العربية ـ أو في غيرالبلادالعربية ـ لأن محاولة ذلك تدل على شىء من الجهل بطبيعة التاريخ الحضاري والتاريخ الثقافي اللذين هما نتاج تطور الحياة الانسانية ، ولكن لابد لي من حل مشكلة قد أثيرت أما من حيث الشكل (شكل القصيدة ، توزيع الكلمات فرادى ومثنى وثلاث ورباع وخماس فأكثر من أشطر أو أسطر مستقلة أو إمكان ذلك) فإن هذه الخاصة التي يدعيها أنصار الشعر الحر موجودة في الموشح وقبل الموشح أيضاً ، أما من حيث المادة (المحتوى أو المضمون ـ بحسب لفظهم ، فإن الأمر أيسر من ذلك إذا نحن جعلنا الشعر الحر أو(الحديث) قائماً على تخيل غير مقبول (غير مقبول عند العقلاء) في التركيب الفوضى ، فذلك أمر موجود منذ وُجد الإنسان على هذه الأرض ثم تعرض لما يخرج بتفكيره عن المنهج السوي " (١) فهو يرى أن الشعر الحديث من حيث شكله كان موجوداً في فن الموشحات ، ويرى أنه كان قبل ذلك أيضاً حيث يقول : "فالذين ابتدعوا الشعر الحر (التقلب من الأوزان المألوفة في الأكثر ومن القافية في الأقل ـ لهذا المعنى ـ هم العرب ، ولايظن ظان أنني سأقول الموشحة ، فلقد سبق لي أن قلت الخطبة والرسالة والمقامة . أنا أعلم أن دعاة الشعرالحديث يقولون أن الموشحة قصيدة عربية موزونة وهم يكرهون الوزن

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ص ١١٥ ـ ١١٦ .

العربي والقصيدة العربية بدعوى أن ذلك"تقليد مردود وقديم ممجوج" (١) ثم يورد بعض الأمثلة من الأدب القديم (النثر) ليدلل بأن الشعر الحر كان موجوداً منذ الجاهلية في الخطبة والرسالة والمقامة . . " ومن الأمثلة على الشعر الحر في الخطب قول الأحنف بن قيس (ت ٦٧هـ ـ ٦٨٦م) ولم يلتزم الأحنف فيها التقفيه أو السجع (سأوردها مرتبة ترتيباً مفصلاً مقاطع) :

يا معشر الأزد وربيعة
أنتم اخواننا في الدين وشركاؤنا في الصهر
وأشقاؤنا في النسب وجيراننا في الدار
ويدنا على العدو
والله
لأزد البصرة أحب إلينا من تميم الكوفة
ولآزد الكوفة أحب إلينا من تميم الشام
فإن استثرى شنآنكم
وأبى حسك صدوركم
ففى أموالنا وأحلامنا سعة لنا ولكم .

وأما الأمثلة من المقامات فسأكتفي منها بالمقامة الحرزيه لبديع الزمان الهمذاني (٣٩٨ = ١٠٠٧م) : ـ

(١) السابق ١٢١ ـ ١٢٢ ـ ١٢٤ .

حدثنا عيسى بن هشام ، قال :
لما بلغت بي الغربة باب الأبواب
ورضيت من الغنيمة بالإياب
ودونه من البحر وثّاب بغاربه
عساف براكبه
استخرتُ اللهَ في القفول
وقعدتُ من الفلك
بمثابةِ الهلك
ولما ملكنا البحرَ
وجنّ علينا الليل
غشيتنا سحابةُ تمدُ من الأمطارِ حبالاً
وتحوذ من الغيم جبالاً
بريحٍ ترسلُ الأمواجَ أزواجاً
والأمطارَ أفواجاً
وبقينا في يدِ الحين
بين البحرين
لا نملكُ عدةً غيرَ الدعاء
ولا حيلةً إلا البكاء
ولا عصمةً إلا الرجاء

كما يذكر بأن أبا العلاء المعري كانت له محاولات في الشعر "ثم إن أبا العلاء المعري (ت ٤٤٩ = ١٠٥٧م) نفسه حاول شيئاً من هذا المزاح ـ من حيث الموضوع ومن حيث النسق (أو كما يقولون هم ، من حيث المحتوى ومن حيث الشكل ، كما قال : (١)

الربيعان

حرسهما الله شهري ربيع

وما عنيت شهرين

يُعرفان في السنة بهلالين

ولكنى أردتُ نيسان وأخاه

والحق يصحُ ولمن وخاه

فإنهما ربيعا عام

يجيئان البشرَ بالإنعام

الأول يجني الثمار

والآخر يجنى الأزهار

فالشعر الحر في نظر الدكتور عمر فروخ أدب قديم موجود منذ الجاهلية فإنقلاب الوزن واختلاف القافية كان موجوداً في النثر الفني الجاهلي في الخطب والرسائل والأمثال وسجع الكهان والمقامات كما أن أبا العلاء المعري نظم شعراً بهذه الطريقة المنفلتة في الوزن المختلفة القافية ، فكأن الدكتور

---

(١) رسالة الهناء ـ بيروت ـ المكتب التجارى ـ ص ٩٢ ـ ٩٣ .

عمر فروخ يريد أن يقول لدعاة التجديد في الشعر إنهم لم يجددوا ولم يأتوا بجديد فكل ما يكتبونه اليوم تحت اسم الشعر الحر كان موجوداً في النثر الفني الجاهلي وفي الموشحات وإن كانت الموشحات ـ في نظره ـ أرقى بكثير من هذا الذي يدعونه شعراً حراً حيث أنها تلتزم بقواعد وضوابط معينة في الوزن والقافية تخلى عنها الشعر الحر ، فرأيه في نشأة أو بداية الشعر الحر مخالفة تماماً لما ذكره النقاد والدارسون ، فهم في ـ نظري ـ يطلقون حكمهم بناء على تقييم محدود ونظرة قاصرة أو بالأحرى يطلقون حكمهم بناء على ما حدث في العصر الحديث من ثورة على الشكل القديم للقصيدة لا على أساس وجود هذا اللون من الأدب في تراثنا الأدبي ، وأنا لا يهمني في هذه الدراسة الحديث في بداية الشعر الحر بقدر ما يهمني الحكم على هذا الشعر بما يلائم مستواه الفني كظاهرة جديدة في العصر الحديث من خلال آراء النقاد فيه .

إن نازك الملائكه تدّعى بأن العروض الخليلي لم يعد قادراً على مواجهة الشعر في العصر الحديث فكان لزاماً أن يطور هذا العروض "هذا تطور الشكل في الشعر العربي بحيث لم تعد كتب العروض القديمة تكفي تمام الكفاية في نقد الأشكال الجديدة التي تمت اليوم وبات ضرورياً أن يطور العروض نفسه ليستطيع مواجهة الشعر ، وإنه لطبيعي تماماً أن تظهر الأنماط أولا ثم تعقبها القواعد التي بها يقاس الفاسد منها ، وهذا لأن النمط خلق

تندفع به طبيعة فنان تلهمه روح العصر،وأماالقواعدفهي مجرداستقراءواع (١)

بينما تقول في موضع آخر حول عيوب الشعر الحر : ـ

أ ـ يقتصر الشعر الحر بالضرورة على عشرة بحور من بحور الشعر العربي الستة عشر، وفي هذا للشاعر غبن يضيق مجال إباعه فلقد ألف الشعر العربي أن يجد أمامه ستة عشر بحراً شعرياً وافيها ومجزوئها ومشطورها ومنهوكها

ب ـ يرتكز أغلب الشعر الحر ـ ثمانية بحور من عشرة ـ إلى تفعيلة واحدة ، وذلك يسبب فيه رتابة مملة ، خاصة حين يريد الشاعر أن يطيل قصيدته ، وعندي أن الشعر الحر لا يصلح للملاحم قط ، لأن مثل تلك القصائد الطويلة ينبغي أن ترتكز إلى تنويع دائم ، لافي طول الأبيات العددي فحسب وإنما في التفعيلات نفسها وإلا سئمها القارىء " (٢)

إن هذين الرأيين متناقضان ، فكيف تكون بحور الشعر الستة عشر غير كافية في نقد الأشكال الجديدة كما تقول نازك الملائكة في حين أن عشرة بحور فقط يمكن أن تؤدى الغرض المطلوب .

أما الدكتور محمد النويهي فيقول في الشكل القديم :"إننا نؤكد بكل هدوء وثقه أن الشكل القديم لم يعد صالحاً بالمرة لأداء المعاني الجديدة والصور الجديدة مهما يكن الشاعر عبقرياً أصيلاً ، فإن أصالته وعبقريته لا

(١) قضايا الشعر المعاصر / نازك الملائكه ص ٧٣ .

(٢) السابق ص ٤٨ .

شك ستختنقان تحت ذلك العبء الثقيل الذي يكتم عليهما أنفاسهما" (١)
سبحان الله ولا حول ولا قوة إلا بالله ، فهل يجعل الدكتور محمد النويهي اللغة والشعر أداة حرث كانت تستعمل قديماً ولم تعد تنفع في هذا العصر أم أنه وسيلة نقل لابد من تطويرها مع تطورات العصر ، أم أنه زىّ قديم لم يعد مناسباً في هذا العصر ، إن الشعر هو لغة التخاطب الوجداني عبر الأزمان والأجيال فلو أن لكل عصر لغة خاصة لما فهم اللاحقون تاريخ السابقين ، كما أن الشعر إن لم يلتزم (بقيوده) كما يدعي الدكتور محمد النويهي فأين وجه العبقرية إذن ؟!

أما الدكتور عمر فروخ فإنه يرد على مثل هذه الأقوال وغيرها بقوله : "واعتذر أنصار الشعر الحر لتخليهم عن بحور الشعر المألوفه ، بأن تلك البحور قيود على عبقرية الشاعر ، فلا يستطيع الشاعر معها أن يعبر عن كل ما يريد كما يريد ، ولكنهم مخطئون إذا لم يكن هنالك قيود على المرء (أي قواعد متبعة تكون مقاييس للجودة في الانتاج عند المنافسة) فكيف يُعرف العبقري من غير العبقري ، ويتابع رده على هؤلاء "وعندي إن جميع الذين اختاروا طريق الشعر الحر صدروا عن مبرر واحد : هو ضعفهم (من الناحية العملية الواقعة أو من الناحية النظرية العارضة) في الثقافة المنطقية وفي الرواية اللغوية" (١)

---

(١) قضية الشعر الجديد د . محمد النويهى ص ٩٣ .

(٢) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ص ٩٨ .

فهو يرد على كل قول يمس بحور الشعر العربي الستة عشر أو يتهمها بالتقصير أو التقييد ونراه يقول في موضع آخر :"وإذا كان العروضيون قد عدوا ستة عشر بحراً (وزناً للشعر) فليس معنى هذا أن الأوزان الممكنة في نظم الشعر هي ستة عشر فقط ، وليس معنى هذا أيضا أن هذه الأوزان مستعملة في نظم الشعر على درجة واحدة من الشيوع ، إن العرب منذ الجاهلية قد توفروا في النظم على ثمانية أبحر هي : الطويل والبسيط والوافر والكامل والرجز والرمل والخفيف ، ونجد عدداً من القصائد على السريع والمتقارب ، أما ما بقي من الأبحر فكان النظم عليها قليلاً أو نادراً ذلك لأن الأبحر الأولى كانت أكثر مطاوعة للموسيقى وأوسع صدراً لجميع المعاني الكثيرة" (١) فهذا القول كاف للرد على نازك الملائكة التي تدّعي أن العروض القديم لم يعد كافياً لنقد الأشكال الجديدة ، فالدكتور عمر فروخ ينقد الشعرالحديث نقداً موضوعياً سليماً بينما أرادت نازك الملائكه ـ كماأرى ـ شيئاً في نفسها أو أحبت أن تسلط الأضواء عليها فنظمت هي وغيرها من المعاصرين هذا القول وسموه شعراً وادعت بعد ذلك أن العروض القديم لم يعد كافياً لهذا العصر ولو كان الأمر كما تقول لكان الأحرى بها أن تأتي ببحور جديدة تضاف إلى بحور الشعر العربي لا أن تقطع من هذه البحور ما أرادت من أوزان ثم تنظم عليها وتسمي ذلك شعراً ثم إن البحور العربية فيها

---

(١) السابق ص ٦٢ .

المجزوء والمنهوك والمشطور وما إلى هذا النمو مما نظم عليه العرب الأقدمون ويفسح المجال لهؤلاء الذين يدعون إلى التجديد في موسيقى الشعر فيغرف كل من هذا المعين الذى لا ينضب كل حسب قدرته وإمكاناته الفكرية والشعرية .

فالشعر موسيقى وقافية ووزن ، بينما النثر الفني موسيقى فقط وسجع واتفاق فواصل في بعض الأحيان ، فكان الأحرى بنازك وبغيرها ممن نادى بهذا النوع من الأدب وسماه شعراً حراً أن يسميه نثراً منغماً "فهذه التسمية ـ في رأيي ـ أكثر دقة ، بل إن كلمة شعر وإصرار هؤلاء عليها هو الخطأ بعينه فالشعر هو نظم موزون له قواعد تضبط مسيرته وتحدد معالمه ، وإلا فلا يمكن تسميته شعراً أبداً ، أما إصرار هؤلاء على تسمية مايقولون شعراً فلإحساسهم بالعجز والضعف أمام الموروث الفني الرائع .

أما عن ادعائهم بأنهم اخترعوا شعر التفعيلة فيقول فيهم الدكتور عمر فروخ :"فالذين يقولون اليوم بالنظم على "تفعيلة" حديثة (جديدة) ويقصدون أنها لم تخطر للخليل بن أحمد أو للعرب قليلو العلم بالشعر والغناء معاً . . ومن أجل ذلك يحسن بأولئك الذين يفتخرون بأنهم ينظمون على تفعيلة جديدة أن يطَّلعوا أولاً على شيء مما يجرى فيه الكلام في هذه الدنيا . وإن هؤلاء إذا كانوا يجهلون شيئاً فليس معنى جهلهم أن ذلك الشيء غير موجود"(١) فنازك الملائكه تقول في كتابها قضايا الشعر المعاصر "ومع

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ص ٦٤ ـ ٦٥ .

أن الحركة كانت قائمة على أساس راسخ من العروض العربي ببحوره وأشطره وقوافيه إلا أن الجمهور العربي قد تكشف عن مقاومة مستمرة صريحة لها ، فلم يرض أن يتقبل هذا الشعر الجديد " (١) كما تقول في موضع آخر : "والواقع إن الشعر الحر جار على قواعد العروض العربي ، ملتزم بها كل الإلتزام" فإين التجديد إذن ؟! إذ أن النظم على التفعيلة كان معروفاً عند العرب منذ القدم في الشعر الغنائي والموشحات والمسمطات . . فما الجديد الذي أضافه أنصار الشعر الحر ؟!

أما في نظر الدكتور عمر فروخ فإنه يرى أن هذا الشعر مشوه في اللفظ والمعنى إذ يقول :"وهذا الشعرالذي يقال له حديث ينظرإليه من ناحيتين : من ناحية النظم الفني ومن ناحية المعاني والغشاءاللفظي الذي لتلك المعاني:

أما من ناحية العروض (النظم الفني) فإن أشياعه لا يقيدون أنفسهم بقاعدة من القواعد ، لافي البحر أو الوزن ولافي القافية ولا في شكل من أشكال القصيدة (لا تكون مقاطعهم قصيدة مؤتلفة الأشطر ولا موشحة ذات نسق معين ولا جمل متساوية في عدد الكلمات) وإن زعموا أن لهم قواعد من العروض ينظمون عليها .

أما في المعاني ، فأهل الشعر الحديث يتناولون المعاني العادية جداً ثم يركبونها في أزواج متناقضة وفي فوضى من السياق وفيما يلي مطلع لمقطوعة تناولتها عفواً من جريدة السفير (بيروت ١٩٧٨/٨/٢٠ ص ٨)

(١) قضايا الشعر المعاصر لنلزك الملائكه ص ١٤١ ـ ١٤٦ .

محيطاتُ حزينة .

ترقدُ تحتَ أجنحةِ السنون *

تستظلُ بالقصائد

امرأةُ خائبة

تخرجُ من لوحةِ ملطخه .

تمتطي جيادَها الكسيحه . . .

وتمضي . . . (١)

أما الدكتور محمد النويهي الذى ينادي بهذا الشكل الجديد فيقول :"إن الشعر الجديد قد نجح إلى درجة غير زهيدة في تخفيف الوطأة الجرسية البارزة للوزن العربي وفي إلغاء السيمترية الطاغية وتقليل الرتوب الموسيقي وفي التحرر من العبودية الشكلية ، وأنه قدم للشاعر شكلاً لاشك أنه أكثر مرونة وسعة وأنه لذلك أكبر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوي مع المضمون الذى يريد الشاعر أداءه" (٢)

فهل يمكن أن يكون هذا الأسلوب الجديد أكثر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوي مع المضمون الذى يريد الشاعر أداءه ؟ فما المقصود بقوله : أكثر دقة ؟ يعني أن الشكل القديم (الشعر العمودي) غير قادر على

---

* الصواب : تحت أجنحة السنين .

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ص ٨٣ .

(٢) قضية الشعر الجديد د . محمد النويهى ص ٥١٢ .

التجاوب والانسجام مع المضمون ؟! إن هذا تجاوز وقلب للحقائق ، فالقول كما قال الدكتور عمر فروخ من أن أهل هذا الشعر يتناولون المعاني العادية جداً ثم يركبونها في أزواج متناقضة وفوضى من السياق ، وقد ذكر أستاذنا الفاضل نموذجاً لهذا الشعر ولا أريد أن أثقل دراستي هذه بالإكثار من إيراد نماذج لهذا الشعرولكني أريدأن أردعلى الدكتور محمدالنويهي الذى يقول : "إنه أكبر قدرة على التجاوب الدقيق والانسجام العضوي مع المضمون الذى يريد الشاعر أداءه" وعلى قول نازك الملائكه "إن الشاعر الحديث يرفض أن يقسم عباراته تقسيماً يراعي نظام الشطر ، وإنما يريد أن يمنح السطوة المتحكمة للمعاني التي يعبر عنها ، ونظام الشطرين كما سبق أن قلنا متسلط يريد أن يضحي الشاعر بالتعبير من أجل شكل معين من الوزن ، والقافية الموحدة مستبدة لأنها تفرض على الفكر أن يبدد نفسه في البحث على عبارات تنسجم مع قافية معينة ينبغي استعمالها ، ومن ثم فإن الأسلوب القديم عروضي الإتجاه ، يفضل سلامة الشكل على صدق التعبير وكفاءة الانفعال ويتمسك بالقافية الموحدة ولو على حساب الصور والمعاني التي تملأ نفس الشاعر وكل هذا إيثار للأشكال على المضمونات بينما يريد العصر أن ينشغل بالحياة نفسها وأن يبدع منها أنماطاً تستنفد طاقته الفكرية والشعورية الزاخرة ، وإن كل ميل إلى تحكيم الشكل في المعنى يغيظ الشاعر المعاصر ويتحداه ، وهذا هو السبب فيما نراه من مبالغة بعض الناشئين في

استعمال الأوزان الحرة حتى كادوا ينبذون الأوزان القديمة نبذاً تاماً " (١)

لمَ لمْ تورد الكاتبة شعراً عمودياً قديماً استبدت فيه القافية الموحدة على المضمون؟! ثم أين هي المعانى العظيمة أو القيمة في هذا الشعر الحديث ؟! إنه كما قال الدكتور عمر فروخ مشتمل على معانٍ عادية مركبة في شيء من التناقض والفوضى ، فقد ذكر لنا نموذجاً يدلل فيه على ما يقول ، وغيره كثير من النماذج الثقيلة البعيدة عن المضمون المفهوم أو حتى الشكل الموسيقي الجميل ويكفيني أن أورد بعض النماذج للشعر العربي القديم (العمودي) والذي يشتمل على المضمون الجيد الذي يتجاوب معه الشكل وينسجم أيضا بصورة لا يقارن فيها بالشعر الحديث .

ومن ذلك قول حسان بن ثابت في همزيته التي مدح فيها الرسول عليه السلام ويهجو أبا سفيان" (٢)

عدمنَا خيلَنا إن لم تروها	تثيرُ النقعَ موعدُها كــــداءُ
يبارينَ العنةَ مصعـــداتٍ	على اكتافِها السلُ الظمـــاءُ
تظلُ جيادُنا متمطـــراتٍ	تلطمُهنّ بالخمرِ النســـاءُ
فإما تعرضوا عنا اعتمرْنَـا	وكان الفتحُ وانكشفَ الغطاءُ
وإلا فاصبروا لجلاءِ يـومٍ	يعزُ اللهُ فيه من يشـــاء

فهل طغى الشكل هنا على المضمون ؟!

(١) قضايا الشعر المعاصر نازك الملائكه ص ٦٣ .

(٢) شرح ديوان حسان بن ثابت تحقيق وشرح عبدالرحمن الرقوقي ص ٥٧ ـ ٥٨ .

وقول بشار بن برد في معاملة الصديق : ـ (١)

إذا كنتَ في كلِ الأمورِ معاتبــاً   صديقَك لم تلقْ الذى لاتعاتبــه

فعشْ واحداً أو صلْ أخاكَ فإنّــه   مقارفُ ذنبٍ مرةً ومجانبُــه

إذا أنتَ لم تشربْ مراراًعلى القذى   ظمئتَ وأيُ الناسِ تصفو مشاربه

وقول الخنساء في رثاء أخيها صخر : ـ (٢)

مابال عينيك منها دمعها ســرب   أراعهـا حزنٌ أم عادهَا طـرب ؟

ام ذكر صخر بُعيد النوم هيجهـا ؟   فالدمـع منها عليه الدهر ينسكب

يالهفَ نفسى على صخرٍ إذا ركبـت   خيلٌ لخيـل تنادى ثم تضطـرب

قد كان حصناً شديدَ الركن ممتنعاً   ليثاً إذا نـزل الفتيانُ أو ركبــوا

اغــرُ ازهرُ مثل البــدرِ صورتــه   صـافٍ عتيق فما في وجهه ندبُ

وقول زهير بن أبي سلمى في معلقته : ـ (٣)

ومن هاب أسباب المنايا ينلنــه   وإن يرق أسباب السماء يسلـم

ومن يغترب يحسب عدواً صديقه   ومــن لا يُكْــرِمِ لا يُكْــرَمْ

ومهما تكن عند امرىء من خليفة   وإن خالها تخفى على الناس تُعلم

ومن يجعل المعروف في غير أهله   يكن حمده ذماً عليه وينــدم

فهــل هناك شعر حر يضاهي جمال وروعة هذا الشعر شكلاً ومضموناً ؟!

---

(١) العصر العباسى الأول د . شوقى ضيف ط٢ دار العارف بمصر ص ٢١٠ .

(٢) ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت ١٣٨٣هـ ١٩٦٣م ص ١٣ .

(٣) شرح المعلقات السبع تحقيق الزوري ط٣ دار الكتاب العربى ١٤٠٧هـ ـ ١٩٨٧م ص ٨٠

ونرى الدكتور عمر فروخ يسخر من أنصار الشعر الحر وما اتجهوا إليه في أسلوب أدبي رقيق حيث يقول :" كل ما أرجوه من أنصار الشعر الحر وأنصار الشعر المنثور وأنصار ما لا أدرى أسماً له أن يوجدوا لما يتخيلونه أسماً كما فعل العرب من قبل لما احتاجوا لوجوه نشاطهم الأدبي إلى أسماء دالة فقالوا قصيد ورجز وخطبة ورسالة ومثل ومقال ومقامه ، فإذا كان أصحابنا من الناشئين في قوالب الأدب الافرنجي ـ استغفر الله ـ بل في قوالب الدعوة الفرنجية ـ عاجزين عن الاسم فإنهم يكونون حينئذ عن المسمى أشد عجزاً " (١)

* * * * * *

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ ص ٢٣٨ .

الباب الرابع

عمر فروخ بين معاصريه

الفصل الأول

جهوده الأدبية والنقدية في رأي النقاد المعاصرين

الفصل الأول

جهود الأدبية والنقدية في رأي النقاد المعاصرين

بعد أن عرضت بعون الله في البابين السابقين لجهوده الأدبية والنقدية ـ رحمه الله ـ يهمني هنا أن أعرض لقيمة هذه الجهود في رأى النقاد المعاصرين ، فالدكتور عمر فروخ غني عن التعريف لدى الأدباء والنقاد لما له من آثار وجهود واضحة في مجال الدرس والبحث والتأليف في كثير من العلوم التاريخية والفلسفية والأدبية والنقدية والرد على المستشرقين والدراسات الإسلامية والتأليف المدرسي إلى جانب البحوث والندوات والمحاضرات التي كان يقدمها ـ رحمه الله ـ ولما كانت دراستي هذه تتناول دراساته الأدبية والنقدية فقط ، فإنني أعرض لآراء النقاد المعاصرين في هذه الدراسات ، ولا أُخْفِي على قارئي الكريم ما لاقيت من جهد ومشقة في التعرف على آراء النقاد المعاصرين في جهود الدكتور فروخ الأدبية والنقدية ، فأنا أرى أنه ـ رحمه الله ـ لم يأخذ حظه من الشهرة بالمقارنة بما له من بصمات واضحة في مجال البحث والتأليف والبذل والعطاء ، فأخذت أراسل بعض الأساتذة الذين أتوقع منهم الاتصال الواضح بفكر عمر فروخ والتعرف عليه من خلال معاشرتهم له عن طريق الزمالة في العمل أو المعاصرة التى سمحت باللقيا ، وإما عن طريق قراءاتهم لأعماله الأدبية والتعرف على فكره وآرائه وفي الوقت ذاته أتوقع منهم أن يستجيبوا لطلبي ويراسلوني بما أرغب فيه

من تزويدي بآرائهم في جهود الدكتورعمرفروخ الأدبية والنقدية من أمثال : الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ، والدكتور يوسف عزالدين والدكتور عفيف عبدالرحمن وقد قرأت بعض الآراء للدكتور علي زيعور في كتابه صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ فهو يقول في شخصيته بصفة عامة " الدكتور فروخ شخصية فكرية ذات تقدير يتعرض باستمرار للجدال والتنازع فليس هو عند البعض ذا شأن كبير ، بل ويقال هنا إنه دارس أو مؤرخ تجاوزته الأبحاث الراهنة ، وقد قال آخرون إنه كان ذا تأثير سلبي في أجيال درست في كتبه ، أو اتبعت آراءه ومنهجه في النظر للحضارات والدين ، بينما وقف آخرون يسيرون في الاتجاه المناقض واضعين تلك الشخصية الباحثة في منزلة رفيعة ويعطونها لواء الريادة " (١) هذا حول شخصيته وتأليفه بصورة عامة ، ومن الطبيعى أن يكون لكل إنسان مؤيدون له في طريقته وأسلوبه وأعماله ومعارضون أيضا ، لكن لابد أن تكون هناك موضوعية وعدل في إصدار الأحكام فقول أحدهم بأن الدكتورعمرفروخ دارس أو مؤرخ تجاوزته الأبحاث الراهنة قول لا يستند إلى موضوعية أو عدل إذ كيف يطلقون حكماً كهذا على مفكر وعالم بذل قصارى جهده وجل وقته عاكفاً على الدراسة والبحث والتأليف مقدماً الكثير من البحوث والمؤلفات التي استفاد منها الدارسون والباحثون ولا يزالون ؟!

ويذكر الدكتور علي زيعور رأيه في دراسات الدكتور عمر فروخ في الأدب

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مرجع سابق) ص ١٣٩ .

العربي فيقول :"إن عمر فروخ أديب ودارس قدير سباق في الأدب العربي ، هذا دون التخلي عن موقفه كمفكر في الفلسفة أي حيث النظر إلى الوجود لشمولية منهجه وبأفكار ممذهبه ، لكن ماهو الدكتور فروخ في تقديم وتقييم الأدب العربي في قطاعه الجاهلي وفي ساحاته الأخرى ؟! الرد يسهل إذا انطلقنا من الدور الذي ارتضاه المؤلف لنفسه ، وهو التوضيح والاحياء وتقديم الصورة الغائبة والمطعونة للأديب العربي وتاريخه وللتاريخ العام إن الموضوعية في المنهج ليست الطريق إلى التجهم والتهجم والحط من قيمة الأدب أو مثلنته وكلمنتة ، ولاهي من جهة أخرى الدفاع التقريظـــي أو التقديسي " (١) فمن مزايا الدكتور عمر فروخ في مؤلفاته عامة وتاريخ الأدب خاصة الموضوعية العلمية التي لا تميل إلى رأي معين أو نظرية معينة دونما دليل مقنع أو برهان واضح .

كما يقول حول الدراسة نفسها " وعمل هو بالاتساع الذى نلقاه ، ربما لن يتعارض مع وصفنا له بأنه موسوعي ، هنا أرى أن صفة الموسوعية تنطبق على نتاج عمل أستاذنا ، بحيث أني أقبل تسمية ذلك العمل الكبير باسم : موسوعة الأدب العربي ، التسمية فقط هي المفقودة وليس المحتوى أو الروح والمناهج ، ولعل المؤلف لم يقصد إلى تلك النتيجة التي بلغها إذ ربما لم يكن قصده في البداية أن يقدم لنا تلك الموسوعة التي صارت اليوم منجماً ونبعاً

---

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ص ٩٣ .

في ميدان تاريخ الأدب العربي " (١)

حقاً فإن دراسة الدكتور عمر فروخ لتاريخ الأدب العربي تعتبر موسوعة فريدة من نوعها لدى المؤلفين العرب ، وقد أشرت إلى ذلك عند حديثي عن تاريخ الأدب العربي ومنهجه في هذه الدراسة . (٢)

وعن تأليفه في أدب الأطفال والشعر التمثيلي يقول الدكتور علي زيعور : " لعل قليلين من هم الذين يعرفون أن الدكتور عمر فروخ صاحب باع وله أثر في قطاع أدب الأطفال ، ربما تكون الحاجة في ذلك الزمن هي العامل المفسر لذلك المنتوج الذى خدم الأولاد على مقاعد المدارس ، وربما تكون الموجة الأدبية آنذاك ذات تأثير ، لكن الدكتور عمر هو نفسه الذي يعاني ويشعر بالحاجة لإغناء أدب الأطفال بالقصائد البسيطة الجميلة ، وهكذا تضافرت الدوافع النفسية مع البواعث القادمة من الحقل المدرسي لتتفاعل مع الميول الأدبية عند شاعرنا ، فأظهر للناشئة ما يبدو للناقد اليوم أدبا رهيفاً وذا نفع " (٣)

فالدكتور عمر فروخ كما يرى الدكتور علي زيعور باحث أديب ذو مكانة مرموقة قلما نجدها في العصر الحديث فقد كان متبنياً قضايا وطنه وأمته

---

(١) السابق ص ٩٤ .

(٢) انظر الفصل الأول من الباب الثانى فى هذا البحث .

(٣) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ للدكتور على زيعور ص ١١٣ ـ ١١٤ .

العربية في المجالات الأدبية والاجتياحات الثقافية ، وهذا ما وجدته ولمسته أثناء بحثي ودراستي لكتبه رحمه الله .

أما الدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي ـ أطال الله ـ في عمره فإنه أرسل لي رسالة موضحاً فيها رأيه فيه فيقول :" كان عمر فروخ أديباً في الطليعة وناقداً يتميز بذوق مرهف ونظرة واسعة وإلمام كبير بتراث العرب والغرب ويجيء في المقدمة في الدراسات الأدبية والفلسفية والفكرية ، وله في التصوف والدراسات الإسلامية والتاريخية مجال واسع ، وباع طويل ، وبحوثه اللغوية التي نشرت له في مجلة مجمع اللغة العربية في القاهرة تدل على عالم لغوي كبير صاحب اطلاع واسع على شتى علوم العربية ، وعلى حس لغوي مرهف وبصر نافذ بأساليب اللغة وأحكامها وخصائصها ، لقد فقد الفكر العربي الحديث علماً من أعلامه ونابغة من كبار نابغيه ، وسيبقى اسمه على امتداد عصور التاريخ خالداً في أسفار المفكرين والأدباء "فالدكتور محمد عبدالمنعم خفاجي يؤكد بأن الدكتور عمر فروخ أديب ناقد ملم بتراث العرب والغرب له نتاج واسع في مجالات متعددة من العلوم غير الأدب كالفلسفة والتاريخ والتراث الاسلامي . . . وجميع هذه الأعمال جعلت منه مفكراً وأديباً نابغاً وكفلت له ولعلمه الخلود في أسفار المفكرين والأدباء .

أما الدكتور عدنان الخطيب فيتحدث عن رأيه في شاعرية الدكتور عمر فروخ ، هذه الشاعرية التي يغفلها كثير من الدارسين فهي في الحقيقة إتجاه

واضح للدكتور عمر فروخ فهو مؤلف وشاعر لكنه لم يهتم بالشعر كثيراً ، يقول الدكتور عدنان الخطيب :" عندما عثرت بعد وفاته رحمه الله ، على كتاب " غبار السنين " وقرأت في تقديم الفقيد له أنه سيملأ كل فراغ يحدث في صفحاته عند الطباعة ، بمقطوعات من شعره يناسب عدد أبياتها مع حجم الفراغ الذى تتركه كل لمحه من اللمحات النثرية المجموعة فيه ، أخذت اقرأ تلك المقطوعات فبهرني ما قرأت إذ وجدت نفسي أقف أمام شاعر شاعر وليس أما عالم ناظم ، لقد اكتشفت في فقيدنا الراحل ماكنت أجهله عنه رغم طول عشرتي له وعمق صداقتي معه ، لقد اكتشفت أن عمر فروخ كان شاعراً موهوباً ينظم الشعر الجيد الرفيع . ، ويستمر في تعليقه على شاعرية الدكتور عمر فروخ قائلاً :" لقد كان عمر فروخ يملك مقومات الشعر الحقيقي من حس موهف وشعور رقيق وخيال مبدع ولغة ضليعة ونظرات إنسانيه عميقة وثقافة بعيدة الآفاق " (١)

فالدكتور عمر فروخ كان شاعراً موهوباً لكن النشاط الشعري لديه كان نشاطاً جانبياً كما يذكر في مقدمة ديوانه " فجر وشفق " (٢) ولو أنه تفرغ لنظم الشعر لغدا من كبار الشعراء وأعلامهم في العصر الحديث ، لكنه اتجه إلى التأليف والدراسة والبحث فتأليفه ـ رحمه الله ـ لا يقل قيمة أبدا عن نظم

(١) الدكتور عمر فروخ خمسة وستين عاما دفاعا عن العروبة والاسلام (مرجع سابق) ص ٤٥ .
(٢) فجر وشفق (ديوان) ص ١٤ .

الشعر،فقد ألف في الدفاع عن الإسلام واللغة العربية،وفي التراث الإسلامي، ونذر قلمه من أجل إخراج كنوز هذه اللغة ومكنوناتها إلى الوجود ، وتعريف العامة والخاصة بها، والرد على المستشرقين وإيقاف هجومهم على المسلمين واللغة العربية ، وتاريخ العرب وذلك بالحجة والبرهان وقد ظل كذلك إلى أن انتقل إلى جوار ربه ـ رحمه الله ـ وهأنذا أنقل هنا بعض أبيات من شعره لنتعرف على شاعريته ومستواه الفني .

في غبار السنين يقول في إحدى لمحاته : ـ (١)

رُبَّ يوم كـــدت فـــي ظلمائه أقتل نفســـي
إنمـــا يهـــدأ روع الـ ـمرء حينا بالتأســي
أنت لا تُدعى حليم الـ ـقــوم في ليلـــة أنسِ
فلقد يعـــرف قدر الـ ـحلــم في ساعة يأسِ
يخرج الإنسان في دنـ ـياه من بؤس لبـــؤسِ

وله قصيدة يتحدث فيها عن تربية الأطفال بعنوان "الطفل" يقول فيها : ـ (٢)

هيِّء له المستقبـــلا وأَنزله سُبل العـــلا
واجعل له الدنيا تـــلأ لأ كالضحى أو أجملا
واحمله في بدء الحيـا ة مخافة أن يفشـــلا

(١) غبار السنين (مرجع سابق) ص ٤٠ .

(٢) ديوانه فجر وشفق ص ٧١ .

واسلك به النهج القويـ ـم ضحى إلى أن يعقلا

أما الدكتور عزالدين فقد كتب إليّ جزاه الله خيراً وأطال في عمره حول رأيه في جهود الدكتور عمر فروخ العلمية فقال فيه :" الأستاذ الدكتور عمر فروخ زميل من خيرة الزملاء عاشرته في مجمع اللغة العربية في القاهرة وعرفته من كتاباته المتعددة والمتنوعة فقد كتب في تاريخ الأدب العربي منذ العصر الجاهلي حتى العصر الحديث ولكن لم تطبع كل المجلدات ، وكتب في تاريخ الفكر إلى أيام ابن خلدون . . . إلى أن يقول :" وكان رحمه الله يهديني كتبه والأسف إنها في خزانة كتبي في بغداد وكانت هذه الكتب متعددة الأغراض فهو موسوعة أدبية وفكرية وقد جمع من كل شيء بطرف وكان يجمع المعلومات جمع العالم المتمكن ويختار إختيار الأديب الذواقة كان صادق الرأي عميق النظر وكان خبيراً بما كتب " .

فالدكتور عزالدين يرى أن الدكتور عمر فروخ موسوعة أدبية وفكرية لتعدد الموضوعات التي تناولها في مؤلفاته وشمول الدراسات التي أثبتها سواء الفكرية منها أو الأدبية كما يشيد بشاعريته ويذكر مزايا طريقته في التأليف فيقول :" إنه شاعر رقيق صادق العاطفة ، ومؤرخ ثبت في بحوثه في التاريخ أو الأدب العربي ، فقد ترك لنا تراثاً كبيراً وأدباً مفيداً وفكراً شاملاً سهّل على الدارسين طريق العلم بما جمع من علوم ومهد الطريق للعلماء بوضع أسماء مصادر بحثه ومراجع كتاباته . . إنها روح العالم الجاد والدارس المدقق " .

فالدكتور عمر فروخ دءوباً في عمله لا يكل ولا يمل من التدقيق والتمحيص حول أى فكرة يريد تدوينها ، وقد انعكس ذلك على مؤلفاته وبحوثه فأخرج لنا تراثاً عربياً إسلامياً يُفْتخر به من حيث السعة والشمول إلى جانب الدقة والتمحيص .

كما يقول عنه :" وكان رحمه الله واسع الإطلاع على التراث العربي والإسلامي ويعرف عدداً من اللغات الأجنبية وقد درس الترجمة فوسعت آفاقه في الأدب الانجليزي والفكر الغربي ، ثم تعلم الألمانية وأكمل بها دراسته العاليه . . واستفاد من المحاضرات التي كانت تلقى في السوربون باللغة الفرنسية في باريس " ويسترسل الدكتور يوسف عزالدين موضحاً أثر الإطلاع الواسع على فكر الدكتور عمر فروخ فيقول " هذا الاطلاع الواسع على التيارات الفكرية والآراء الغربية مع قاعدته العربية الإسلامية المتينة ظهرت في أسلوب البحث العلمي الذي كان رائده في تأليفه فجمع التيارات الغربية مع أصالة التراث . . ولما ألف في التاريخ الإسلامي كتب بروح العالم المؤمن المحايد ورد على من هاجم الفكر العربي والحضارة الإسلامية ولما كتب في تاريخ الأدب والتاريخ سهل الأمور وبسط البحث ليستفيد منه العالم والدارس وظهرت سهولة أسلوبه في كل كتبه في الفلسفة والنحو والنقد واللغة لأنه كان عميق الفكر سديد النظر "

فالتراث العظيم الذى أخرجه الدكتور عمر فروخ ماكان إلا لسعة اطلاعه وسعيه المستمر منذ أن كان طالباً للاستفادة من علم الأساتذة سواء في بلده

بيروت أو في رحلته العلمية إلى ألمانيا والتي زار أثناءها باريس من أجل الاستفادة من المحاضرات التي كانت تلقى في السوربون في توسيع ثقافته وإثراء معلوماته . (١)

ويذكر الدكتور يوسف عزالدين ميزة عظيمة في طريقة تأليف الدكتور عمر فروخ وهي "الحيدة" فيقول :" كتب بروح العالم المؤمن المحايد " وهذا أهم ما يجب أن يتميز به الكاتب والباحث والدارس والمؤلف إذ لابد أن يكون موقفه من أي قضية ـ أيا كان أطرافها ـ موقفاً محايدا موضوعيا بعيدا عن التعصب متوخيا الدقة والأمانة في كل ما يقول ، فالموقف الحيادي الذي سلكه الدكتور عمر فروخ خاصة في الرد على المستشرقين وكل من هاجم الفكر العربي والحضارة الإسلامية جعل من مؤلفاته نبراسا يفتخر به كل عربي مسلم ويقتدي به كل باحث ومؤلف .

وقد أفاد ـ كما يقول الدكتور يوسف عزالدين ـ الدارسين والباحثين بمؤلفاته القيمة في تاريخ الأدب بسهولة أسلوبه ووضوح خطته وغزارة مادته ويختتم الدكتور يوسف عزالدين رأيه في جهود الدكتور عمر فروخ العلمية بقوله :" إن كتبه رحمه الله أصبحت مصدرا موثقا لكل باحث يريد الدقة في التتبع . . دون أن يفقد الروح الإنسانية وإيمانه العميق بالله وثقته بعروبته

---

(١) راجع الفصل الأول من الباب الأول في هذا البحث .

أنه إحتوى علوم الغرب وهضمها ثم كتب كتبه بقاعدة عربية إسلامية فكان مثلا يحتذى به في البحث والتحقيق في كل ما كتب "

فإحتواء الدكتور عمر فروخ لعلوم الغرب وإستيعابه لما قرأه فيها لم يجعله يتأثر بها في تفكيره وإسلامه وعروبته وينجرف خلف التيار الغربي الذى تأثر به للأسف الكثير من مفكري الأمة العربية والإسلامية ، بينما الدكتور فروخ كان على عكس ذلك تماماً فرغم تلقيه دراساته العليا في بلاد الغرب واتقانه للعديد من اللغات الأجنبية إلا أنه صهر هذا العلم كله في فكره الإسلامى فأخرج لنا المؤلفات القيمة التى تعتمد على الاستفادة من علوم الغرب بما لا يخالف الحقائق التاريخية ولا يتناقض والعقيدة الاسلامية .

كما أن الدكتور عفيف الرحمن كتب إليّ ـ جزاه الله خيراً ـ حول رأيه في جهودالدكتورعمرفروخ الأدبية والنقدية فقال:يشكل شخصيته العلمية مايلي:
١ ـ عشق متفان للغة العربية .
٢ ـ إعجاب شديد بالشعر القديم وأعلامه كالمتنبي وأبي تمام وأبي نواس والشنفري .
٣ ـ صلة وثيقة بالفكر العربي الإسلامي ومواكبة تطوره عبر العصور .
٤ ـ غيرة شديدة على اللغة العربية دفعته إلى خوض معارك ضد معاول هدمها
٥ ـ لا يعجبه هذا الشعر الحديث (الحر أو شعر التفعيلة) .
٦ ـ كثير الخصومات مع من لا يرى رأيه ، فهو يرى أن دراسة شعر شاعر

لا تكون بالوقوف محامياً عن الشاعر بل بإستنطاق الشاعر وشعره أو الناثر ونثره .

فالدكتور عفيف عبدالرحمن يحدد شخصية الدكتور عمر فروخ العلمية وخاصة الأدبية منها كما يلمسها من مؤلفاته ومعاشرته له فترة من الزمن ، فهو يرى أن الدكتور عمر فروخ شديد الغيرة على اللغة العربية مما دفعه إلى الدفاع عنها والوقوف في وجه كل من يحاول المساس بها ، كما يرى بأنه شديد الإعجاب بالشعر القديم غير معجب بالشعر الحديث (الحر أو المنثور*) فعشق الدكتور عمر فروخ للغة العربية وغيرته عليها وإعجابه بالشعر القديم ونذر قلمه لخدمة هذه اللغة سواء من الناحية الأدبية أو اللغوية أو الفكرية جعل منه علماً من أعلام الفكر والأدب في العصر الحديث

وفي جريدة المدينة نقرأ في ملحق ألوان من التراث بإشراف الدكتور محمد يعقوب تركستاني تحت عنوان " جاهد وضحى في صمت ، وأعطى بلا حدود ورحل " نقرأ تحت العنوان " توفي في بيروت صباح يوم الخميس المنقضى علم من أعلام التراث الاسلامي وأستاذ من أساتذة هذا الجيل في اللغة والأدب والتاريخ والفلسفة وهو الدكتور عمر فروخ عن عمر يناهز الثمانين عاماهذا العمر الذى كان حافلا بالجهاد والتضحية في سبيل الاسلام والعربية والتراث الإسلامي وكان مفعما بألوان النشاط والحيوية والعمل

* انظر مناقشتى لهذه القضية فى الفصل الثانى من الباب الثالث فى هذا البحث .

الدءوب المخلص الجاد ، وقد عرف عن الفقيد ـ رحمه الله ـ حبه الغريب للقراءة والكتابة وشغفه العجيب بالاطلاع والبحث والدرس والتأليف وحدبه الكبير على طلابه وخلطائه من محبيه وعارفي فضله ، فقد كان يبذل لهم جهده ووقته وماله وعلمه ونصحه وإرشاده بلا حدود .

كان ـ رحمه الله ـ يقرأ ويكتب ويصنف ويشرح ويبذل علمه لطلابه حتى آخر يوم في حياته " (١) وهذا التقريظ الذى صدر عقب وفاته نجد فيه الاشادة بجهود الدكتور عمر فروخ والتأكيد على اتساع فكره وتعدد مجالات علمه مما يؤكد بأنه كان موسوعة علميه وعلما من أعلام الفكر والأدب .

أما في المجلة العربية فقد كتب د . محمد حمد خضر مقالا بعنوان : الدكتور عمر فروخ الذي رحل بعدأن عاش حياته لخدمة لغة الضادوأدبها : " افتقد الأدب العربي علما من أعلامه الذين خدموه في منتصف الشهر قبل الماضى ، ذلكم هو د . عمر فروخ الذى وافاه الأجل المحتوم أثر نوبة قلبية وهو يكتب على الآلة الكاتبة مقالا عن (التراث الإسلامي) (٢) فالدكتور محمد خضر يؤكد على أن الدكتور عمر فروخ علم من أعلام الأدب العربي وأنه خدم هذا الأدب طوال حياته إلى أن وفاه الأجل وهو يكتب مقالا عن التراث الإسلامي .

---

(١) جريدة المدينة المنورة الخميس ٢٦ربيع الآخر ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٧م .
(٢) المجلة العربية العدد ٢٤ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ ص ٢٢ .

أما الأستاذ مصطفى يعقوب فيقول فيه :" والحقيقة ـ ولعلنا بذلك لا نجاوز الصواب أن الدكتور عمر فروخ هو واحد من عمالقة جيل الرواد الأوائل الذين جمعوا بين الثقافتين العلمية والأدبية في آن معا " (١)

فجميع النقاد الذين أدلوا بآرائهم ـ في هذا البحث ـ حول جهود الدكتور عمر فروخ الفكرية والأدبية أجمعوا على أنه كان رحمه الله عالما ومفكرا وأديبا إسلاميا نذر قلمه لخدمة دينه ولغته فألف في التاريخ والفلسفة والأدب واللغة والرد على المستشرقين مما كان له الأثر الواضح في مسيرة الحركة الأدبية في العصر الحديث .

*　　*　　*　　*　　*　　*

---

(١) المجلة العربية العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ ص ٢٦ .

الفصل الثاني
مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة

الفصل الثاني

مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة

من خلال ما عرضت في الأبواب السابقة عن الدكتور عمر فروخ ، ودراساته في الأدب والنقد ، واهتمامه بالأدباء والشعراء على مر العصور وحرصه على بسط ذخائر الأدب العربي ، وتفانيه في الدفاع عن لغة القرآن الكريم ، وما عرضت له في الفصل الأول من هذا الباب حول آراء بعض النقاد والمعاصرين في جهوده الأدبية والنقدية بصفة خاصة ، والفكرية بصفة عامة ، يسرني في هذا الفصل أن أقف قليلاً لأبين مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة .

يعتبر الدكتور عمر فروخ علما من أعلام الأدباء ومفكري العصر الحديث فهو مفكر أديب ناقد إسلامي غيور على عروبته وإسلامه ، نذر قلمه وفكره لدراسة كثير من قضايا الأمة العربية والإسلامية من خلال مؤلفاته المتعددة الموضوعات : في الأدب واللغة والشعر ، والتاريخ والفلسفة ، والدراسات الإسلامية والرد على المستشرقين والترجمة لكن ما يهمني في دراستي هذه هو الوقوف على مؤلفاته الأدبية وبيان صداها وأثرها على مسيرة الأدب العربي في العصر الحديث ، ومن ثم بيان مكانته في الحركة الأدبية المعاصرة على ضوء هذه المؤلفات .

فلو أمعنا النظر في موسوعته : تاريخ الأدب العربي بأجزائها الثمانية ، والتي تدرس الأدب العربي وتؤرخ له من الجاهلية إلى القرن الحادي عشر

الهجري هذه الموسوعة التي بذل فيها الدكتور عمر فروخ جل وقته وعظيم جهده كانت ولا زالت مصدرا هاما لكل دارس وباحث في تاريخ الأدب العربي نظراً لغزارة المادة العلمية فيها والإحالات إلى المصادر والمراجع التي يمكن العودة إليها من أراد الاستزادة حول موضوع ما * ويجدر بي أن أذكر ما قاله الدكتور علي زيعور في هذه الموسوعة ، فهو يقول عنها " وعمل هو بالاتساع الذي نلقاه ، ربما لن يتعارض مع وصفنا بأنه موسوعي وهنا أرى أن صفة الموسوعية على نتاج عمل أستاذنا ، بحيث أني أتقبل تسمية ذلك العمل الكبير بإسم : موسوعة الأدب العربي التسمية فقط المفقودة ، وليس المحتوى أو الروح والمناهج ، ولعل المؤلف لم يقصد إلى تلك النتيجة التي بلغها إذ ربما لم يكن قصده في البداية أن يقدم لنا تلك الموسوعة التى صارت اليوم منجما ومنبعا في ميدان تاريخ الأدب العربي " (١) فموسوعته في تاريخ الأدب العربي بما احتوته من مادة علميه غزيرة لنا أن نعتبرها كنزا ومنبعا في مجال تاريخ الأدب العربي والتأليف فيه في العصر الحديث ، كما أن تناوله للأدب في المغرب والأندلس بهذا الاتساع في هذه المجموعة ، حيث أفرده بثلاثة أجزاء منها لم يسبقه أحد من الباحثين أو الدارسين بمثل هذه الدراسة الواسعة* فهو يؤرخ ويبسط ذخائر الأدب في المغرب والأندلس

* انظر الفصل الأول من الباب الثانى من هذا البحث .

(١) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ٩٤ .

* انظر الفصل الثالث من الباب الثانى من هذا البحث .

خلال الحقبة الممتدة منذ الفتح الإسلامي في القرن الأول للهجرة إلى الفتح العثماني في المغرب سنة ٩٢٣هـ (١)

فهذه الدراسة الواسعة الشاملة للأدب في المغرب والأندلس والفريدة من نوعها من حيث غزارة مادتها العلمية واهتمامها بالأدب المغربي في كل فتراته الأدبية تبرز مكانة الدكتور عمر فروخ في الساحة الأدبية العربية المعاصرة مع غيرها من الدراسات التي لا تقل أهمية وفائدة عن هذه الدراسة . كما أنه كان شاعراً مجيداً ، ويقول الدكتور علي زيعور في شاعريته : ـ "تنجلي شاعرية فروخ في كتاب "الأناشيد المصورة" وماحول ذلك العمل ، ويظهر الشاعر الرقيق ، والشاب المرهف الإحساس ، عبر قصائد تستطيع لمسها ثم امتداحها . وفي مجال أدب الأطفال يحوز شاعرنا عمر فروخ لواء يتقدم ذا أولوية في الزمن وفي الرتبة ، في التاريخ وفي المكان (٢) " فالأناشيد التي نظمها في مجال الأطفال تقدم لنا شاعرا مجيدا مرهف الحس رقيق الشعور كما أن ديوانه "فجر وشفق" يمثل لنا الشاعرية الإبداعية في شخصيته ـ رحمه الله ـ .

---

(١) انظر الموسوعة ج٤ ، ج٥ ، ج٦ .

(٢) صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ (مصدر سابق) ص ١٢٣ .

وقد أشاد بشاعريته أيضا الدكتور عدنان الخطيب قال :"لقد كان عمر فروخ يملك مقومات الشعر الحقيقي من حس مرهف وشعور رقيق وخيال مبدع ولغة ظليعة ونظرات إنسانية عميقة وثقافة بعيدة الآفاق" فنحن لسنا أمام عالم مفكر وأديب فقط وإنما أمام شاعر أيضاً وشاعر جيد ، وإن شاعرية الدكتور عمر فروخ لاتقتصر على الشعر الذي من نظمه هو بل تتعدى ذلك إلى الشعر الذي يترجمه ، فأشعاره المترجمة عن اللغة الإنجليزية والفرنسية والفارسية والألمانية تشعر من يقرؤها كأنها منظومة أصلا باللغة العربية ومثال ذلك قصيدة (عاثر في الهوى) المترجمة عن شكسبير :

أنا إن أخفت الحمام فؤادي وخلعت الحياة عن منكبيا

لاتدع زهرة على النعش تُلقى قد كساها الربيع زهواً وريا

لا ، ولا صاحبا يثحَيّ رفاتي حسبه مابكى وقد كنت حيا

القني حيث لايراني محبٌ عاثر في الهوى فيبكي عليا

وقصيدة (الزهرة) المترجمة عن الشعر غوته : (١)

خرجت للمرج أبغـــي	في المرج ترويح بالي
جلست في الظل أرنو	لزهـرة في خيالــــي
كالنجم والعين زهـوا	وآية فــي الجمــــال
مددت كفي فمالــــت	تقـول لي بـــــدلال
تريد قطفي لأذوي ؟	أراك تبغي زوالــــي
حفرت حول جــذور	لها بكل اعتـــــدال
وقمت أسعى لبيــــت	لنا كثير الظــــلال
زرعتها فهي تنمــــو	في زينة المختــــال
ولاتزال تُرينــــــا	زهرا بديع المثــــال

ومن شعره الذي هو من نظمه أخترت هذه القصيدة "استقبال الحياة" لنقف على مدى شاعريته ـ رحمه الله ـ فهو يقول فيها : ـ (٢)

خذ من سرورك باليمين	إني سئمت من الأنين
وابسم إذا طلع النهـــا	ر وسِرْبه طلق الجبين
وخض الحياة مجاهداً	بالبشر فيها واليقيـــــن
ريان من ماء الصبـــا	نشوان بالأمل المكيـــن

(١) المصدر السابق ص ١٦٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٨٤ .

فخر الشباب مُنى تـلو ح ضحى فتؤخذ باليمين
لا يُدْرِكُ المجدَ المؤثَّـ لَ غير ذي عزمٍ متيـــــن

فهذا الشعر الرائق الديباجة ينم عن شخصية مرهفة الحس رقيقة الشعور ، إلى جانب الألفاظ القوية ، والعبارات الجزلة ، والالتزام بعمود الشعر العربي ، يجعلنا لا نتردد في وضع الدكتور عمر فروخ ضمن شعراء العصر الحديث الذى يستحقون الدراسة والبحث المنهجي العلمي ، فما تركه لنا من شعر رائع سواء ديوانه "فجر وشفق" أو كتابه "غبار السنين" الذى اشتمل على أشعار كثيرة وجيدة ، ترفع من مكانته رحمه الله وتضيف إليه لقباً آخر إلى جانب الألقاب التى هو يملكها "مفكر وعالم وأديب ، وفيلسوف . . . . فهو أيضا شاعر ولم يكتف ـ رحمه الله ـ بنظم الشعر ، وإنما اهتم أيضا بنقد الشعر أيضا خاصة الشعر الحديث من خلال كتابه : هذا الشعر الحديث ، ففي هذا الكتاب آراء واضحة وجريئة له حول الشعر الحر ، إذ إنه يُعَرِّفْ الشعر في بداية الكتاب وفي صفحة الإهداء بقوله :"هذا بحث في الشعر من حيث هو تعبير عن فكر واضح في سياق من القول القائم على النظم الموسيقي والمقيد بالقافية ، أو بنظام من القوافي مما يكسب القول الجميل حسناً " (١) .

فهو يُعَرِّفْ الشعر بأنه تعبير واضح عن فكر واضح وهذا التعبير لابد أن يكون في قول جميل موسيقي مقيد بالقافية فإنه بقوله : مقيد بالقافية ، يعلن عن

---

(١) هذا الشعر الحديث د . عمر فروخ (مصدر سابق) ص ٥ .

اعتراضه الشديد على الشعر الحر الذى لا يلتزم بالقافية ، وهذا ما يلمسه قارىء هذا الكتاب ، فإنه سيلمس ثورة وغضب الدكتور عمر فروخ على أنصار الشعر الحر والمنادين به وقد دافع ـ رحمه الله ـ عن اللغة العربية دفاع المواطن المحافظ على لغة دينه ، وقد تصدى لكل من يحاول المساس بها من المستشرقين ، ونذر قلمه ووقته للرد على هؤلاء المستشرقين ودحض آرائهم الباطله وأقوالهم المغرضة ، ومارسالته العلمية التى تقدم بها لنيل الدكتوراه إلا من هذا القبيل ، فقد عرض عليه أستاذه والمشرف على رسالته " يوسف هل" أن يحل المشكلة التالية ، حيث يقول له : يرى نفر من المستشرقين أن الإسلام لم يستقر في نفوس المسلمين إلا في العصر العباسي قياساً على أن النصرانية لم تبدأ في الانتشار بين الناس إلا في القرن الرابع للميلاد فهل تستطيع أن تعالج هذا الموضوع وتضع هذه المشكلة على أحد جانبيها " (١) وبالفعل عالج الدكتور عمر فروخ هذا الموضوع ووضع المشكلة على أحد جانبيها إذ أنه أثبت من خلال الشعر في صدر الإسلام ومن السنة الأولى للهجرة أن تعاليم الإسلام كانت تستقر في نفوس المسلمين ، كما كانت آخر محاضرة له قبل أسبوع من وفاته في النادي الثقافي العربي بمناسبة مرور ثمانمائة عام على معركة حطين ، وقد تساءل في نهاية كلامه بحرارة (أين هو صلاح الدين منقذ هذه الأمة اليوم ؟) وقد تحدث الدكتور

---

(١) المجلة العربية العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ ص ٢٦ .

عبدالكريم خليفة رئيس مجمع اللغة العربية الأردني عن جهوده ـ رحمه الله ـ في تأبينه في الكلمة التى ألقاها في مؤتمرمجمع اللغة العربية بالقاهرة في يناير ١٩٨٨م ، فقال :"قد ترك الفيلسوف الأديب عدداً كبيراً من المؤلفات والترجمات يربو على الستين * . وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . فإنتاجه الأدبي والفكري إنتاج غزير يشمل ميادين مختلفة وربما كان أهم ميادين هذه الدراسات في إنتاج عمر فروخ الموسوعي ، يتحدد في قضايا الأدب واللغة والنقد والتاريخ والفلسفة والسياسة . . . وربما كان موضوع العروبة والإسلام في فكر عمر فروخ من أهم الموضوعات التى تستحق الدراسة في فكر فيلسوفنا الراحل . وسنحاول في هذه الكلمة المقتضبة أن نلقي أضواء على هذه الجوانب المتعددة من أدب عمر فروخ . ولكن لابد لكل دارس لأدبه أن يأخذ بعين الاعتبار قضيتين أساسيتين ، إحداهما : الحياة السياسية والثقافية في الوطن العربي بعامة وفي بلاد الشام بخاصة ، والأخرى شخصية عمر فروخ وتكوينه الثقافي والعلمي حيث شخصية العالم العربي توجه إنتاجه الخصب في ميادينه المختلفة .

---

* من خلال حصري لمؤلفاته ـ رحمه الله ـ وجدت أنها تربو على الثمانين (راجع الفصل الثاني من الباب الأول من هذا البحث) .

ففي مجال الأدب وتاريخه ، عنى أديبنا عناية فائقة بالتراث ومحاولة تقديمه بثوب جديد ومنهجية علميه إلى الدارسين . فقد وضع كتابه الموسوم : "تاريخ الأدب العربي" في ستة أجزاء . حاول فيه تقريب الموضع للدارسين والباحثين وبسط ذخائر الجانب الوجداني من الأدب العربي للمطالعين . وينطلق عمر فروخ في تأريخه للأدب العربي من النظرة الكلية الشاملة لوحدة هذه الأدب ، وأنه إذا كان أرخ للأدب في المشرق ثم أرخ للأدب في المغرب ، لايعني على حدّ تعبيره أن الأدب المشرقي ينفصل عن الأدب المغربي ولكنه اتبع هذا المنهج لغايات الدراسة والبحث وسهولة التناول ونحن إذا استثنينا الدراسات التى عقدها حول العصور السياسية وخصائصها الأدبية ، فقد احتوت هذه السلسلة بأجزائها الستة مئات من تراجم الشعراء والخطباء والكتاب والأدباء من ذوي الإنتاج الوجداني . ووضع المؤلف مقدمة لهذه السلسلة استعرض فيها المؤلفات التى كتبت حديثاً في تاريخ آداب إللغة العربية ، ووضع كتاب "تاريخ آداب اللغة العربية" لبروكلمان في المكانة الأولى . . ويعتبره مبتكراً وشاقاً لطريق لم تشق من قبل وهي دراسة قيمة على قصرها ، وتمثل أيضا روح النقد عند مؤرخ الأدب عمر فروخ .

وعني عمر فروخ بالتاريخ دراسة وتدريساً وتأليفاً ، وكان له منهجه المميز ، فلم ير في التاريخ قصصاً وحكايات ساذجة يتناقلها الرواة بعد أن تعمل فيها الأهواء عملها ويتمثل منهجه في التاريخ بالتحليل العلمي لأحداث

التاريخ وتحولاته . وقد أكسبه هذا المنهج العلمي قدرة كبيرة على النفاذ إلى معرفة الأسباب والعوامل المؤثرة في مجريات الأحداث والتفريق بينها وبين الأسباب والعوامل الثانوية . . وربما كان للتكوين العلمي في ثقافة عمر فروخ تأثير كبير في منهجه العقلاني في دراسة تاريخ الأمة وتراثها . ومن هنا نشأت أفكاره في وجوب إعادة النظر في رؤية جديدة لتاريخنا العربي ، لأن التاريخ الصحيح ، كما يراه ، لا يكون إقليمياً ، فالأقليمية تشوه تاريخ العرب والمسلمين وتفقده عظمته وقيمته ومكانته ، ولذلك طالب بالرجوع إلى كتابة تاريخنا كما كان كتبه عمر بن الخطاب ، وعبدالملك بن مروان ، وطارق بن زياد والحجاج بن يوسف ، والمأمون ، وصلاح الدين الأيوبي وغيرهم . . وقد وضع عمر فروخ أيضا عدداً من الكتب التاريخية تتفاوت في موضوعاتها ومنها : تاريخ الجاهلية ، وكتاب العرب والإسلام في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، والعرب والإسلام في الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسط ، والعرب في حضارتهم وثقافتهم . . .

ويتجلى فكر عمر فروخ الفيلسوف في ثنايا تأليفه وفي مواقفه الحياتية التى عاشها مخلصا لرأيه وسط الزعازع والمؤثرات وحروب الحاقدين على تاريخ الأمة وتراثها والمنشقين عن كيانها . فقد آمن بوحدة الفكر الفلسفي وكان له موقف من قضية المعرفة ، يذكرنا بموقف أخوان الصفا وخلان الوفاء في القرن الرابع الهجري ، عندما حاولوا تقريب المعارف العلمية والفلسفية إلى أذهان عامة المثقفين وهذا مايفسر مقولته :"مادامت الشمس

للجميع فلم لا تكون المعرفة للجميع أيضا" .

وكذلك كان فيضه للعلاقة بين الدين والفلسفة ، حيث رأى أن الإسلام هو الدين الوحيد الذى دعا الإنسان إلى التفكير في كل شيء . . . وبينما كانت الفلسفة عدوة الدين عند النصارى ، كانت الفلسفة في الإسلام ، كما يقول ابن رشد :" صاحب الشريعة والأخت الرضيعة" . . . وهذه مقولة معروفة جيداً في الفكر الإسلامي ، حيث يتمثلها التيار الذى أخذ على عاتقه التوفيق بين الفلسفة والدين .. ومن خير مايمثله قصة "حي بن يقظان" لابن طفيل . . . .

وتتميز فلسفة عمر بأنها إنسانية تربوية ، فالبراعة في العلم على حد تعبيره ليست قائمة على الذكاء فقط ، ولكنها قائمة أيضا على الجهد وعلى السعى والمثابرة وإن البارع في عمل ما إذا انقطع مدة عن ممارسة ذلك العمل قلت براعته فيه ، وربما بطلت . . . وكثيرة هى الاراء المتناثرة التى تعبر عن فلسفة عمر . . . . وهو يحل العمل والخبرة محلاً مهماً إلى جانب الاستعداد الفطري . إذ يفسر الحالات التى تطرأ عند الشخص الواحد فيقول :"إن الاستعداد الفطري واحد ، ولكن الاختيار إذا طال صقل الاستعداد وسهل عليه العمل ، ثم أكسب العمل تنظيما ووضوحا .. .. " وكان الالتزام أساسا في سلوك عمر فروخ وفي قلمه ، فقد وجد في مهنة التدريس مهنة وسلوكا ، ونظرا في الحياة ، وطريقا لنهضة المجتمع واستعادة القوة للإسلام في الحضارات الراهنة .

أما نقد عمر فروخ ، فهو جزء من نظرته إلى الحياة ، في إطار فلسفته والتزامه الفكري ، وهو أيضا يعكس شخصية عمر في حدته وجداله ، والنقد عنده أداة معبرة من أدوات الوصول إلى الحقيقة والدفاع عنها . . وقد شمل النقد عنده معظم ميادين المعرفة . . وكما يترجم عنه صوته الحاد إذا ما استثاره الغضب فإنه يترجم عنه أسلوبه اللاذع إذا ما تعلق الموضـــوع بالاساءة إلى تراث الأمة أو لغتها أو فكرها ولنقف قليلاً عند تقييمه لبعض الكتب في تاريخ الأدب ويقول عمر ـ رحمه الله ـ أما إذا كان هنالك كتاب ككتاب اسمه "آداب العربية وتاريخها" لجرجس كنعان(بيروت سنة١٩٣١م) فمن إحترام العلم ومن الستر على صاحبه ألا يذكر . ومثل هذا يقال في كتاب شعراء النصرانية قبل الإسلام ، وشعراء النصرانية بعد الإسلام للأديب شيخو ، وفي الكتيبات التى استقت منها . فإن هذه الكتب كلها بنيت على أساس فاسد ، ومابني على فاسد فهو فاسد . كان الأب لويس شيخو . . ينقب وينقر ويجهد نفسه ولاهم له إلا أن يثبت أن شاعرا من الشعراء الجاهلين نصرانيا على مذهب معلوم . . ." وكذلك فعل عمر في نقده لأعمال "هيئة الدراسات العربية في الجامعة الأمريكية ببيروت" وجملة القول فإن النقد الأدبي والاجتماعي والفكر اللغوي يكون معلماً بارزاً في حياة فيلسوفنا الناقد . .

أما أسلوب عمر الساخر اللاذع ، فإنه أداته في جميع المجالات ، ولا يقتصر على ميدان بعينه ، ولكنها سخرية تذكرنا بأسلوب الجاحظ ، وتدفعنا

إلى الضحك دون تجريح أو إثارة أحقاد . ونسلك في هذا الباب الدعاء الذي ختم به كتابه القيم الموسوم "التصوف في الإسلام" يقول :"اللهم فاحْمه من أصحاب المراء وسراق الآراء الذين يظهرون العلم ويبغون الظلم ، ثم يسطون على آراء الناس وهم يتسترون بمناصب وصلوا إليها ودعايات اقتدروا عليها . واحْمه اللهم أيضا من حسود حقود كفور كنود ، لا ينفع الناس بشيء ولايدعهم يلجأون إلى فيء ، يعز عليه أن يرى رجلا يكتب كلمة لايستفيد هو فيها درهما ، فيرى الناس كلهم من خلال نفسه ويود أن لو دفعهم جميعاً إلى رمسه . اللهم إن أمثال هؤلاء قذى في عين العلم فانْفه عنها . إنك السميع المجيب" (١)

وأما نتاج فيلسوفنا المنافح عن الإسلام ، فإنه يستحق الدراسة والبحث فقد كانت له بحوث وموضوعات ألقيت في عدد من المؤتمرات والمناسبات أو نشرت في المجلات والصحف ، وقد نذر حياته كلها للدفاع عن العروبة والإسلام . وقد جمع كثيرا من هذه المقالات ونشرها في كتابه الموسوم "تجديد في المسلمين لا في الإسلام" بيروت ١٤٠١ ـ ١٩٨١م . وقد قدم إليها بقوله :" في هذه البحوث والموضوعات آراء يقصد بها هنا أن تكون من باب الاجتهاد الشخصي ، مأخوذة من مصادر الإسلام ومعروضه على العقل والمنطق . ومع أنها كلها راجعة إلى أعمال السلف ومعروفة المظان عند الفقهاء

(١) انظر : عمر فروخ التصوف فى الاسلام بيروت (١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م) ص ١٩٩ ـ ٢٠٠ .

، فليس معنى هذا أنها وحدها صحيحة وأنه لا يجوز العمل بغيرها : إنها آراء صحيحة في نفسها إلى جانب الآراء الصحيحة الواردة عند الفقهاء ، ثم إنها أيضا خاضعة للمناقشة "ونحن نرى في هذه التقدمة خلاصة وافية لمنهج عمر في دراسة التراث متكئاً على النصوص في مصادرها الأولى ، ومعملا النظر فيها من خلال العقل والمنطق . وأما كتابه المعروف "التصوف في الإسلام" فقد بذل فيه جهداً علمياً كبيراً . . وإن موقف عمر من التصوف مبني على دراسة قد امتدت حسب تعبيره إلى أكثر من عشر سنوات . . .

وقد اختار عنوان كتابه بعناية ودقة فهو "التصوف في الإسلام" وليس "التصوف الإسلامي" لأنه ينكر أن يكون هنالك تصوف إسلامي .

ويربط الفيلسوف الأديب عمر فروخ بين الإسلام والعروبة ، ويرى أن اللغة العربية لغة القرآن الكريم ، تمثل أمتن هذه الروابط وأقواها . وكيف أن هذه اللغة الشريفة قد اتسعت في أوجه دلالاتها من غير أن تتبدل أو تنحدر عن فصاحتها . وله في هذا الميدان كتاب "عبقرية اللغة العربية" وهو في الواقع مجموع بحوث ، قد أُلقيت في مجمع اللغة العربية في القاهرة أو في اجتماعات مختلفة . يؤكد المؤلف من خلالها مقدرة اللغة العربية على القيام بجميع وجوه التعبير في جميع ميادين الحياة .

وإن الدارس الذى يستعرض الجوانب العلمية المتعددة لانتاج البحاثة الأديب عمر فروخ ، لابد وأن يقف عند كتابه المهم الموسوم "عبقرية العرب في العلم والفلسفة" وقد تُرجم هذا الكتاب إلى الانجليزية منذ سنة ١٩٥٤م

ويحدثنا رحمه الله عن الغاية من وضع هذا الكتاب فيقول :" ليست الغاية من هذا الكتاب أن يكون أحكاماً براقة وكلمات مرصوفة ، فيكون تمدحاً بالماضي وفخراً بالاجداد ولكن الغاية منه أن ندل على مكانة العرب بما نعرضه من آرائهم ونظرياتهم ." ويربط عمر دائما بين الماضي والحاضر فيقول :"فلعلنا إذا رأينا عظمة ماضينا ، ومدى تأخرنا في حاضرنا ، أن نستطيع الوثوب إلى المستقبل وثبة صحيحة . "ويحتل التراث في فلسفة عمر مكانة جوهرية في حياة الأمم ، إذ يقول :"إن حياة الأمم رهينة بحياة تراثها . فالأمة التى لاتراث لها لاتاريخ لها . وإن الأمة التي لاتاريخ لها ليست إلا كتلاً بشرية لاوزن لها في ميزان الأمم ." ويعلو صوت المؤلف في موضع آخر في وجه أعداء الأمة فيقول :"ولم نعلم في تاريخ الإنسانية أن ثقافة ما هوجمت بمثل العنف الذى هوجمت به الثقافة العربية . وذلك لأن ثقافتنا بخصائصها وميزاتها سياج حقيقي لنا ، والرغبات في تمزيق هذا السياج كثيرة ظاهرة للعيان ، لاحاجة إلى الدلالة عليها ، ثم إن الغاية من تمزيق هذا السياج تمزيق الأمة العربية نفسها ، وهذا مايرمي إليه المستعمرون " (١)

وفي آخر الكتاب ينقد المؤلف الأوضاع العربية الحاضرة ، ويؤكد أهمية العلم في حياة الأمة ، وينعي على العرب حاضرهم الاستهلاكي . . . وينقد

---

(١) انظر : عمر فروخ عبقرية العرب فى العلم والفلسفة بيروت ١٤٠٠هـ ١٩٨٠م ص ٢٢ ـ ٢٣ . وكأنى بالمؤلف يشير هنا إلى كتابه القيم الذى وضعه بالاشتراك مع الدكتور مصطفى خالدى بعنوان :"التبشير والاستعمار فى البلاد العربية" وقد ترجم إلى اللغة الروسية .

أنظمة التعليم ومناهجه وبرامجه ويدعو إلى ثورة علمية تربوية كي تستطيع أمتنا مسايرة الحضارة الحديثة .

وجملة القول فإن إنتاج عمر فروخ ، رحمه الله ، يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة . وأن هذا الانتاج الخصب لايمكن أن يفهم على حقيقته إلا من خلال دراسة الأحداث التى عاشها المؤلف . فقد أثر فيها وتأثر بها .وكان آخرها إغتيال ولده مازن ، فكانت قاصمة الظهر .

خاتمة (١) :

وبعد إغتيال ولده ببضعة أشهر وفي يوم السبت الواقع في السابع من تشرين الثاني سنة ١٩٨٧م ، توفي الفيلسوف العربي عمر فروخ عن عمر يناهز الواحدة والثمانين عاماً . فقد كان ، رحمه الله ، وقد عرفته عن كثب زميلاً كريماً وعالماً جليلاً وفارساً لا تلين له قناة في الدفاع عن الإسلام والعروبة وعن كل ماهو حق .

وقد أغنى الخزانة العربية بمؤلفات قيمة ، وقضى حوالي ستين عاماً من عمره الخصب المعطاء في خدمة لغة القرآن وتأصيل جذور وحدة الأمة وإزاحة غبار القرون عن تراثها العظيم ، ليقدمه إلى طلابه وأبناء أمته في ثوب قشيب ، تزينه اللغة الجميلة والمنهجية العلمية . وكان رحمه الله حريصاً كل الحرص من خلال مايضيفه من رونق عقلاني على بحوثه وكتاباته أن يصل

---

(١) هذه الخاتمة فى كلمة التائبين للدكتور عبدالكريم خليفة والتى ألقاها بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

حاضر الأمة بماضيها وأن يكون رائداً لفجر مستقبل زاهر ، يستبين شعاعه من خلال حاضر مهين ، تلفّه ظلمات تراكم بعضها فوق بعض ، وتكتنفه المؤتمرات والفتن وتستهدفه النزوات الاستعمارية تبشيراً واستغلالاً واستيطاناً واجتياحاً عسكرياً في البر والبحر والجو . . .

وكان ولده مازن ، رحمه الله ، من ضحايا هذه الفتن العمياء . . وقد شاء القدر أن يفجع المربي الفيلسوف ، وقد دلف إلى أعتاب الواحدة والثمانين من عمره بفلذة كبده وقد ذهب ضحية قذيفة عمياء . وسقط المصاب جللاً على نفس الوالد الشيخ . ولكن غلبه بالإيمان العميق والصبر الجميل . ولم ينقطع البحاثة المؤرخ عن العمل والتأليف . فقد حدثتنا الصحف أنه كان قبل أسبوع واحد من وفاته رحمه الله ، يحاضر من على منبر النادي الثقافي العربي في ذكرى مرور ثمانمائة سنة على معركة حطين . وبعدما نقل بعض الأخبار من مصادرها كما تقول الصحيفة تساءل بمرارة :"أين هو صلاح الدين منقذ الأمة العربية اليوم"

رحم الله عمر ، الفيلسوف والأديب والمؤرخ والناقد ، رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته ، وجزاه الله خيراً عن خدمة أمته وتراثها العظيم ولغتها المجيدة لغة العروبة والإسلام . (١)

هذا هو الدكتور عمر فروخ فهو العالم المؤرخ الفيلسوف الأديب الناقد

---

(١) كلمة التأبين التى ألقاها الدكتور عبدالكريم خليفة بمجمع اللغة العربية بالقاهرة .

الذي أثرى المكتبة العربية والفكر العربي بمؤلفاته وبحوثه القيمة وقد ظل كذلك حتى آخر حياته ـ رحمه الله ـ فكما ذكرت سابقاً قد وافاه الأجل المحتوم وهو يطبع على الآله الكاتبة مقاله الآخيرعن (التراث الإسلامي) (٢)

ويكفى أن نعاود قراءة ما بصفحات هذا البحث لنقف على مؤلفاته التي تربو على الثمانين مؤلفا ، وبحوثه الكثيرة التى قدمها في مجامع اللغة أو المحافل والمؤتمرات والندوات ، لنعلم المكانة العظيمة التى لاينكرها إلا ممار في الحق جاحد لجهود الآخرين ، فما قدمه للأمة العربية والإسلامية خلال حياته يكفل له ولمؤلفاته الخلود في فكر المفكرين والأدباء والباحثين والعلماء كما يمنحه الأحقية في تناول انتاجه المتعدد الفروع بدراسات علميه متعددة وقد أكد على هذه الأحقية الدكتور عبدالكريم خليفة في كلمة التأبين التى قالها فيه في مجمع اللغة العربية بالقاهرة إذ قال :" وإن إنتاج عمر فروخ يستحق أن يكون موضوعاً لدراسات علمية متعددة ، فإنتاجه الأدبي والفكري انتاج غزير يشمل ميادين مختلفة "

رحم الله عمر فروخ العالم والمفكر والفيلسوف والأديب والناقد رحمة واسعة وأسكنه الفردوس في الجنة على ما بذل لأمته العربية والإسلامية من جهود عظيمة في ميادين شتى .

* * * * * *

---

(٢) المجلة العبية ، العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ ص ٢٣ .

الخاتمة

أ ــ أهم ما أضافته هذه الدراسة .

ب ــ المقترحات .



الخاتمة

لقد ذكرت في مقدمة بحثي أني رغبت في ألقاء الأضواء على تناج الدكتور عمر فروخ الأدبي بإعتباره من دارسي الأدب في العصر الحديث الذين يتوقف المرء أمام مؤلفاته الكثيرة ودراساته الأدبية الواسعة والمتميزة ، وكان أول ما يتحتم عليّ تناوله بالبحث والدراسة من مؤلفاته الأدبية والنقدية هو : "موسوعته تاريخ الأدب العربي " المكونة من ستة أجزاء مردفة بجزأين آخرين بعنوان "معالم الأدب العربي في العصر الحديث" فهذا الكتاب يعتبر من أوسع وأشمل الكتب التي أرخت للأدب العربي ، حيث يبدأ فيه بالعصر الجاهلي ومناقشة بعض القضايا حول الأدب في هذا العصر مثل : أيهما أهم في العمل الأدبي (اللفظ أم المعنى) فهذه قضية قديمة وقد عرض لاختلاف النقاد حول هذه القضية فالبعض يرى بأن المعنى في العمل الأدبي أهم إذ أنه هو الغرض الأول المراد تحقيقه من أى عمل أدبي بينما يرى فريق آخر أن المعاني في متناول الجميع ، وإنما المعول عليه يعود على اللفظ أو الأسلوب فالشاعر أو الأديب الموهوب هو الذى يستطيع أن يكتب حول المعنى الواحد بعدة أساليب ، وهذا أمر صحيح على أن يضفي كل أسلوب على المعنى شيئا من الرونق والجمال والقوة والوضوح .

كما عرض لقضية أخرى : أيهما أقدم الشعر أم النثر ، كما عرض للشعر في الجاهلية فذكر أنه كان شعراً قوياً يعتمد على سبك المعاني وجزالة

الألفاظ وكان عمودياً (يلتزم بوزن معين وقافية موحدة) أما النثر فقد تعددت أنواعه فهناك الخطب ، والحكم ، والأمثال ، سجع الكهان . وقد كان النثر في جاهليته يعتمد على الصناعة اللفظية كثيراً . كما يرى الدكتور عمر فروخ أن الأدب في عصر صدر الإسلام كان متأثراً جداً بالقرآن الكريم وبتعاليم الدين الإسلامي ، إلى جانب تأثره بالأدب الجاهلي من حيث الألفاظ الجزلة والأساليب الرصينة .

لكن ما كاد يطل علينا عصر بني أمية حتى نرى أن المعاني الجاهلية التي اندثرت في الشعر بظهور الإسلام أخذت تعود مرة أخرى ، فعاد الهجاء اللاذع والتفاخر بالانساب .

أما النثر فقد اتسع في عصر بني أمية اتساعاً كبيراً بسبب نشوء الأحزاب والمذاهب السياسية المختلفة وتطور الحياة الاجتماعية واتساع رقعة الدولة الإسلامية . فقد اتسعت كتابة الرسائل في هذا العصر فكانت الرسائل الإخوانية ثم الرسائل الديوانية وقد اشتمل النثر في هذا العصر على الصناعة اللفظية والاستشهاد بالحكم والأمثال والشعر وذلك في الخطب .

أما في العصر العباسي فقد مال الشعراء إلى الرقة والعذوبة في الألفاظ نظراً لاختلاطهم بالفرس والسلاجقة وتغير أساليب الحياة الاجتماعية في هذا العصر ، كما أكثروا من الصناعة اللفظية والتأنق البديعي وأخذ بعضهم يتحرر من القافية الموحدة وقد تطورت بعض الفنون كفن الوصف مثلاً ، إذ نجدهم

يأخذون في وصف القصور والبرك والنوافير . إلى جانب نظمهم في الفنون القديمة .

أما النثر فقد كان أيضا يميل إلى سهولة الألفاظ ووضوحها والصناعة اللفظية ونشأت التوقيعات واتسع ديوان الرسائل .

وبعد سقوط بغداد على يد هولاكو التتري سنة ٦٥٦هـ بدأ الأدب يميل إلى الضعف والركاكة ، وقد حاول الدكتور عمر فروخ أن يدفع عن هذه الفترة التى تلت سقوط بغداد تسميتها بعصر الانحطاط ، وقد حاولت معه لكن تبقى الحقيقة الأكيدة التى نستنتجها من نتاج شعراء وأدباء هذا العصر ، وهي وصفه بعصر الانحطاط في الأدب ، وإن كان هناك شعراء قليلون نهجوا منهج القدماء في شعرهم من جزالة في الألفاظ ورصانة في الأساليب وقوة في المعاني ، لكن السمة الغالبة كانت هى الانحطاط والضعف والركاكة وقد استمر الأدب كذلك إلى عهد النهضة في بداية العصر الحديث .

أما الأدب في الأندلس فقد خصه الدكتور عمر فروخ بثلاثة أجزاء من موسوعته : تاريخ الأدب العربي ، فدرس هذا الأدب منذ القرن الهجري الأول أى من بداية وصول العرب إلى المغرب والأندلس إلى نهاية عصر بني الأحمر وسقوط آخر مدن غرناطة في يد الأسبان ، وقد كان هذا الأدب شعراً ونثراً متأثراً بالطبيعة الخلابة في الأندلس وبالحياة الاجتماعية هناك ، فاتسع فن الوصف اتساعاً كبيراً .

هذا وقد عقدتُ مقارنة بين دراسة الدكتور عمر فروخ لتاريخ الأدب

العربي وبعض الدراسات المناظرة ، وقد اخترت منها : تاريخ آداب اللغة العربية لجرجي زيدان وسلسلة تاريخ الأدب العربي للدكتور شوقي ضيف ، وتاريخ الأدب العربي لأحمد حسن الزيات .

ولم يفت هذا البحث دراسة الشخصيات التى تعرض لها الدكتور عمر فروخ ، فهناك شخصيات تناولها في موسعته : تاريخ الأدب العربي ، وهناك شخصيات أخرى أفردها بالدراسة واتضح لي من خلال هذه الوقفة أن دراسته للشخصيات في تاريخ الأدب العربي كانت سطحية لا تتعدى ذكر اسم صاحب الترجمة وشيئا بسيطا عن حياته وخصائصه الفنية ونموذجا أو نموذجين من نتاجه وإن أردف كل شخصية بالمراجع القديمة والحديثة التى توفر للباحثين جهدهم ووقتهم مما يُعد من حسنات الدكتور عمر فروخ في هذا المجال .

أما تناوله للشخصيات في دراسة مستقلة ، فقد تناولت من هؤلاء : عمر ابن أبي ربيعة هذا الشاعر الغنائي الغزلي الأموي ، الذى أكثر من الغزل .

كما خص الشاعر العباسي أبا تمام بدراسة مستقلة فتناول شعره بالبحث والتحليل وذكر أن شغف أبي تمام بالإغراب ما كان إلا لسعة إطلاعه ، وفكره القوى فيما يرى كثير من النقاد أن أبا تمام أسرف في الصناعة اللفظية والإغراب والتصنيع مما أرهق الذهن في الوقوف على معانيه والوقوف على مراده .

كذلك خص أبا فراس الحمداني بدراسة مستقلة فأثبت في خصائصه

المعنوية تغلب الجد على شعره لوقوعه في الأسر فكان شعره ممتلئاً حسرة وأسى ولوعة وشكوى . وفي خصائصه اللفظية ذكر تفشي الصناعة اللفظية من بديع ومجـازات وتشابيه واستعارات ، ولكن هذه المجازات والتشابيه والاستعارات لم تكن غامضة أو معقدة أو متكلفة إنما كانت واضحة جلية جميلة في مواضعها .

وأخيرا تناولت دراسته للشاعرين إبراهيم طوقان وأبي القاسم الشابي وكلاهما من شعراء العصر الحديث ، وعاشا في فترة واحدة تقريباً وعانا وطأة المرض في جسميهما والاحتلال لبلديهما وقد كان الدكتور عمر فروخ يميل إلى إبراهيم طوقان كثيراً باعتبار الصداقة التى كانت تربطهما .

كما تناول البحث رأى الدكتور عمر فروخ في الشعر الحديث بالعرض والتحليل إذ أنه يرى أن دعاة التجديد في الشعر الحديث قد تأثروا بالآداب الأجنبية وادعوا أن النظم الحر المتفلت من الوزن والقافية شعراً جديداً ، ونسوا أو تناسوا أن هذا النوع من الأدب وُجد لدى العرب منذ العصر الجاهلي واستشهد على ذلك بخطبة قس بن ساعده الأيادي (أيها الناس اسمعوا وعوا) وهذا النوع من الكلام لا يسمى شعرا ، فالشعر لابد أن يلتزم بالوزن والقافية ، وتأثر دعاة التجديد بالآداب الأجنبية ومحاولتهم تطبيق ذلك على الشعر العربي جعلهم يخرجوا لنا قولاً ركيكاً ضعيفاً لايشتمل على قيمة أو أساليب مؤثرة .

وقد آثرت أن أختم هذا الباب بموازنة بين دراسة الدكتور عمر فروخ للشابي ودراسة غيره له ، فكانت الموازنة بين رأيه في شعر الشابي ورأى الدكتور يوسف عزالدين وقد خلصت من ذلك أن الشابي قد تبنى قضايا وطنه رغم مرضه ومعاناته النفسية والاجتماعية ، وأنه لم يكن ناقماً على الحياة العربية وعلى الشعب التونسي ، وإنما كان ناقماً على جمود هذه الشعب واستكانته وجبنه أمام المستعمر .

كما وازنت بين رأيه في الشعر الحديث ورأى كبار دعاة التجديد واستخرجت من أقوالهم فساد دعواهم وبطلانها ، فكانت الموازنة بين رأيه ورأى نازك الملائكه ، والدكتور محمد النويهي .

وأخيراً كان لزاماً عليّ أن أتطرق لأراء النقاد المعاصرين في جهوده الأدبية والنقدية ومكانته في الحركة الأدبية المعاصرة فعرضت لآراء نخبة من الأساتذة الأجلاء الذين أجمعوا على سمو الرسالة التي أداها ـ رحمه الله ـ إذ أنه ترك لنا مايربو على ثمانين مؤلفاً في التاريخ والفلسفة والدراسات الإسلامية والرد على المستشرقين ، والتأليف المدرسي ، واللغة والأدب ، إلى جانب ديوانه "فجر وشفق" وبذلك يحتل ـ رحمه الله ـ مكانة مرموقة في الساحة الأدبية نظراً لأهمية مؤلفاته بالنسبة للدارسين والباحثين وطلبة العلم فهذه الجهود القيمة كان لها تأثيرها على الحركة الأدبية المعاصرة ، هذا وقد لاح للبحث العديد من النتائج التي لخصتها هنا من خلال الفصول والمباحث التى مرت بنا : ـ

١ ـ غزارة المادة العلمية في موسوعته "تاريخ الأدب العربي" إذ أن هذه الموسوعة تحوى التأريخ للأدب العربي من جاهليته إلى القرن الحادى عشر الهجري وذلك في ثمانية أجزاء .

٢ ـ اهتمامه بدراسة التراث الأدبي فتناول عدداً من الشعراء والأدباء والمؤرخين والفلاسفة في دراسات مستقلة مثل : دراستة لبشار بن برد وأبي نواس وأبي تمام وأخوان الصفا وأبن سينا ، وبن حزم ، "الفارابيان" .

٣ ـ شاعريته ـ رحمه الله ـ فبعد تناولي لمؤلفاته الأدبية والنقدية بالدراسة والبحث وجدت أنه شاعر جيد وله ديوان بعنوان "فجر وشفق" إلى جانب شعره الكثير الموجود في كتابه غبار السنين ، وقد كان شاعراً قوي العاطفة رقيق الشعور .

٤ ـ رفضه الشديد للشعر الحر(المنثور) واصراره على فساد مذهبه القائم على تقليد الغرب والتأثر به فيما لاينفع .

٥ ـ دفاعه عن الإسلام والتراث الإسلامي وتصديه للمستشرقين والرد على ادعاءاتهم وآرائهم الباطلة التي تحاول المساس بهذه العقيدة .

٦ ـ دفاعه عن اللغة العربية ، وذلك من خلال اهتمامه بالتأليف حولها مثل كتابه "عبقرية اللغة العربية " أو كتابه القومية الفصحى ، أو من خلال مشاركاته في مؤتمرات مجامع اللغة العربية أو الندوات والمحافل .

٧ ـ تأليفه المدرسي : فقد ألف ـ رحمه الله ـ العديد من المناهج الدراسية التى كانت تدرس في بلده لبنان .

وأخيراً فإن هذه الدراسة التى مضت مع الدكتور عمر فروخ ودراساته الأدبية والنقدية لتؤكد على أن جوانبه الفكرية والأدبية ما تزال في حاجة إلى العديد من الأبحاث والدراسات ، فالرجل كما ذكرت في مقدمة بحثي متعدد الجوانب واسع العلم وقد أثرى المكتبة العربية بالعديد من المؤلفات القيمة في التاريخ والفلسفة والأدب واللغة والدراسات الإسلامية والرد على المستشرقين . . . وكل ذلك يغرى الباحثين والمنقبين ليرودوا هذه الميادين ، وهي بلا شك تستحق العكوف عليها والعناية بها .

وهذه الدراسة المتواضعة التى أقدمها أنارت لي السبيل إلى العديد من الدراسات التى أدعوا الباحثين إليها في هذه الشخصية الإسلامية المتواضعة التى لم تأخذ حقها من قبل الباحثين والدارسين ، ولذلك كانت لي هذه المقترحات حول ما يمكن دراسته من نتاج الدكتور عمر فروخ : ـ

أولاً : شاعرية الدكتور عمر فروخ هذه الشاعرية التى قد لا تكون معروفة لدى كثير من الناس فالدكتور عمر فروخ شاعر جيد يستحق أن يفرد شعره بدراسة علمية ، فديوانية "فجر وشفق" وكتابه غبار السنين يشتمل على شعر جيد يستحق الدراسة التي تقف على خصائص فنه الشعري وتبين عن فكره وثقافته العربية الأصيلة .

ثانياً: دراسته للأدباء والشعراء المستقلة تستحق الدراسة والبحث والتحليل والنقد فهناك العديد من الأدباء والشعراء الذين تناولهم بالبحث في دراسة مستقلة مثل دراسته لخمسة شعراء جاهلين : امرىء القيس ، عنتر ، طرفة

ابن العبد ، النابغة ، وزهير ودراسته لعمر بن أبي ربيعة ، وبشار بن برد ، وأبي نواس ، وعبدالله بن المقفع ، وأبي تمام ، وأبي فراس ، وإبراهيم طوقان ، وأبي القاسم الشابي ، وأحمد شوقي . . فهذه المؤلفات تستحق أن تفرد بدراسة علمية منهجية .

ثالثاً : دراساته اللغوية وبحوثه في مجامع اللغة العربية يمكن أن تكون موضوعاً لدراسة علمية منهجية فهناك كتابه : عبقرية اللغة العربية والقومية الفصحى ، إلى جانب البحوث التى قدمها لمجامع اللغة العربية فهذا الجانب يمكن أن يُعرض ويبحث وتُناقش آراء الدكتور عمر فروخ فيه .

رابعاً : موقفه من الاستشراق والرد على المستشرقين ، فقد كان له ـ رحمه الله ـ موقفه المعروف والواضح من الاستشراق والمستشرقين ، وله أسلوبه المتميز في الرد على المستشرقين من الادلاء بالحجة والبرهان والاعتماد على العقل والمنطق أولاً وآخراً فدراساته حول الاستشراق والمستشرقين جديرة بأن تُعرض وتُبحث وتُناقش .

وهكذا نجد أمامنا أبواباً رحبة لعديد من الدراسات حول نتاج هذه الشخصية المتعددة العطاء ، وكل ذلك يدفع الباحثين إلى توجيه انظارهم إلى مؤلفاته لما تشتمل عليه من خصوبة وإثراء للأدب العربي ، كما تضيف إليه العديد من الجوانب التي تكون مفخرة لكل عربي مسلم من اهتمام بدراسة الأدب العربي والرد على المستشرقين بأسلوب علمي يعتمد على الحجة والبرهان .

وما قمت به من دراسة جانب واحد من جوانب علمه ـ رحمه الله ـ ماهو إلا باب من الأبواب المتعددة والذى أرجو أن أكون قد وفيته حقه ، وأحطت بمجمل جوانبه ، وعرضت له في صورة واضحة تضيف إلى مسيرة الأدب في العصر الحديث لبنة من لبناته وتؤكد على اهتمام الدارسين والباحثين بالأدب العربي طريفه وتليده .

وما توفيقي إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب

* * * * * *

الفهارس

أ ـــ المصادر

ب ـــ المراجع

ج ـــ الدوريات

د ـــ فهرس الموضوعات



المصادر والمراجع

أولا ـ المصادر (مؤلفات الأديب)

١ ـ أبو تمام شاعر الخليفة محمد المعتصم بالله ، ط١ مطبعة الكشاف بيروت ١٣٥٣هـ ـ ١٩٣٥م .

٢ ـ أبوفراس فارس بني حمدان وشاعرهم ط١ مكتبة منيمنه للطباعة والنشر ـ بيروت ١٣٧٣هـ ـ ١٩٥٤م .

٣ ـ تاريخ الأدب العربي ج١ ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨١م

٤ ـ تاريخ الأدب العربي ج٢ ط٤ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨١م

٥ ـ تاريخ الأدب العربي ج٣ ط٣ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨١م

٦ ـ تاريخ الأدب العربي ج٤ ط١ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨١م

٧ ـ تاريخ الأدب العربي ج٥ ط١ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٢م

٨ ـ تاريخ الأدب العربي ج٦ ط١ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م

٩ ـ الشابي شاعر الحب والحياة ، ط٣ دار العلم للملايين ـ بيروت ـ لبنان فبراير١٩٨٠م .

١٠ ـ شاعران معاصران : إبراهيم طوقان وأبوالقاسم الشابي ط٥ ١٩٥٤ منشورات المكتبة العلمية ومطبعتها ـ بيروت لبنان .

١١ ـ عمر بن أبي ربيعه ط٢ مكتبة منيمنه للطباعة والنشر بيروت ـ لبنان ١٣٦٦هـ ، ١٩٤٧م .

١٢ ـ عمر فروخ وآثاره الثقافية في أربعين عاما (١٩٣١م ـ ١٩٧١م) بيروت ١٩٧١/بدون طبعه أو ناشر .
١٣ ـ غبار السنين ط الأولى ١٤٠٥ ـ ١٩٨٥م دار الأندلس ـ بيروت ـ لبنان
١٤ ـ فجر وشفق ط الأولى ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م دار لبنان للطباعة والنشر ، بيروت ـ لبنان .
١٥ ـ معالم الأدب العربي في العصر الحديث ج١ ط الأولى ١٩٨٥م ، دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان .
١٦ ـ معالم الأدب العربي في العصر الحديث ج٢ ط الأولى ١٩٨٦م دار العلم للملايين بيروت ـ لبنان .
١٧ ـ هذا الشعر الحديث ط الأولى دار لبنان للطباعة والنشر ـ بيروت / لبنان

ثانيا ـ المراجع :

(الألف)

١٨ ـ أبونواس / العقاد ـ دار الكتاب العربي ، بيروت ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٨م.
١٩ ـ الاتجاهات الفنية في الشعر الفلسطيني المعاصر / كامل السوافيري ط١ مكتبة الأنجلو المصرية / القاهرة ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م .
٢٠ ـ الأدب في عصره الذهبي لعبدالرحمن عثمان . ط بدون ، مطبعة المدني ١٣٨٢هـ ـ ١٩٦٣م .
٢١ ـ الأدب في العصر المملوكي / محمد زغلول سلام ط بدون دار المعارف بمصر .

٢٢ ـ الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة/أحمد هيكل ط٧ دارالمعارف بمصر ، ١٩٧١م .

٢٣ ـ الأدب الأندلسي (موضوعاته وفنونه) مصطفي الشكعه ط بدون ، دار العلم للملايين ١٩٧٤م .

٢٤ ـ الأدب العربي في الأندلس / عبدالعزيز عتيق ط٢ دار النهضة العربية للطباعة والنشر / بيروت ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م .

٢٥ ـ أدباء العرب ج٢ (الأعصر العباسية) لبطرس البستاني ـ طبعة جديدة منقحة دار مارون عبود .

٢٦ ـ الأدب الأندلسي في عصر الموحدين ، حكمة علي الأوسي ، ط بدون، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

(الباء)

٢٧ ـ بين الأصالة والحداثة / نقد ومختارات ، أحمد فرح عقيلان ، مطبوعات نادى الطائف الأدبي .

(التاء)

٢٨ ـ تاريخ الأدب العربي (العصر الجاهلي) شوقي ضيف ، ط٧ دار المعارف بمصر .

٢٩ ـ تاريخ الأدب العربي (العصر الإسلامي) شوقي ضيف ، ط٧ دار المعارف بمصر .

٣٠ـ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الأول) شوقي ضيف ، ط٢ دار المعارف بمصر .

٣١ ـ تاريخ الأدب العربي (العصر العباسي الثاني) شوقى ضيف ، ط١ ، دار المعارف بمصر .

٣٢ ـ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (مصر والشام)

٣٣ ـ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (الجزيرة العربية ـ إيران ـ العراق)

٣٤ ـ تاريخ الأدب العربي عصر الدول والامارات (المغرب والأندلس) شوقي ضيف ، ط١ دار المعارف بمصر .

٣٥ ـ تاريخ آداب اللغة العربية ، جرجي زيدان ط بدون منشورات دار مكتبة الحياة بيروت ـ لبنان ١٩٨٣م .

٣٦ ـ تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي الأول ، إبراهيم على أبوخشب ط بدون ، دار الفكر العربي ١٩٧٤ ـ ١٩٧٥م .

٣٧ ـ تاريخ الأدب العربي في الأندلس ، إبراهيم علي أبوخشب ط بدون ، دار الفكر العربي .

٣٨ ـ تاريخ الأدب الأندلسي (عصر سيادة قرطبة) إحسان عباس ط١ ، دار الثقافة بيروت ، ١٩٦٠م .

٣٩ ـ التجديد في الأدب الأندلسي ، باقر سماله ، ط بدون ، مطبعة الإيمان بغداد ، ١٩٧١م .

٤٠ ـ تطور القصيدة الغنائية في الشعر العربي الحديث من ١٨٨١ ـ ١٩٣٨ حسن أحمد الكبير ، دار الفكر العربي .

٤١ ـ التطور والتجديد في العصر الأموي ، شوقي ضيف ، ط٥ دار المعارف بمصر .

٤٢ ـ التيارات المعاصرة في النقد الأدبي ، بدوى طبانه ط١ ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٣م .

(الجيــم)

٤٣ ـ جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة ج١ ، العصر الجاهلي وعصر صدر الإسلام ، أحمد زكي صفوت ، ط بدون المكتبة العلمية بيروت .

(الحاء)

٤٤ ـ الحياة الأدبية في عصري الجاهلية وصدر الإسلام ، محمد عبدالمنعم خفاجي وصلاح الدين محمد عبدالتواب ، ط بدون ، مكتبة الكليات الأزهرية القاهرة .

٤٥ ـ الحياة الأدبية في العصر الجاهلي ، محمد عبدالمنعم خفاجي ط١ ، مكتبة الحسن التجارية .

(الـــدال)

٤٦ ـ دراسات في الأدب العربي على مر العصور ، عمر الطيب الساسي ، ط٣، دار الشروق ، جدة ، ١٣٩٩هـ ـ ١٤٠٠هـ .

٤٧ ـ الدكتور عمر فروخ كفاح خمسة وستين عاماً دفاعاً عن العروبة والإسلام ، عدنان الخطيب ط بدون ، دار الفكر للطباعة ، دمشق ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .
٤٨ ـ ديوان أبي تمام ، بشرح الخطيب التبريزي ، تحقيق محمد عبده عزام المجلد الثاني ط٢ ، دار المعارف ١٩٦٤م .
٤٩ ـ ديوان أبي القاسم الشابي ، دار العودة ـ بيروت ١٩٨٨م .
٥٠ ـ ديوان ابن المعتز ، شرح وتقديم ميشيل نعمان ، الشركة اللبنانية للكتاب ـ بيروت ـ لبنان ١٩٩٦م .
٥١ ـ ديوان الخنساء ، دار صادر بيروت .
٥٢ ـ ديوان كعب بن زهير ، شرح ودراسة مفيد قميحة ، ط١ ، دار الشواف للطباعة والنشر ، الرياض ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م .

(السين)

٥٣ ـ شرح ديوان امرىء القيس ، حسن السندوبي ، ط٧ ، المكتبة الثقافية بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٥٤ ـ شرح ديوان حسان بن ثابت الانصاري ، عبدالرحمن البرقوقي ط بدون دار الكتاب العربي بيروت .
٥٥ ـ الشابي : حياته وشعره لأبي القاسم محمد كرو ط جديدة ، الدار العربية للكتاب ١٩٨٤م .

٥٦ ـ الشعر والشعراء لابن قتيبة ، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر ط بدون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٦م .

(الصاد)

٥٧ ـ صراع التيارات المتشددة وعمر فروخ ، على زيعور ، ط١ دار الأندلس بيروت لبنان ١٩٨٥م .

(الطاء)

٥٨ ـ طبقات الشعراء لابن المعتز ، تحقيق عبدالستار أحمد فراج ط٤ ، دار المعارف بمصر .

(العين)

٥٩ ـ عناصر الابداع الفني في رائية أبي فراس ، محمد عارف محمود حسين ط١ ، مطبعة الأمانة ، مصر ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م .

٦٠ ـ العمدة لابن رشيق ، شرح وتحقيق مفيد محمد قميحة ، ط١ ، دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان .

(الفاء)

٦١ ـ فصول في الأدب الأندلسي في القرنين الثاني والثالث للهجرة ، حكمة على الأوسي ط٣ ، مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٦٢ ـ الفن ومذاهبه في الشعر العربي ، شوقي ضيف ط٨ دارالمعارف بمصر.

٦٣ ـ الفن ومذاهبه في النثر العربي ، شوقي ضيف ط٦ دارالمعارف بمصر
٦٤ ـ في الأدب العربي الحديث ، عمر الدسوقي ، ج١ ، ط٦ ، دار الفكر العربي ١٩٦٤م .
٦٥ ـ في الأدب العربي الحديث (بحوث ومقالات نقدية) يوسف عزالدين ط٣ دار العلوم ـ الرياض ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م .
٦٦ ـ في الأدب الأندلسي ، جودت الركابي ، ط بدون ، دار المعارف بمصر ١٩٦٠م .

(القاف)

٦٧ ـ قضايا الشعر المعاصر ـ نازك الملائكه ـ ط٧ دار العلم للملايين ١٩٧٣م .
٦٨ ـ قضية الشعر الجديد ، محمد النويهي ، ط٢ مكتبة الخانجي ، دار الفكر ١٩٧١م .

(الميم)

٦٩ ـ المقامة ، شوقي ضيف ط٦ ، دارالمعارف بمصر .
٧٠ ـ المدخل في دراسة الأدب ، مريم البغدادي ، ط١ تهامه ، جده ، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م .
٧١ ـ مدخل إلى دراسة المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر ، نسيب نشاوي ط بدون ، مطابع ألف باء ـ الأديب ، دمشق .

٧٢ ـ من حديث الشعر والنثر ، طه حسين ، دارالمعارف بمصر .

٧٣ ـ المجمعيون في خمسين عاما ، محمد مهدي علام ، الهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية ـ القاهرة ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .

(النون)

٧٤ ـ النثر الفني في القرن الرابع ـ زكي مبارك ، ط بدون ، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر ـ القاهرة .

* * * * * *

ثالثا ـ الدوريات :

ـ جريدة المدينة ، الخميس ٢٦ ربيع الآخرة ١٤٠٨هـ الموافق ١٧ ديسمبر ١٩٨٧م .

ـ المجلة العربية ، العدد ١٢٤ جمادى الأولى ١٤٠٨هـ يناير ١٩٨٨م .

ـ المجلة العربية ، العدد ١٦٤ رمضان ١٤١١هـ ابريل ١٩٩١م .

* * * * * *

فهرس الموضوعات

الطـــائف
دار الحارثي للطباعة والنشر
تليفاكس : ٧٣٣٤٣٧٤
ص ٠ ب : ١٢٨١

